



تاريخ
الدولة العربية في الأندلس

٩٢ - ٨٩٧ هـ / ٧١١ - ١٤٩٢م

تأليف

الدكتور خاشع المعاضيدي

استاذ التاريخ الاسلامي المساعد

جامعة بغداد - كلية التربية

١٩٨٨

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد

تاريخ
الدولة العربيّة في الأندلس

٩٢ - ٨٩٧ هـ / ٧١١ - ١٤٩٢م

تأليف

الدكتور خاشع المعاضيدي
استاذ التاريخ الاسلامي المساعد
جامعة بغداد - كلية التربية

بغداد ١٩٨٨



الاهـــداء

الى القائد العربي موسى بن نصير
الى طارق وطريف وهما يركبان البحر صوب الاندلس
الى جبل الفتح والجزيرة الخضراء

... ...

الى صقر قريش الذي اجتاز البحار بعد القفار
الى الامير عبد الرحمن الداخل، باني مجد العرب بالاندلس
الى مولاه بدر الامين

الى الذين قاتلوا من اجل البقاء في الاندلس
الى ابناء امتي العربية في المشرق والمغرب
الى اثار اجدادي الخالدات في قرطبة واشبيلية وغرناطة

الى قائد القادسية الجديدة المهيب الركن صدام حسين
الى قائد العراق ابي عدي الشجاع
الى حراس البوابة الشرقية من ابناء العراق

الى هؤلاء جميعاً .. اهدي جهدي ...

خاشـع

تقديم:

منذ زمن بعيد وانا ارغب في الكتابة والبحث في موضوع «الاندلس» حيث اقام اجدادنا العرب المسلمون هناك تأريخاً وتراثاً خالدين ابد الدهر. وان اسير في رحلة الفتح المباركة، مع جيوش العرب الظافرة ، التي بدأت من المدينة المنورة، حتى اجتازت المضيق الزقاق، مضيق جبل الفتح، جبل طارق، واحط الرحال مع الفاتحين من ابناء امتي على ارض الفردوس المفقود، غير ان الظروف السابقة حالت دون ذلك.

ثم كان لي لقاء مع السيد الرئيس القائد المهيب الركن صدام حسين - حفظه الله - مساء يوم الاثنين الموافق ١٩٨٣/١/٣١ ومساء اليوم التالي. في غرفة بسيطة ، لكنها جميلة وانيقة وخاصة، استقبلني سيادته مشكوراً، فكان في غاية الكرم، وطيب الخلق، وعلو الهمة، رفيع البصيرة والبصر، رقيق المشاعر، كبير القلب، عظيم الامال، طريف الحديث، حسن التفقد والاستفسار والسؤال، هادئ البال، مرتاح الخاطر والضمير ، والى جانبه كثير من الكتب والتقارير، وربما عدد من القرارات وهي تأخذ طريقها الى الصدور.

تنوع الحديث وتشعب بين العديد من القضايا والموضوعات ذات الطابع العام، بعيداً كل البعد عن القضايا الخاصة والشخصية، حتى بلغ الاندلس ، فكانت البداية الفعلية عندي للكتابة في هذا الموضوع.

واليوم ، وقد اسندت لي مهمة تدريس مادة (تاريخ العرب في الاندلس) لطلبة الصف الثاني/ قسم التأريخ بكلية التربية/ جامعة بغداد، فقد صارت الحاجة ملحة اكثر من اي وقت مضى، لتحقيق هذه الفكرة ووضع مشروع اولي لكتاب عام وشامل عن (تاريخ العرب في الاندلس) منذ بداية الفتح سنة ٩٢هـ ، وحتى زوال حكم العرب من تلك الديار بسقوط مملكة غرناطة سنة ٨٩٧هـ ، ولعل في ذلك مايفيد الدارسين والمعنيين.

- ومن الله التوفيق -

بغداد في ٨ شباط ١٩٨٨

الدكتور
خاشع المعاضيدي
استاذ التاريخ الاسلامي المساعد
كلية التربية/ جامعة بغداد

محتويات الكتاب

	رقم الصفحة
١ـ الاهداء	٣
٢ـ تقديم	٥
٣ـ الفهرس	٧
الباب الاول	
الفتح العربي للاندلس وعصر الولاة	١٣
الفصل الاول: الاندلس قبل الفتح العربي	١٥
اولا : تسمية الاندلس وصفتها	١٥
ثانيا : سكان الاندلس قبل الفتح	١٩
ثالثاً: حالة الاندلس قبل الفتح	٢٢
الفصل الثاني: الطريق العربي الى الاندلس	٢٥
اولاً : حملة عمرو بن العاص على مصر وبرقة	٢٥
ثانياً: حملة عبد الله بن سعد على سبيطلة	٢٩
ثالثاً: حملة معاوية بن حديج على افريقية	٣٠
رابعاً: حملة عقبة بن نافع وبناء القيروان	٣١
خامساً: حملة ابي المهاجر دينار على الجزائر	٣٢
سادساً: حملة عقبة بن نافع على طنجة	٣٢
سابعاً: ولاية حسان بن النعمان على افريقية	٣٤
ثامناً: ولاية موسى بن نصير على افريقية	٣٥
الفصل الثالث: الفتح العربي للاندلس	٣٧
اولاً : العبور الى الاندلس	٣٧
ثانياً: الفتح العربي للاندلس	٤١
ثالثاً: استكمال فتح الاندلس	٤٣
رابعاً: استقرار العرب في الاندلس	٤٦

خامساً: اثر الفتح العربي في الاندلس ٥٢
الفصل الرابع: عصر الولاة في الاندلس ٥٣
اولاً : ولاة الاندلس ٥٤
ثانياً: نهاية عصر الولاة في الاندلس ٦٨
هوامش الباب الاول ٧٣

الباب الثاني
الدولة الاموية في الاندلس

٨١
الفصل الاول : الثورة العباسية ونهاية الدولة الاموية في المشرق ٨٣
اولاً : الثورة العباسية ٨٣
ثانياً: موقعة الزاب ٨٤
الفصل الثاني: قيام الدولة الاموية في الاندلس ٨٨
اولاً : مسير عبد الرحمن الداخل الى الاندلس ٨٨
ثانياً: عبد الرحمن الداخل يقيم الدولة الاموية ٨٩
الفصل الثالث: عصر الامارة الاموية في الاندلس ٩٢
اولاً : عبد الرحمن الداخل ٩٢
ثانياً: خلفاء عبد الرحمن الداخل بالامارة ٩٨
الفصل الرابع: عصر الخلافة الاموية في الاندلس ١١٢
اولاً : عبد الرحمن الناصر ١١٢
ثانياً: الناصر يعلن الخلافة الاموية ١١٦
ثالثاً: اصلاحات عبد الرحمن الناصر ١١٧
رابعاً: خلفاء عبد الرحمن الناصر ١٢١
الفصل الخامس: الدولة العامرية وزوال الخلافة الاموية في الاندلس ١٢٥
اولاً : الدولة العامرية ١٢٥
ثانياً: نهاية الخلافة الاموية وقيام دولة بني حمود ١٣٢
ثالثاً: اهمية الدولة الاموية في الاندلس ١٣٧
هوامش: الباب الثاني ١٣٩

الباب الثالث

انحلال الدولة العربية في الاندلس وزوالها ١٤٧

الفصل الاول: دول ملوك الطوائف ١٤٩

اولاً : بنو عباد ملوك اشبيلية وغربي الاندلس ١٥٠
ثانياً: بنو جهور في قرطبة ١٥١
ثالثاً: بنو الافطس في بطليوس وغرب الاندلس ١٥١
رابعاً: باديس بن حبوس ملك غرناطة والبيرة ١٥٢
خامساً: بنو ذي النون ملك طليطلة والثغر الجوفي ١٥٢
سادساً: ابن ابي عامر صاحب شرق الاندلس ١٥٣
سابعاً: بنو هود ملوك سرقسطة ١٥٣
ثامناً: مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر والشرقية ١٥٤
تاسعاً: ابن رزين في السهلة ١٥٥
عاشراً: بنو حمود العلوي في مالقة ١٥٥

الفصل الثاني: المرابطون في الاندلس ١٥٧

اولاً : قيام دولة المرابطين في المغرب ١٥٧
ثانياً:وقعة الزلاقة في الاندلس وهزيمة الفرنج ١٥٨
ثالثاً: الامير يوسف يستولى على الاندلس وينتزعها من ملوك الطوائف ١٥٩
رابعاً: حروب المرابطين مع الفرنج في الاندلس ١٦٠
خامساً: زوال دولة المرابطين ١٦١

الفصل الثالث: الموحدون في الاندلس ١٦٣

اولاً : قيام دولة الموحدين في المغرب ١٦٣
ثانياً: الموحدون يستولون على الاندلس ١٦٤
١ـ موقعة الارك ١٦٦
٢ـ موقعة العقاب ١٦٨
ثالثاً: زوال دولة الموحدين ١٦٩

الفصل الرابع: المناهضة الاسبانية ضد العرب في الاندلس ١٧١

اولاً : مملكة جيليقية ١٧١
ثانياً: مملكة ليون ١٧٥

ثالثاً: مملكة قشتالة ١٧٥
رابعاً: مملكة ناقار ١٧٦
خامساً: مملكة اراجون ١٧٦

الفصل الخامس: تغلب العدو على الاندلس وزوال حكم العرب فيها ١٧٩
اولا : العدو يسترد المدن والقلاع العربية ١٨٠
١ـ طليطلة ١٨٠
٢ـ قرطبة ١٨١
٣ـ اشبيلية ١٨١
٤ـ الجزيرة الخضراء وجبل الفتح ١٨٣
٥ـ بلنسية ١٨٣
٦ـ بريشتر ١٨٤
٧ـ المرية ١٨٥
٨ـ مدن اخرى كثيرة في بلاد الاندلس ١٨٥
ثانياً: دولة بني الأحمر واستلام غرناطة ١٨٦
١ـ قيام دولة بني الاحمر في غرناطة ١٩١
٢ـ استلام غرناطة ١٩٣
٣ـ معاهد الصلح ١٩٤
٤ـ مأساة الاندلس في شعر العرب
هوامش الباب الثالث ١٩٩

الباب الرابع

الحضارة العربية في الاندلس واثرها في اوربا ٢٠٥
الفصل الاول: نشأة الحضارة العربية وطبيعتها في الاندلس ٢٠٧
اولاً : تعريفالحضارة ونشأتها ٢٠٧
ثانياً: نشأة حضارة العرب في الاندلس وعلاقتها بالمشرق العربي ٢٠٨
ثالثاً: اثر الحضارة العربية في الاندلس في اوربا ٢١١
الفصل الثاني: «نظم الحكم والادارة في الاندلس» ٢١٣
اولاً : الامارة في الاندلس ٢١٤
ثانياً: الوزارة والحجابة ٢١٥
ثالثاً: الكاتب ٢١٥

رابعاً: القضاء	
خامساً: الحسبة والسكة	٢١٦
سادساً: الشرطة	٢١٦
الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية في الاندلس	٢١٨
اولاً : طبيعة المجتمع العربي في الاندلس وعناصره	٢١٨
١ـ العرب	٢١٨
٢ـ البربر (عرب المغرب)	٢١٩
٣ـ الموالي	٢٢٠
٤ـ المولدون	٢٢١
٥ـ الصقالية	٢٢٢
٦ـ اهل الذمة	٢٢٢
٧ـ اليهود	٢٢٢
٨ـ المرأة في الاندلس	٢٢٣
٩ـ الديانة	٢٢٤
١٠ـ الزي	٢٢٤
ثانياً: الثقافة والعلوم في الاندلس	٢٢٥
١ـ الثقافة	٢٢٥
٢ـ العلوم	٢٢٦
٣ـ مجالس الغناء والطرب	٢٢٦
٤ـ الشعر في الاندلس	٢٢٨
أ ـ الموشحات	٢٢٩
ب ـ الازجال	٢٣٠
الفصل الرابع: اثار العرب العمرانية في الاندلس	٢٣٣
اولاً: قرطبة	٢٣٤
١ـ المسجد الجامع في قرطبة	٢٣٥
٢ـ قصر قرطبة	٢٣٦
٣ـ اطلال الزهراء والزاهرة	٢٣٧
٤ـ القنطرة في قرطبة	٢٣٧

ثانياً: اشبيلية
١- المسجد الجامع الاعظم في اشبيلية ٢٣٧
٢- قصر اشبيليه ٢٣٨
٢٣٩
ثالثاً: طليطلة ٢٣٩
١- المسجد الجامع في طليطلة ٢٤٠
٢- قصر طليطلة ٢٤٠
٣- القنطرة في طليطلة ٢٤١
رابعاً: غرناطة ٢٤١
١- حي البيازين في غرناطة ٢٤١
٢- ميدان باب الرملة والقيسرية ٢٤١
٣- المدرسة والخان والمنازل ٢٤٢
٤- قصر شنيل ٢٤٢
٥- قصر الحمراء في غرناطة ٢٤٢
خامساً: مدن اندلسية اخرى ٢٤٤
١- بلنسية
٢- مرسية ٢٤٤
٣- سرقسطة ٢٤٤
٤- لاردة وطركونة ٢٤٤
٥- ميورقة ٢٤٥
٦- شاطبة قرطاجنة ٢٤٥
٧- المرية ومالقة ٢٤٦
٨- طريق والجزيرة الخضراء وجبل طارق ٢٤٧
٩- بنبلونة ومجريط (مدريد) ٢٤٧
١٠- شنت ياقب وليون ٢٤٨
١١- صخرة بلاي ٢٤٨
١٢- بطليوس وماردة ولشبونة ٢٤٨
خاتمة الكتاب ٢٤٩
هوامش الباب الرابع ٢٥١
مراجع الكتاب ٢٥٣
٢٥٧

الباب الاول

الفتح العربي للاندلس وعصر الولاة

١ ـ الفصل الاول :ـ الاندلس قبل الفتح العربي
٢ ـ الفصل الثاني :ـ الطريق العربي الى الاندلس
٣ ـ الفصل الثالث :ـ الفتح العربي للاندلس
٤ ـ الفصل الرابع :ـ عصر الولاة في الاندلس

الفصل الاول

الاندلس قبل الفتح العربي

اولاً : تسمية الاندلس وصفتها

اختلفت الروايات في اصل تسمية شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا). فقد كانت تسمى في الازمنة القديمة (ايسبارية) ثم اطلق عليها الرومان اسم (هسبانية) ثم صارت (اسبانيا).(١)

اما اسم الاندلس، فقد اطلقه العرب المسلمون على اسبانيا عندما فتحوها، وقد اشتقوا هذا الاسم من كلمة (الاندليش، او ، الاندلش)) وهي الاسماء التي اطلقت على الوندال الذين سيطروا على هذه البلاد بعد ان اغاروا عليها في القرن الخامس الميلادي واخذوها من الرومان ولاسيا مناطق جيلقية في الشمال الغربي. وباطقة في الجنوب(٢)، فاطلقوا عليها اول الامر اسم ((فاندلوسيا)) وقيل ان اول من سكنها قوم كانوا يعرفون ((بالاندلش)) فسمي البلد بهم. ثم سماها العرب بعد ذلك ((الاندلس)) بعد ان قلبوا الشين، سينا. كما اطلقوا عليها اسم (الجزيرة ايضا) (٣)

والاسبان يسمون الاندلس ((اشبانية)) نسبة الى رجل يقال انه صلب فيها واسمه ((اشبانش)) وقيل سميت باسم ملك كان يحكمها في الزمان الاول اسمه ((اشبان بن طيطس))، وهذا هو اسمها عند بطليموس واشبان هذا هو الذي بنى مدينة ((اشبانية)) وهي مدينة ((اشبيلية)). واتخذها دار مملكته، وكان اسم ((اشبانية)) يقتصر في البداية على مدينة اشبيلية، ثم غلب الاسم بعد ذلك على شبه الجزيرة كلها فسميت ((اسبانيا)).(٤)

والاندلس، شبه جزيرة ، تحيطها البحار من جهات ثلاث، تكثر فيها الزراعة والعمارة، فحيثما سافرت من مدينة الى اخرى ، لاتنقطع العمارة فيها، مابين قرى ومياه ومزارع. والصحاري فيها معدومة. وقراها في غاية الجمال. فهي كما قال الوزير بين الخمارة فيها:ـ(٥)

لاحت قراها بين خضرة ايكها ... كالدربين وبرجد مكنون.

وقد وصفت الاندلس، بانها شامية في طيبها وهوائها، ويمانية في اعتدالها واستوائها، وصينية في جواهرها ومعادنها، وعدنية في منافع سواحلها. وهي اخر الاقليم الرابع حسب تقسيم ابن خلدون للاقاليم الجغرافية. وهي عند الحكماء بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصب الجنان، منجبس الانهار الغزار والعيون العذاب، قليل الهواء ذي السموم. معتدل الهواء والجو والنسيم، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال، تتصل فواكهه اكثر الازمنة، وتدوم متلاحقة غير معدومة، وفواكهه على الجملة غير مفقودة في كل اوان ولها خواص في كرم النبات. توافق في بعضها ارض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره.(٦)

وفي الاندلس، المدن الحصينة، والمعاقل المنيعة ، والقلاع الحريزة، منذ العصر الروماني، ولها البر والبحر، والسهل والوعر، وشكلها مثلث، والاندلس، اندلسان في اختلاف هبوب ارياحها ومواقع امطارها، وجريان انهارها. اندلس غربي، واندلس شرقي، فالغربي ماجرت انهاره واوديته الى البحر المحيط الغربي. اما الاندلس الشرقي، فهو ماجرت انهاره واوديته الى الشرق، وقد استمرت مدن الاندلس القديمة في اهميتها خلال عهد القوط بعد الرومان. وخلال العصر العربي الاسلامي اللاحق.(٧)

ومن اشهر مدن الاندلس القديمة الحديثة ((غرناطة)) وقيل ان الصواب في اسمها ((اغرناطة)) بالهمزة في اولها، ومعناها بلغة الاسبان ((الرمان)). وقد شبهت ((غرناطة)) بمدينة ((دمشق الشام)) وقيل فيها: (٨)

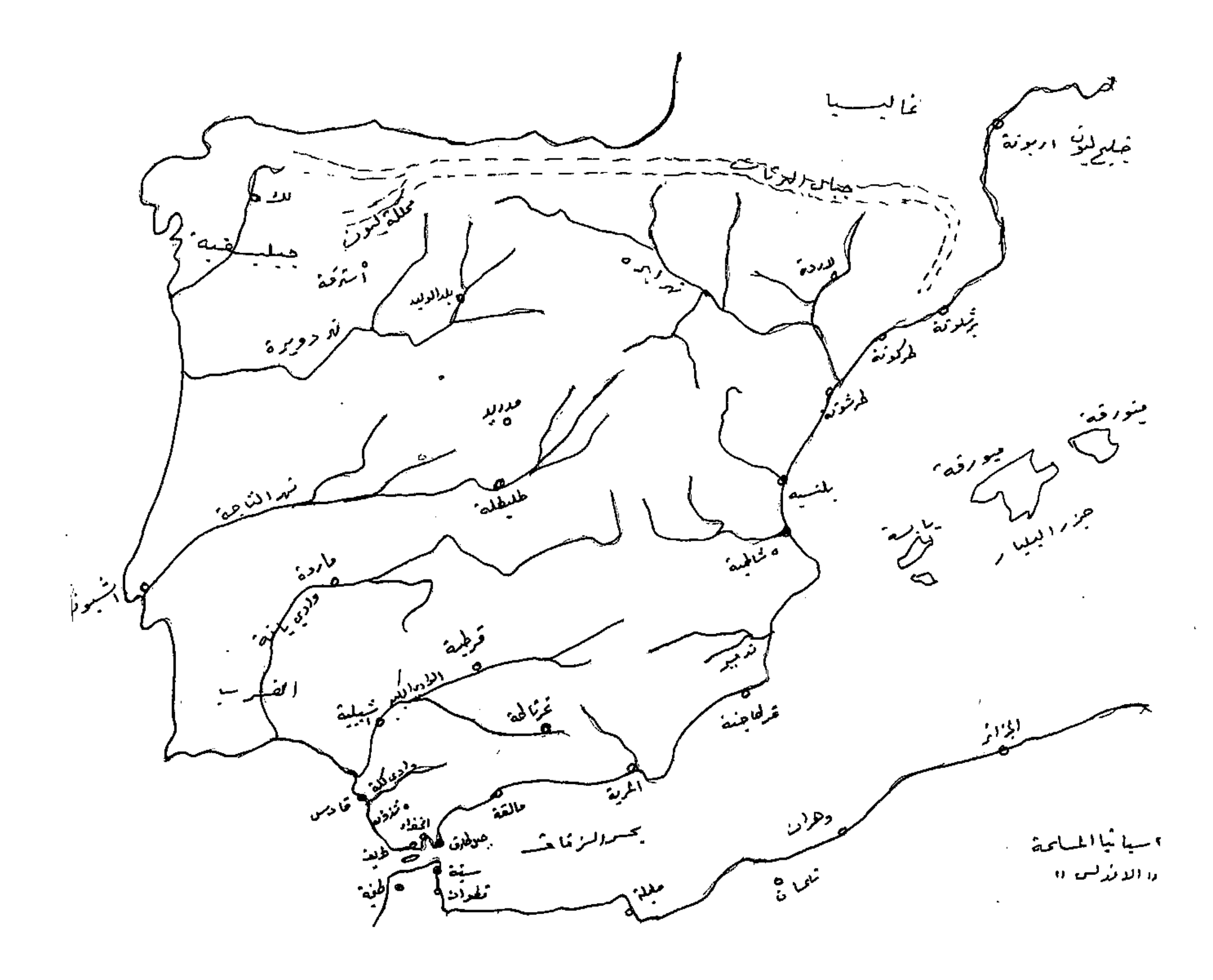
غرناطة مالها نظير	ما مصر ما الشام ما العراق
ماهي الا كعروس تجلى	وتلك من جملة الصداق

ومن اشهر مدن الاندلس ايضا ((قرطبة)) وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة بالجسر الذي امر ببنائه الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز على انقاض القنطرة الرمانية المتهدمة على النهر العظيم، وفيها قال الشيخ الامام ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية :(٩)

باربع فاقت الامصار قرطبة	منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة	والعلم اعظم شيٍ وهو رابعها

ومن اعظم مدن الاندلس كذلك ((اشبيلية)) التي من محاسنها: اعتدال الهواء، وحسن المباني، فضلا عن نهرها العظيم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا. وفيه قال ابن سفر:(١٠)

شق النسيم عليه جيب قميصه	فانساب من شطية يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها	هزءاً فضم من الحياء ازاره


اسبانيا المسلمة
"الاندلس"
غاليسيا
جبال البرتات
جليقية
مملكة ليون
أسترقة
بلد الوليد
نهر دويرة
مدريد
طليطلة
نهر التاجة
اشبونة
ماردة
وادي يانة
الغرب
قرطبة
الوادي الكبير
اشبيلية
غرناطة
وادي لكة
قادس
شذونة
الجزيرة
جبل طارق
طريف
طنجة
سبتة
تطوان
مالقة
المرية
تدمير
قرطاجنة
شاطبة
بلنسية
طرطوشة
طركونة
برشلونة
لاردة
نهر ابره
اربونة
ميورقة
منورقة
يابسة
جزر البليار
الجزائر
وهران
تلمسان
مليلة

وهي مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وعليه جسر مربوط بالسفن، وبها الاسواق التجارية الكبيرة، حتى عدت اشبيلية من اعظم مدن الدنيا في وقتها، فهي مدينة اللهو والطرب، والشعر والادب، وباهلها يضرب المثل بالتحرر والانفتاح.

اما طليطلة ، فهي من اعظم كور الأندلس ، وهي وسط الاندلس، وكانت تسمى بزليطية او تولاطو بمعنى (الفرح) فعرب أسمها العرب وقالوا : (طليطلة) وتسمى ايضا ((مدينة الملوك او الاملاك)) لانه فيا يقال ملكها اثنان وسبعون ملكاً، وفي طليطلة بساتين محدقة ، وانهار مخترقة، ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان، وفيها الضياع البديعة، والقلاع المنيعة، وكانت طليطلة قاعدة ملك القوط، وهي تطل على نهر تاجه، وعليه كانت القنطرة وطولها ثلثمائة ذراع وعرضها ثمانون ذراعاً ، وقد عجز الوصافون عن وصفها.(١١)

ثانياً : سكان الاندلس قبل الفتح :

يعتقد ان اول من سكن الاندلس بعد الطوفان قوم يعرفون ((بالاندلش)) وبهم سمي المكان، فعمروها وتداولوا الملك فيها دهراً طويلاً، وكانوا يدينون بالمجوسية ثم حبس المطر عنهم، وتوالى القحط عليهم، فهرب اكثرهم من البلاد ، وفر منها من اطاق الفرار، خاصة وقد نضبت المياه، وغارت العيون، وبيت الانهار . وهلك اكثر الناس، فاقفرت الاندلس وخلت منهم مائة سنة وبضع عشرة. ثم جاء الافارقة الى هذه البلاد، ودخلها قوم منهم، اجلاهم ملك افريقية تخفيفاً منهم، لقحط حل ببلاده ، فحملهم في السفن مع امير من عنده وارسوا عند ((قادس)) وكانت الاندلس قد اخصبت بلادها، وجرت انهارها، فسكنوها وعمروها، وصارت دار ملكهم مدينة ((طالقة)) من ارض اشبيلية، ونصبوا من انفسهم ملوكاً عليهم، وداموا فيها مائة وخمسة وسبعين عاماً. وشكل هؤلاء الافارقة الذين سموا ((الايبيريون)) اساس جنس البحر المتوسط ثم صار ملك الاندلس بعدهم الى مجموعة من الاقوام الهند و اوربية المسماة عجم رومة، وملكهم (اشبان بن طيطس) الذي هاجم الافارقة بالاندلس وحاصرهم بمدينتهم ((طالقة)) واخذ البلاد منهم، وابتنى اشبان هذا، مدينة ((اشبيلية)) التي سماها اول امره ((اشبانية)) واتخذها دار مملكته، فاستوى لهؤلاء الرومان الملك ببلاد الاندلس كلها، ولما استغلظ سلطان ((اشبان)) في الارض، وكثرت جموعه، غزا شمال افريقية كما غزا القدس الشريف، وكان خرج اليها في السفن واستولى عليها وهدمها، وقتل من اليهود الكثير، واسترق اكثر ونقل رخام

القدس الشريف الى الاندلس، ونقل مائدة سليمان بن داود، وقيل ان طارق بن زياد لقيها بكنيسة طليطلة عندما فتحها. **ووجد موسى بن نصير قليلة** الدربكنيسة **ماردة**، وكانت ضمن هذه الغنائم، وذكر ان هذه الغزوة كانت في نفس الوقت الذي **حزرفية نبوخذ نصر** ملك العراق فلسطين وكان ذلك قبل عهد الاسكندر المقدوني. وقد حكم الاشبان في بلاد الاندلس من الملوك **خمسة وخمسون ملكاً**.(١٢)

واستوطنت مجموعة من الاقوام الهند واوربية الاقسام الشمالية والغربية من اسبانيا، وكذلك اسس الفينيقيون مستعمرات لهم على السواحل الشرقية والجنوبية من بلاد الاندلس..

ثم استطاع الرومان السيطرة على اسبانيا، واخضعوا سكانها الاصليين واكسبوهم **الصبغة الرومانية** وقسموا هذه البلاد الى الولايات الادارية الاتية:-(١٣)

١ - ولاية باطقة في الجنوب وعاصمتها قرطبة.

٢ - ولاية لشدانة، وعاصمتها ماردة.

٣ - ولاية جيليقة في الشمال الغربي وعاصمتها براقرة.

٤ - ولاية طونوكة في الجنوب الشرقي، وعاصمتها طركونة

٥ - ولاية قرطاجنة في الجنوب، وعاصمتها قرطاجنة

٦ - ولاية موريطانيا الطنجية والجزائر الشرقية

وعندما ضعفت الامبراطورية الرومانية، وانقسمت على قسمين: شرقية وغربية سنة ٣٩٥م، بين ولدي الامبراطور ((ثيودوسيوس)) وهما : ((اركاديوس، وهنديوس)) وكثرت فيها الانقسامات الدينية، والفتن الداخلية، تجرأت الشعوب المسماة ((المتبربرة)) عليها، فتمكن الوندال، وهم من الشعوب الجرمانية من الاستيلاء على اسبانيا والتوطن فيها، ثم تطلعوا الى بلاد المغرب العربي في الشمال الافريقي فاستولوا عليها سنة ٤٢٨م بقيادة ملكهم (شلدريك) **مؤسس** دولة الوندال في المغرب العربي.(١٤)

غير ان الوضع لم يستقر للوندال في الاندلس كما ارادوا، فقد دخل القوط الغربيون هذه البلاد ، في اواخر القرن الخامس واوائل القرن السادس الميلادي واستوطنوها بعد ان اتخذوا برشلونة عاصمة لهم اول الامر.

وكان القوط اخر هذه الاقوام التي خلفت الامبراطورية الرومانية في حكم الاندلس، وكانت مواطنهم الاصلية اسفل نهر الدانوب في المنطقة المعروفة اليوم ((رومانية)) وقد تركز وجودهم في منطقة تقع الى الشمال من وسط اسبانيا، ولم يستوطنوا القسم الجنوبي ((باطقة)) الا باعداد قليلة. ومع ذلك فقد بقي القوط يشكلون اقلية صغيرة بالنسبة لعدد سكان البلاد الاصليين.(١٥)

وقد استمر القوط في الضغط على الوندال بالتعاون مع الامبراطورية الرومانية حتى استقر الوندال في الجزء الجنوبي الغربي من اسبانيا، ثم عبروا الى شمال افريقية حيث اقاموا دولتهم هناك، وكان الشمال الافريقي حينذاك يخضع لحكم الرومان ايضا وصارت قرطاجنة عاصمة لدولة الوندال في المغرب العربي.

وبعد ان استقر القوط في الاندلس، اتخذوا مدينة ((طليطلة)) دار ملكهم ودخلوا النصرانية عندما جاءهم الحواريون يدعونهم الى دين السيد المسيح، وبقي ملوك القوط يتتابعون على حكم الاندلس حتى دخل العرب عليهم وازالوا دولتهم على يد اخر ملوكهم المدعو ((الذريق))، وكان قد ملك منهم: سبعة وعشرون ملكاً وقيل: ستة وثلاثون، ومدة ملكهم بالاندلس: ثلثمائة واثنان واربعون عاماً. وقيل ان القوط هم من ولد ياجورج بن يافث بن نوح ، وقد اخذ العرب منهم الاندلس سنة ٩٢ هـ/ سنة ٧١١م(١٥)، وحافظ اهل الاندلس فيما بعد على قوام اللسان العربي، لانهم صاروا اما عرباً ، او مستعربين.(١٦).

اما حكم الوندال في المغرب العربي، فقد انتهى سنة ٥٣٠م عندما تظافرت المعارضة الوندالية مع عرب المغرب (البربر)، ضد اخر ملوك الوندال المدعو ((شيلدريك)) وكان البربر قد اصبحوا سادة المنطقة، وتجمعت حشودهم مع المعارضة، واشتبكوا مع جيش الملك في اول اشتباك سنة ٥٣٠م واعلن الثوار في ساحة المعركة سقوط الملك شيلدريك، ثم زحف المنتصرون على قرطاجنة العاصمة، وتم القبض على الملك العجوز وقتلوه مع انصاره، لكن الامبراطور البيزنطي ((جستنيان)) لم يرض على ذلك، وقرر استرجاع المغرب العربي لنفوذه ، فتم له ذلك عندما دخلت قواته مدينة قرطاجنة سنة ٥٣٣م(١٧)

ولم يكن الوندال اهل حضارة، بل كانوا شعباً همجياً عرف بوحشيته. وقسوته، ويعتبره المؤرخون اكثر الشعوب المتبربرة تخريباً وحباً لسفك الدماء.

وقد بقي المغرب العربي يخضع لحكم البيزنطيين حتى التحرير العربي لهذه البلاد على عهد اخر ملوكهم الامبراطور هرقل الذي صارت افريقية مركز اهتمامه ومحط آمال امبراطوريته.

وكانت افريقية قد شهدت في ايام الامبراطور هرقل ، حركة تبشيرية واسعة حيث ارسل المبشرين الى هذه الديار، ونشر المسيحية فيها وقد نجحوا في نشر هذه الديانة بين سكان المنطقة وصارت للبابا في هذه المناطق مكانة ونفوذ كبيرين، وفي اواخر هذا العهد ، انفصلت برقة وطرابلس الغرب عن الدولة البيزنطية بعد ان كانتا تابعين رسمياً لمصر منذ سنة ٥٨٢م(١٨).

ثالثاً : حالة الاندلس قبل الفتح :

كانت السلطة الرومانية في اسبانيا قد ضعفت كثيراً منذ بداية القرن الخامس الميلادي، بعد ان تعرضت هذه البلاد الى غزو القبائل الجرمانية لها والاستيطان فيها كالوندال وغيرهم وكثرت الحروب والمصادمات بين هذه القبائل البربرية، وكان القوط الغربيون اخر هذه القبائل التي بقيت في الاندلس حتى الفتح العربي.

قام نظام الحكم عند القوط على مبدأ الانتخاب لا الوراثة، وكان الملك هو الرئيس الاعلى للجيش، وهو السلطة التشريعية الوحيدة في البلاد ، وصار له الحق في تعيين الاساقفة وعزلهم من مناصبهم الدينية ، غير انه صارت لمجلس كنيسة طليطلة قوة كبرى في الحياة السياسية والدينية في مملكة القوط

وقد حافظ القوط الغربيون على التركيب الاجتماعي الذي كان قائماً في الاندلس خلال العصر الروماني. وظل المجتمع يتكون من اربع طبقات هي :ـ(١٩)

١ ـ النبلاء والاقطاعيون وكبار ملاك الاراضي وهم قلة.

٢ ـ الطبقة الوسطى وهي قليلة ايضاً

٣ ـ العامة، وهم الاغلبية الساحقة في المجتمع .

٤ ـ العبيـــد.

وقد تركزت الثروة بايدي الطبقة الاولى، في حين عاش العامة والعبيد واكثر ابناء الطبقة الوسطى في ضنك العيش ، وانعدمت المساواة بين ابناء المجتمع، واضطر العامة وصغار الملاكين الى العمل لدى النبلاء والاقطاعيين وسلموا لهم ممتلكاتهم لعجزهم عن ادارتها ومنافسة هؤلاء المتنفيذين، وبذلك ارتبط العامة بالارض التي يملكها الاقطاعيون حتى انهم صاروا|جزءاً منها يتوارثهم ابناء الملاكين كما يتوارثون اراضيهم عن ابائهم، اما حال العبيد في هذا المجتمع ، وهم كثرة، فقد كان اسوأ بكثير من حال العامة، حيث كانوا يعملون في جميع الاعمال التي يحتاجها اسيادهم من النبلاء والاقطاعيين. في البيوت والاراضي والخدمات الاخرى وفي كل مجال وفي اي وقت .

وشكل البيزنطيون نسبة من سكان الاندلس قبل الفتح العربي ، فقد جاؤا مع الجيش البيزنطي الذي ارسله الامبراطور جستنيان سنة ٥٥١م الى هذه البلاد لاخماد ثورة ضد ملك القوط ((اخيلا)) بهدف السيطرة على هذه البلاد من خلال استثمار الخلافات الداخلية فيها، وهو مافعلوه في ايطاليا ، وفي شمال افريقية من قبل اما اليهود، فقد شكلوا عنصرا اخر من عناصر السكان في اسبانيا قبل الفتح العربي، وقد تركز وجودهم في غرناطة وطليطلة وعلى طول ساحل البحر المتوسط حتى طركونة، غير انهم كانوا منبوذين في المجتمع والدولة لسوء تصرفهم واعمالهم الخربة وقد دفع هذا الامر حكومة

القوط الى معاملتهم معاملة سيئة ، حتى انهم جردوا من عبيدهم ومستأجريهم، واقصوا عن المناصب العامة وعن وكالة المزارع الكبيرة ، وربما كان ذلك بسبب محاولتهم السيطرة على القطاع الاقتصادي والتجاري في البلاد، والحيلولة بينهم وبين ان يكونوا قوة ذات، تأثير في الحياة العامة في الدولة. ولذلك حاول اليهود مرارا ، اشعال الثورة وبث الفوضى في البلاد، لكنهم لم يفلحوا في تحقيق اغراضهم ، واضطر الكثيرون منهم الى اعتناق المسيحية .(٢٠).

لقد ضعفت دولة القوط في الاندلس قبيل الفتح العربي كثيراً، وسادها الانقسام والتفكك والانحلال، وكثرت حركات التمرد والعصيان ضد ملك القوط، وتقاسم الاشراف ورجال الدين البلاد اقطاعات وتنازعوا على السلطة، وانصرف الحكام الى اللهو، واهملوا العامة، وجلس الفقهاء ورجال الدين للحكم، وادعوا لانفسهم الحق في عزل الملك اذا لم يستجب لقراراتهم، واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا اليها. سبيلاً لاضطهاد اليهود هناك ، وكان لليهود دور في اثارة الفوضى والاضطراب والانقسام في تلك البلاد.(٢١)

ثم ان بلاد الاندلس، تعرضت في اواخر حكم القوط، الى الكثير من الاوبئة والكوارث التي تفشت بين الناس، في السنوات: (٨٨، ٨٩، ٩٠ هـ) خاصة وقد ادى ذلك الى هلاك وموت اكثر من نصف سكان الاندلس.

ثم ساءت احوال الاندلس كثيراً عندما توفي ملك القوط ((غيطشة)) وذلك سنة ٧١٠م، حيث ترك ارملته وولدين صغيرين او ثلاثة، ونصب احدهم المدعو ((اخيلا)) على العرش، رغم معارضة رجال الدين والنبلاء لهذا التنصيب، بسبب عدم رغبتهم في اولاد غيطشة الصغار وكرههم لغيطشة نفسه، ورغم محاولات اخيلا التقرب من العامة بعد ان ابتعد عن رجال الدين والنبلاء الذين اساءوا الى العامة وحل مجالس الكنيسة، الا أنه لم ينجح في كسب التأييد له، ولذلك انصرف الى اللهو والترف والملذات، فاغتصب العرش احد القواد المدعو ((لذريق)) بتحريض من النبلاء.(٢٢)

غير ان لذريق لم ينجح في السيطرة على البلاد. لافلاس خزينة الدولة وحاجته الى المال، فضلا عن انتشار الفوضى والفساد في المملكة، وهذا الامر شجع العبيد على الهروب من ولاياتهم ومن اسيادهم، واكثر من ذلك هروبهم من الجيش القوطي الذي كانوا يشكلون الاغلبية العظمى بين صفوفه بصفة مجندين في اواخر القرن السابع الميلادي خاصة وقد وجد لذريق ومملكة القوط صعوبة في الوقوف بوجه حماسة العرب المسلمين وقوتهم واندفاعهم الى هذه البلاد وهم يحملون الاسلام والسلام للعالم اجمع.(٢٣).

هكذا كان حال الاندلس قبيل الفتح العربي لها في حين كان العرب بجوارهم في الشمال الافريقي يتمتعون بالاستقرار، وينعمون بالعدل والحياة الحرة الكريمة في ظل حكم الاسلام الخالد، وقد دفع هذا الامر سكان الاندلس، وبخاصة الطبقات الفقيرة والعامة، وحتى اليهود هناك، الى ان يتطلعوا الى الخلاص من نير حكم القوط، ولم تعد تهمهم التبدلات في الملوك والحكام، منذ تولى عيطشة العرش الى ان عزل سنة ٧٠٩م وماتلا ذلك من الصراع بين اخيلا ولذريق على ماتقدم.

لقد تطلع العرب الى بلاد الاندلس ، منذ ان تم لهم تحرير شمال افريقية العربي ووصولهم الى سواحل المحيط الاطلسي، فوقفوا على مضيق هرقل، ورنوا بابصارهم الى الولايات الاسبانية المطلة عليه، وكان قد مضى على حكم القوط الجائر لهذه البلاد زهاء قرنين من الزمن. فحاول العرب فتح هذه البلاد في النصف الثاني من القرن الاول الهجري، من جهة افريقية ، فاغاروا على سواحل الاندلس الجنوبية في عهد ملك القوط (فحبا) (سنة ٦٧٢ - ٦٨٠)، وقد تعرضت بلاد الاندلس الى الاضطرابات الداخلية والفوضى، وتولى الحكم هناك القائد ((لذريق)) الذي اصبح اخر ملوك القوط في الاندلس، وهو من غير العائلة المالكة في اسبانيا. وغرق في ملذاته وشهواته حتى نفرت منه القلوب، وانقسمت البلاد عليه وخالفه كثير من القواد والامراء ، وبخاصة اخيلا ابن الملك المخلوع الذي حاول استرداد عرشه المسلوب. في ظل كل هذه الظروف اجتاز العرب المسلمون مضيق جبل طارق وفتحوا الاندلس واقاموا دولتهم التي دامت هناك مايزيد على ثمانية قرون.(٢٤).

٤ ـ قوة المحاربين العرب ورغبتهم في مواصلة القتال بعد ان تم لهم تحرير مصر.
٥ ـ تحقيق رسالة السماء التي حملوها لدعوة الناس جميعاً للدخول في الاسلام. وتحريرهم من دياناتهم الوثنية القديمة.
٦ ـ تحقيق شيء من المغانم والمكاسب الاقتصادية الى جانب الشهرة والتفوق العسكري.
٧ ـ اضطراب احوال المغرب العربي، واشتعال نار الثورة ضد الامبراطورية البيزنطية وانفصال برقة وطرابلس عن الامبراطورية البيزنطية.

سار عمرو بن العاص نحو برقة، على راس جيش يتألف من اربعة الاف رجل من مختلف القبائل العربية التي اسهمت في تحرير مصر، وكان قائده عقبة بن نافع قد اجرى حملة استطلاعيه للمنطقة قبل ذلك، فدخل عمرو برقة، وكانت اخبار تحرير الشام ومصر على ايدي العرب، قد وصلت الى سكان المنطقة الذين تطلعوا الى الخلاص على ايدي العرب من الحكم البيزنطي البغيض، ولذلك اعلن سكان برقة ولاءهم للجيش العربي المحرر، واستسلموا للعرب المسلمين طائعين مختارين ، فصالحهم عمرو بن العاص على جزية بسيطة يؤدونها له ومقدارها دينار واحد على كل رجل لم يدخل الاسلام. وكانوا يبعثون بها اليه اذا جاء وقتها، ولم يدخل برقة جابي خراج حينذاك، وهذا يدل على انهم رحبوا بالعرب المحررين واطمأنوا اليهم.

ولما تم لعمر بن العاص، تحرير برقة صلحاً، دون مقاومة، شرع في تحرير طرابلس تمهيدا لتحرير شمال افريقية، فجهز جيشين : احدهما قاده بنفسه باتجاه طرابلس وقد سلك طريق الساحل، والثاني قاده عقبة بن نافع واتجه الى جوف البلاد حيث الواحات الداخلية التي اهمها واحة فزان. . فاستولى عمرو على سرت، ثم لبدة، ثم واصل سيره حتى ادرك طرابلس فحاصرها شهراً كاملاً، واستولى عليها، واستولت جيوشه على ودان وسبرت سنة ٢٣ هـ. (٢٦)

ثم كتب عمرو بن العاص، الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يعلمه خبر هذه الفتوحات ، ويستأذنه في تحرير افريقية، وذكر له في جملة ماكتبه : ((ان الله قد فتح علينا طرابلس، وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام، فان راى امير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه نفعل)) غير ان الخليفة رفض طلبه، وفضل ان يقف المسلمون عند هذا الحد من الفتوحات، وكفه عن المخاطرة بارواح المسلمين ، بما لاتعرف عقباه، وكان لابد لعمرو بن العاص من الاستجابة لامر الخليفة، فعاد الى مصر، واقام عقبة بن نافع، في هذه البلاد الصحراوية ببرقة حاكماً. يدعو الناس الى الاسلام. فاستجاب له الكثير من اهلها ودخلوا الاسلام راغبين.(٢٧)

الفصل الثاني

الطريق العربي الى الاندلس

اولاً : حملة عمرو بن العاص على مصر وبرقة

كان رسول الله محمد (ص) قد نجح في اقامة دولة العرب الموحدة في جزيرتهم تحت راية الاسلام الخالد، ووجه انظار خلفائه الراشدين لتحرير العراق، والشام ومصر وما وراء ذلك من الاقاليم، مما هي فيه من جهل وتخلف وفاقة، فلما تولى الخلافة ابو بكر الصديق (رض) ، وتم له القضاء على المرتدين داخل الجزيرة العربية، واعاد وحدتها وتماسكها، وجه جيوش العرب الى العراق والشام، وقد نجحت هذه الجيوش في تحقيق اهدافها الكاملة في خلافة عمر بن الخطاب (رض) بعد ان هزمت جيوش الفرس والبيزنطيين في العراق والشام بالمعركتين الفاصلتين القادسية واليرموك.

ثم ان عمر بن العاص الذي نجح في تحرير فلسطين، تطلع الى مصر وتحريرها من ايدي البيزنطيين، وعرض الامر على الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ومازال يلح عليه حتى استجاب لرغبته، فسار عمرو بن العاص بجيشه الى مصر سنة ١٨ هـ، وما لبث هذا القائد العظيم، ان دخل مصر وحررها من ايدي البيزنطيين بسقوط الاسكندرية سنة ٢٢هـ بايدي العرب المسلمين، وكانت اخر مراقلهم في مصر. ومنذ ذلك الوقت صارت مصر، قاعدة انطلاق الجيوش العربية الاسلامية باتجاه الشمال العربي الافريقي، ومن هناك كان العبور الى بلاد الاندلس.

ادرك عمرو بن العاص، بعد ان اكمل تحرير مصر، ضرورة حماية هذه البلاد من خطر البيزنطيين الكبير من جهة البحر، وكذلك من جهة الغرب حيث كانوا يوجدون في شمال افريقية العربي، ولذلك، كان عليه ان يفكر بجد بتحرير برقة وطرابلس من ارض ليبيا الحالية للاسباب الاتية:-(٢٥)

١ - ان برقة كانت تشكل امتداداً طبيعياً لمصر واقليما محتاخماً لها.

٢ - رغبة في حماية حدود مصر الغربية من خطر الروم هناك.

٣ - رغبته في الاستمرار بعملية الفتح والتحرير باتجاه الغرب امتدادا للفتوحات العربية الاولى وعمليات التحرير التي انطلقت من المدينة المنورة.

الطريق العربي إلى الأندلس
في الوطن العربي

استقر عمرو بن العاص بالفسطاط، مقر ولايته في مصر ، وصارت برقة قاعدة لجيش المسلمين في غرب مصر، وظل عمرو مقيماً بالفسطاط حتى استشهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ/ سنة ٦٤٥م. وتولى الخلافة عثمان بن عفان، وقد عزل الخليفة الجديد عمرو بن العاص عن ولاية مصر سنة ٢٥ هـ، وقلدها الى عبد الله ابن سعد بن ابي سرح.(٢٨)

ثانياً : حملة عبد الله بن سعد الى سبيطلة:

اتجهت سياسة الخليفة عثمان (رض) الى استكمال عمليات التحرير العربية في كل من ايران وشمال افريقية، واتاحة الفرصة للجيوش العربية ، لنشر الاسلام في هذه الديار وماوراءها من البلاد.

كتب عبد الله بن سعد بن ابي سرح، الى الخليفة عثمان (رض) يستأذنه في تحرير افريقية، ويطلب منه المدد، تردد الخليفة اول الامر، لكنه مالبث ان استجاب له بعد ان استشار الصحابة في ذلك سنة ٢٧ هـ، وعندها استنفر الخليفة المسلمين، وندبهم الى افريقية، وخرج في هذا الجيش جماعة من الصحابة منهم: معبد بن العباس بن عبد المطلب ، مروان بن الحكم، الحارث بن الحكم، عبد الله بن الزبير، المسور بن مخرمة بن نوفل، عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، واخواه عاصم وعبيد الله ، وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعهم كثيرون من قبائل: اسلم ، ومزينة، وبني سليم، وغيرهم من قبائل شتى، وأمّر عليهم الخليفة عثمان (رض) الحارث بن الحكم بن العاص، حتى يصلوا الى مصر ، فتكون القيادة عليهم جميعاً لعبد الله بن سعد بن ابي سرح بعد ذلك. (٢٩)

خرجت الحملة من مصر بقيادة عبد الله بن سعد، ومن انضم اليها من جند مصر، فصار عددهم عشرون الفا، واستخلف عبد الله على مصر، عقبة بن عامر الجهني، ولما وصلت هذه الجيوش الى برقة ، انضم اليها عقبة بن نافع وحاميته العربية هناك، ثم اتجهت الحملة نحو مدينة سبيطلة الواقعة الى الجنوب من موقع القيروان، وكانت سبيطلة، مقرا للحاكم البيزنطي هناك ويدعي ((جرجير)) او ((كريكوريوس)) وبعد معركة فاصلة بين الفريقين سنة ٢٧ هـ/ سنة ٦٤٧م، انهزم البيزنطيون، وقتل جرجير، ودخل العرب سبيطلة، ثم حرر عبد الله بن سعد المناطق المجاورة، لمدينة قفصة، وغيرها من القلاع والحصون المجاورة، ودفع اهلها الجزية للمسلمين، وتم ذلك سنة ٢٨ هـ.(٣٠)

ولما تحقق النصر للمسلمين في افريقية، وغنموا كثيراً من الغنائم، قرر عبد الله بن سعد ابن ابي سرج العودة الى الفسطاط مقر ولايته في مصر بعد ان غاب عنها قرابة خمسة عشر شهراً، وكتب الى نائبه في مصر عقبة بن عامر الجهني ، يأمره بارسال السفن الى

طرابلس لتحمل غنائم المسلمين، وسار هو وجيشه الى طرابلس من سبيطلة، حيث وافته السفن هناك ، وبذلك تكون حملة عبد الله بن سعد بن ابي سرح هذه، قد حققت تحرير الجزء الاكبر من بلاد افريقية (تونس)، وفتحت الطريق امام العرب باتجاه الغرب والجنوب من الشمال الافريقي.(٣١)

توقفت الفتوحات العربية في شمال افريقية بعد سنة ٢٨ هـ واستمر ذلك حتى سنة ٤١ هـ بسبب المشاكل الداخلية في داخل مقر الدولة ، فلما استقر الامر لمعاوية بن ابي سفيان بالخلافة بعد تنازل الحسن عنها في اواخر شهر ربيع الاول سنة ٤١هـ، استأنف العرب عملياتهم في الشمال الافريقي.

ثالثاً : حملة معاوية بن حديج على افريقية:

ولي عمر بن العاص ولاية مصر ثانية من قبل الخليفة معاوية بن ابي سفيان، فأستأنف سياسة التحرير اتجاه افريقية، وكانت قد خرجت عن طاعة العرب خلال هذه المدة، فارسل حملة بقيادة شريك بن سمي الى برقة سنة ٤٢هـ فاستعادها، وحملة اخرى بقيادة عقبة بن نافع الى غدامس فاستعادها ايضا في السنة نفسها. واخذوا في السنة التالية لتلك السنة: لبدة، وودان داخل الصحراء الليبية، كما فتحوا الواحات وفتحوا بعض بلاد السودان.(٣٢)

ولما توفي عمر بن العاص سنة ٤٣ هـ/ سنة ٦٦٣م، فصل معاوية بن ابي سفيان، ولاية افريقية عن مصر، وجعلها ولاية مستقلة ترتبط بدمشق مباشرة، وعين على مصر اخاه عتبة ثم عين بعده عقبة بن عامر الجهني سنة ٤٤ هـ/ سنة ٦٦٤م، وعين معاوية بن حديج قائداً لحامية افريقية، وعهد اليه مهمة ارسال الحملات الى شمال افريقية.(٣٣)

خرج معاوية بن حديج سنة ٤٥ هـ الى افريقية على راس جيش كثيف، عدته عشرة الاف مقاتل بينهم: عبد الملك بن مروان، عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم كثيرون من اشراف مصر وجندها،وسلك طريق عمرو بن العاص ، وطريق عبد الله بن سعد بن ابي سرح، حتى عسكر عند قمونية قرب موقع القيروان الى الجنوب من قرطاج (قرطاجنة) واشتبك مع قوات البيزنطيين الذين مالبثوا ان انهزموا عند اول اشتباك، وحرر العرب المسلمون مدينة سوسة وغيرها من المناطق المجاورة، ثم سار الجيش كله نحو مدينة بنزرت فدخلها ثم وجه معاوية بعض سفنه الى جزيرة صقلية سنة ٤٦هـ. غير انه لم يتح لهذا القائد ان يستكمل تحرير افريقية، اذ عزله معاوية بن ابي سفيان سنة ٤٨ هـ، وولي على افريقية عقبة بن نافع، وكان عقبة يقيم حينذاك في مكان، مابين برقة وزويله من ارض ليبيا الحالة .(٣٤)

رابعاً : حملة عقبة بن نافع وبناء القيروان:

خرج عقبة بن نافع في حملته الكبرى، سنة ٤٩ هـ على راس جيشس كبير يتألف من: فرقته التي فتح بها فزان، وتتألف من (٤٠٠) اربعمائة فارس، والجيش المرابط بمدينة سرت من اقليم برقة، والمدد الذي ارسله اليه معاوية بن ابي سفيان، وعرب المغرب (البربر) الذين دخلوا الاسلام منذ ان حرر عمرو بن العاص برقة سنة ٢٢ هـ وحسن اسلامهم ، واتجه نحو الغرب بهذه الجيوش، يرافقه اربعة من قادة العرب المشهورين وهم : بسر بن ارطأة الفهري، وشريك بن سمي المرادي، وعمر بن علي القرشي، وزهير بن قيس البلوى، وعسكر في سرت للراحة، ثم جانب طريق الساحل في مساره، فوصل الى جنوب افريقية (تونس) فاخذ قفصه ثم وصل الى مكان القيروان الذي اختاره ليقيم هذه المدينة فيه سنة ٥٠هـ لان عقبة راى، انه يتحتم على العرب لتحرير هذه البلاد، انشاء قاعدة عربية اسلامية في افريقية، يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم، وتكون عزا للاسلام الى اخر الدهر. فجمع عسكره وخطب فيهم قائلا: ان افريقية اذا دخلها امام اجابوه الى الاسلام، فاذا خرج منها، رجعوا عنه وخرجوا عن طاعته، فارى لكم يامعشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة تكون عزا لكم الى اخر الدهر)). فاتفق الناس على ذلك، على ان يكون اهلها ، مرابطون، ثم اختط عقبة المسجد الجامع، ثم دار الامارة، ثم اختطت القبائل العربية منازلها حولها، وبدأوا في بناء المدينة الذي استغرق خمس سنوات، وكان موقعها وسطاً بين البحر والصحراء.(٣٥)

لقد شعر سكان هذه البلاد، بقوة المسلمين، واجتذبتهم المدينة الجديدة ثم اثرت فيهم شخصية عقبة القوية، فاخذوا يقتربون من المسلمين، واسلم منهم عدد كبير، وبهذا نشأت في تونس جماعة اسلامية من السكان المحليين، وكانت خطوة حاسمة في تحويل المغرب الى الاسلام.

فلما اتم عقبة بن نافع بناء مدينة القيروان بوصفها نقطة ارتكاز عربية في هذه المنطقة، واستعد للحرب على نطاق واسع نحو المغرب العربي القصي فاجأه معاوية بن ابي سفيان بالعزل سنة ٥٥ هـ/ سنة ٦٧٤م نتيجة لسعاية والي مصر مسلمة بن مخلد الانصاري، الذي كان يغار من عقبة ويحسده، وضمت ولاية افريقية الى مصر، فاستعمل والي مصر على افريقية، مولاه ابا المهاجر ديناراً، فقدم ابو المهاجر من مصر الى القيروان في جيش من اهل الشام ومصر، وسجن عقبة، واساء معاملته ، فلما بلغ ذلك الى الخليفة معاوية كتب الى ابي المهاجر مباشرة بأمره باخلاء سبيل عقبة. واشخاصه الى دمشق ، فاطلقه ابو المهاجر وارسله في صحبة بعض اصحابه الى قابس حيث واصل عقبة السير حتى وصل دمشق.(٣٦)

خامساً : حملة ابو المهاجر دينار على الجزائر :

واصل ابو المهاجر دينار **عملية التحرير** باتجاه الغرب، فقاد حملة الى غربي الجزائر سنة ٥٥هـ / سنة ٦٧٥م ، واستولى على تلمسان بعد ان دحر الحاكم البيزنطي هناك المدعو ((كسيلة)) واسره، ثم عاد الى القيروان ومعه كسيلة ، وكان قد دخل الاسلام، ونجح ابو المهاجر كذلك في خلق نوع جيد من التعاون بين الفاتحين عرب المشرق ، وبين عرب المغرب الذين صاروا قوة جديدة وفعالة لاستكمال عملية التحرير ونشر الدين الاسلامي في هذه البلاد.

ثم بدأ ابو المهاجر دينار بعد ذلك بمهاجمة البيزنطيين في ساحل تونس الشمالي ، فهاجم قرطاج سنة ٥٩ هـ/ سنة ٦٧٨م، وحاصرت قواته ايضا جزيرة شريك بين تونس وسوسة، فاضطر البيزنطيون الى عقد مصالحة معه، اعطوه بموجبها جزيرة شريك على ان يرفع الحصار عن قرطاج، وصالحه ايضا كثير من اهل القلاع والحصون هناك ثم عاد الى القيروان بعد ان استغرقت **حملته** سنتين، واقام فيها عاماً واحداً حتى عزل سنة ٦٢ هـ .(٣٧)

عزل ابو المهاجر دينار بامر الخليفة يزيد بن معاوية، وذلك بعد وفاة والي مصر مسلمة بن مخلد الانصاري، وكان يزيد، يدرك فضل عقبة بن نافع على الاسلام، وحسن بلائه في تحرير افريقية، فرد عقبة بن نافع ثانية الى ولاية افريقية بعد عزل ابي الماجر دينار، وفصلها عن ولاية مصر.

سادساً : حملة عقبة بن نافع الى طنجة:

وصل عقبة بن نافع الى القيروان من مصر ومعه جيش من المسلمين، من بينهم عدد من اصحاب الرسول (ص) . وقبض على ابي المهاجر دينار وقيده، وصادر مامعه من اموال، ثم خرج عقبة من القيروان في عسكره، وعدته خمسة عشر الف جندي، واستخلف على القيروان، زهير بن قيس البلوي، وعمر بن علي القرشي، على راس حامية من المسلمين عدتها ستة الاف، وزحف بجيشه نحو الغرب، واخذ معه ابا المهاجر ديناراً مقيداً وكيسلة، وسارت الحملة الى الشمال من جبال الاوراس ثم اتجهت الى الزاب حيث دحرت تجمعاً مشتركاً للبيزنطيين وحلفائهم المحليين بالقرب من تاهرت، وظفر المسلمون بغنائم كثيرة ، ثم زحف عقبة على وادي المسيلة وقاتل الروم هناك وهزمهم ايضا، وبذلك قضى عقبة على مقاومة الروم في المغرب الاوسط (الجزائر)، ومضى في طريقه متجهاً الى طنجة، فبلغها بعد ان اكتسح كل مقاومة في طريقه من امم وطرائف ، لاتروعه كثرة، ولا تعتريه واصحابه سآمة ولا كثرة.(٣٨)

وكان يحكم سبتة وطنجة ، رجل من الروم يدعي ((جوليـان)) او ((يليـان)) فصـالحـه عقبة وهادنه، ثم اتجـه عقبـة بعـد طنجـة الى بلاد السوس الادنى والسوس الاقصى بـاتجـاه الجنوب الغربي، لقتال قبائل صنهـاجـة ومصموده الوثنيـة وقتهـا، فوصل الى وادي درعـا، ووادي السوس، ومنهـا وصل الى سـواحـل المحيـط الاطلسي بـالقرب من مـدينـة اغـادير الحـاليـة، وادخل فرسـه في مـاء البحر حتى بلغ المـاء بطن فرسـه، ورفع عقبـة يـديـه الى السماء، وقال : يارب، لولا ان البحر منعني لمضيت في البلاد الى مسلـك القرنين، مـدافعـاً عن دينك مقاتلاً لمن كفر بك)).(٣٩)

ولمـا ادى عقبـة رسـالتـه في تحرير المغرب الاقصى، عـزم على العـودة بعسـاكره الى القيروان، غير ان الروم واعـوانهم من ابنـاء البـلاد الـذين انقلبـوا عن الاسـلام وحرضهم كسيلـة الـذي فر من معسكر عقبـة على التمرد، حشـدوا جموعـاً ضخمـة وهـاجموا مـدينـة القيروان ثم تصدوا لجيش عقبة العائد اليها، والتقى الجيشـان عنـد مـدينـة تهودة المجـاورة لجبـال الاوراس في المغرب الاوسـط، وقـد بلغ جيش الاعـداء خمسين الفـا، فطوقوا جيش عقبـة القليـل المتعب ، فلمـا احس المسلمـون بـالخطر، نـزلـوا عن دوابهم، وكسروا اغمـاد سيوفهم ودارت المعركة بين الفريقين سنة ٦٣ هـ او سنة ٦٤هـ استشهد فيها عقبة بن نافع وابو المهاجر دينار وسيفـاهمـا في ايـديهما، واستشهـد معهما عـدد كبير من المسلمين، وزحف الاعداء الى القيروان، وعظم البلاء على المسلمين هناك.(٤٠)

وعندمـا وصلت انبـاء استشهـاد عقبـة بن نـافع الى القيروان، انقسم العرب فيهـا على قسمين: الاول برئـاسـة زهير بن قيس البلـوي، وكان يريـد البقـاء في القيروان والقتـال، والثاني برئاسـة حنش بن عبـد اللـه الصنعـاني ويمثل الاكثريـة، وكان يفضل الانسحـاب والعودة الى مصر وبخاصـة انصـار ابي المهـاجر دينـار، اضطر عنـدهـا زهير واتبـاعـه على الانسحاب من القيروان سنة ٦٤ هـ بهدف حماية بقيـة الجيش العربي من سيوف الاعـداء، ونـزل بقصره في برقـة، واقـام هنـاك مرابطـاً، الى ان تـولى عبـد الملـك بن مروان الخلافة.(٤١)

اما كيسلة واتباعـه ، فقـد دخلوا القيروان دون قتـال بعـد ان انسحب منهـا العرب، وذلك سنة ٦٥هـ ، واستمر فيهـا حتى ٦٩ هـ، سيطر خلالهـا على القسم الـداخلي من البلاد في حين استعاد البيزنطيون سيطرتهم على الساحل، وكان التفاهم والتعاون بينهما قائمين.

اهتم عبد الملـك بن مروان الـذي ولي الخلافـة سنـة ٦٥ هـ بـاستعـادة مجـد العرب في المغرب. على كثرة مشاغله بالمشرق، وقد سبق له وان شارك في تحرير افريقية ضمن حملة معاوية بن جديح عندما كان شاباً، وعز عليـه ان تضيع هـذه البلاد من ايـدي المسلمين،

فعين زهير بن قس البلوي واليا على افريقية بعد عقبة بن نافع، وذلك سنة ٦٩، وعهد اليه مهمة استكمال سياسة عقبة واستعادة مافقده العرب هناك. وكان زهير مازال مقيماً في برقة بعد انسحابه من القيروان ينتظر الامدادات والجند من الشام ومصر.(٤٢)

خرج زهير من برقة الى افريقية سنة ٦٩هـ في عسكر ضخم بعد ان وصلت اليه الامدادات والجيوش والاموال من الشام والحجاز ومصر. والتقي الروم وكيسلة بالقرب من القيروان ، وكان كيسلة واتباعه قد خرجوا منها وعسكروا مع الروم في ميس، فلما دارت المعركة بين المسلمين وحلف الاعداء، قتل كسيلة وانهزم اصحابه، وانهزم الروم، ودخل زهير القيروان واستعاد المسلمون المغرب الاوسط (الجزائر) بكامله، وانحاز الروم وحلفاؤهم الى المغرب الاقصى، ولجأوا الى القلاع والحصون، بعد ان كسرت شوكتهم، ثم عاد زهير الى القيروان، ومنها عاد الى برقة، وقد زهد في الامارة، وأثر العودة الى مصر ليستقر فيها، غير ان الروم داهموه في طريق العودة على الساحل، وهو في قلة من اصحابه فقاتلهم حتى استشهد هو وعدد من اصحابه وذلك سنة ٧١ ه .(٤٣)

سابعاً : ولاية حسان بن النعمان على افريقية :

ظل عبد الملك بن مروان، يدرك اهمية استعادة نفوذ المسلمين على افريقية العربية ، فلما استشهد زهير في برقة، امر عبد الملك بتجهيز الجيوش التي زادت على اربعين الفاً، معظمهم من جند الشام، وعهد بقيادتهم الى حسان بن النعمان، وجعله قائداً على جيوش افريقية، وذلك سنة ٧٤ هـ، وامره بالاقامة بادئ الامر في مصر، فظل الجيش هناك على اهبة الاستعداد حتى سنة ٧٦ هـ/ سنة ٦٩٥م حيث سار حسان الى برقة، ثم الى طرابلس ، ثم دخل القيروان دون مقاومة. ثم توجه الى قرطاج، قاعدة البيزنطنيين الرئيسية على الساحل، فأخذها وفر معظم من كان بها من الروم الى صقلية والاندلس، واستولى حسان على معظم مدنهم وحصونهم، ولما نزل الساحل حيث مكان تونس الحالية، افتتحها وسماها تونس، ثم عاد حسان الى القيروان.(٤٤)

ثم وجه حسان اهتمامه الى عرب المغرب (البربر) في الداخل، وقد تجمعوا حول الكاهنة في جبال الاوراس، وكانت لحركتها المعارضة للعرب المسلمين، علاقة بحركة كسيلة، وربما ثارت في منطقتها بسبب مقتل كسيلة على ايدي المسلمين، لكنه لم يستطع القضاء عليها اول الامر، واضطر الى الانسحاب الى منطقة طرابلس، وعسكر بالقرب من سرت ، قرابة خمس سنوات بانتظار الامدادات من الخليفة عبد الملك بن مروان، فلما وصلت اليه الامدادات بعد ذلك سار بحملته الثانية الى شمال افريقية والتقي جيش الكاهنة، عند

مدينة قابس ، اندحرت فيها الكاهنة، وهربت الى جبال الاوراس حيث قتلت هناك، ثم عاد حسان الى القيروان سنة ٨٢هـ/ سنة ٧٠١م. ثم زحف الى قرطاج واستعادها من البيزنطيين.(٤٥)

وبعد ان نجح حسان في اخماد حركة الكاهنة في الداخل، وطرد البيزنطيين من الساحل، عمد الى زيادة التفاهم والتقارب والتعاون بين سكان البلاد الاصليين وبين الفاتحين، بين عرب المشرق وعرب المغرب (البربر)، وعرض على البقية من البربر الذين لم يدخلوا الاسلام بعد، الصلح، واهتم بنشر الاسلام بينهم، وجند منهم كثيرين لعبوا دوراً مهما في الفتحوحات العربية اللاحقة في افريقية والاندلس الى جانب العرب،ونظم حسان الديوان والضرائب التي فرضت على غير المسلمين هناك.

لقد انشأ حسان مدينة تونس، لتكون مدينة عربية على ساحل البحر عند مدخل قرطاج، وعلى بعد (١٢) ميلاً الى الشرق منها، وكان موقعها القديم يسمى ((ترشيش)) فصارت تونس قاعدة بحرية للاسطول العربي في شمال افريقية، ثم طلب حسان، العمال من مصر ، لانشاء دار السفن فيها، وشيد فيها مسجداً جامعاً ودارا للامارة وثكنات للجند للمرابطة، وفضلا عن ذلك فقد نظم حسان ولاية افريقية اداريا، وبعث عماله الى سائر بلاد المغرب العربي، وعمل على نشر الدين الاسلامي واللغة العربية بين سكان المنطقة ، واقبل عرب المغرب (البربر) على الاسلام ولغة القرآن. في حماس منقطع النظير، وحسن اسلامهم وجندهم في عسكره حتى صار اكثر جنده منهم ، وهكذا حرر حسان بلاد المغرب العربي ، وحول افريقية الى ولاية عربية اسلامية، بعد ان كانت رومانية بيزنطية، واستقلت عن ولاية مصر ، غير ان سياسة حسان هذه لم ترض عبد العزيز بن مروان والي مصر واخا الخليفة ، فعزله عن ولاية افريقية، وولى مكانه موسى بن نصير سنة ٨٥هـ.(٤٦)

ثامناً : ولاية موسى بن نصير على افريقية:

توجه موسى بن نصير من مصر الى افريقية واليا سنة ٨٥ هـ، وسار معه عدد من المتطوعين من مصر، وقد عزم على اخضاع هذه البلاد عنوة او صلحاً ، وسار معه بعض قادة العرب المشهورين منهم، بسر بن ارطأة، واولاد عقبة بن نافع: ابو عبيدة، وعياض وعثمان، وكذلك محمد بن اوس الانصاري، وطارق بن زياد، وابو مدرك زرعة بن ابي مدرك، وسليمان بن ابي المهاجر دينار، وعياش بن اخيل، والمغيرة بن ابي بردة، وعبد الرحمن بن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وابناء موسى بن نصير نفسه وهم: مروان، عبد الله، وعبد العزيز، وعبد الاعلى، وعبد الملك.(٤٧)

واصل القائد موسى بن نصير لما دخل القيروان، سياسه حسان من قبل الهادفة الى تحقيق التعاون الاخوى والودى بين عرب المشرق وعرب المغرب ووجه اهتمامه الى صد خطر البيزنطيين من جهة البحر من خلال انشاء قوة بحرية عربية كبيرة هناك ٠ كما ابتدأ بارسال الحملات العسكرية الى القلاع الحصينة للمعارضة في اطراف القيروان٠ وبعد ان اخضع منطقة تونس، واستعاد نفوذ العرب على جميع بلاد المغرب الاوسط (الجزائر)٠ اتجه الى الغرب صوب مدينة طنجة، فأخذ في طريقه منطقة فاس، ثم ارسل حملتين الى السوس الاقصى، وزحف هو ومعه طارق بن زياد بجنده الى طنجة، فحررها ، ثم توجه نحو الجنوب ، فوصل الى السوس الادني، ووادي درعا، ثم عقد صلحاً مع جوليان حاكم سبتة، واقره عليها مقابل اعترافه بالحكم العربي الاسلامي ، ثم عاد موسى الى القيروان ، تاركاً طارق بن زياد حاكاً على طنجة ومعه حامية من الجند تتكون من عرب المشرق والمغرب، وكان ذلك سنة ٩٠هـ/ سنة ٧٠٨م، وصار العرب المسلمون على بوابة المضيق وتطاولت انظارهم الى الاندلس.(٤٨)٠

الفصل الثالث

الفتح العربي للاندلس

اولاً : عملية العبـور :

كانت حركات التحرير التي قام بها موسى بن نصير في افريقية، قد رفعت من مكانته عند الخليفة عبـد الملـك بن مروان، كما رفعت منزلتـه كثيراً بين العرب والمسلمين عمومـاً ، فلما توفي الخليفة عبد الملك سنة ٨٦ هـ، وقام ابنه الوليد بالخلافة، بعث موسى بالبيعة الى الوليـد، فكتب الـوليـد اليـه يقره بـولايـة افريقيـة والمغرب، وكان مـوسى بن نصير يقيم بالقيروان وجعل طارقاً على طنجة نائباً عنه هناك، ومعه جيش عربي اسلامي بينهم من يعلم النـاس القرآن والفرائض الـدينيـة، وكانت طنجـة حينـذاك قصبـة بـلاد المغرب وام مدائنهم.(٤٩).

صارت المغرب ولاية مستقلة لموسى بن نصير، بعد وفاة الامير عبـد العزيز بن مروان والي مصر خاصة، واقام موسى على القيروان قـاضيـاً اسمـه ابو الجهم عبـد الرحمن بن رافع التنوخي، وبقيت سبتـه التي كان يحكمهـا جوليـان خـارج نفوذه المبـاشر لمنـاعتهـا وشـدة تحصيناتها، واستعصت اول الامر على العرب.

وكان جوليان (يليان) حاكماً عاماً من قبل الدولـة البيزنطيـة على ولايـة موريطـانيـا الطنجية (سبتة وطنجة)، فلمـا عجزت الـدولـة البيزنطيـة عن حمـايتـه من العرب الـذين حرروا المغرب العربي، ولى وجهه شطر اسبانيا القوطيـة واقـام علاقـاتـه مع دولـة القوط هذه لطلب المساعدة منهم ضد اعدائه بافريقية العربيـة نظراً لصعوبـة وصول الامـدادات اليه من القسطنطينية فضلاً عن بعدها عنـه، وكان جوليـان قـد حكم هـذه الولايـة مـدة طويلة واقام علاقات طيبة مع سكان المنطقة حتى توهم البعض انه منهم، غير ان معاونـة الاسبان ، لجوليان، لم تكن كافية للوقوف بوجه القوة العربية الجديدة.(٥٠)

وعندما اضطربت احوال اسبانيا، واشتعلت نيران الثورة في طليطلة وغيرها من مدن الانـدلس، وامعن لـذريـق الـذي استـولى على عرش القـوط من ابنـاء الملك غيطشـة، في مطاردة انصار الملك المخلوع، بالاذى ، وفر الكثيرون منهم والتمسوا سبل النجـاة الى اقصى

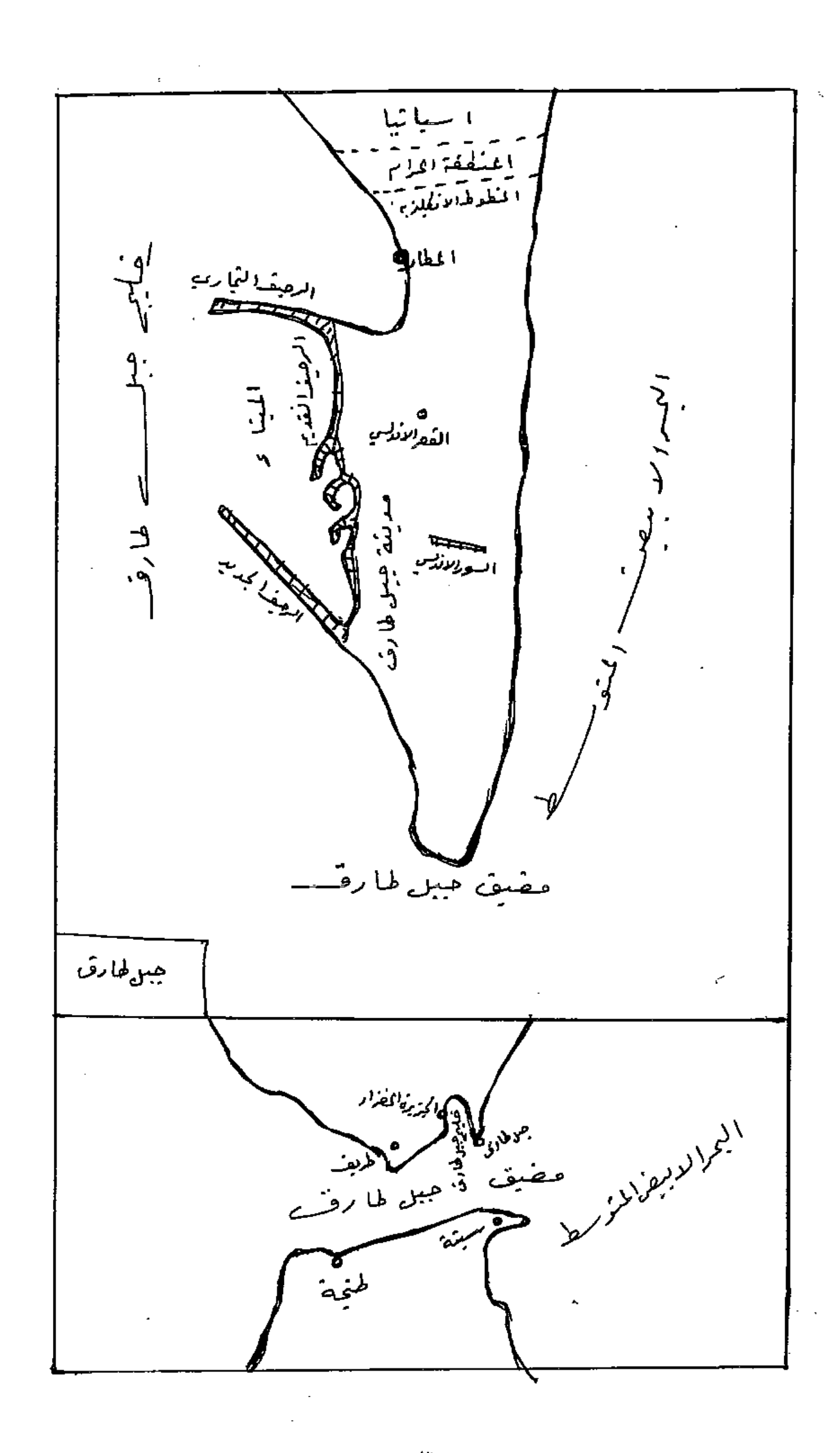
الشمال من اسبانيا ، والى سبتة ، ولاذوا بحماية جوليان، شجعهم جوليان على الاتصال بالعرب، وحث العرب على فتح الاندلس على امل استرداد العرش لملكهم المخلوع وكان العرب لما تم لهم تحرير شمال افريقية من البيزنطيية ونشروا الاسلام فيها قد تطلعوا الى بلاد الاندلس بهدف فتحها للاسلام وتحرير سكانها من ظلم وطغيان حكامهم واضطر جوليان ازاء قوة العرب هذه٠ على الاتصال بطارق بن زياد الذي اقامه موسى بن نصير واليا على طنجه واعرب له عن استعداده لمساعدتهم في فتح الاندلس وهون عليه ماكان يدور في ذهن العرب من صعوبات العبور.(٥١)

على ان اكثر المصادر العربية لفتح الاندلس، تشير، الى ان جوليان توجه بنفسه الى طنجة لمقابلة طارق بن زياد، وانه عرض عليه المساعدة في دخول العرب الاندلس، ولم يتردد طارق في الاتصال فوراً بقائده موسى بن نصير الذي كان يقيم في القيروان، وابلغه ماكان من امر جوليان فرحب موسى بما عرضه جوليان الى طارق، وبخاصة انه كان يرغب في تحقيق المزيد من الفتوحات لنشر الاسلام، فضلا عن رغبته في ارضاء الخليفة الجديد الوليد بن عبد الملك عليه٠

كتب موسى بن نصير الى الخليفة الوليد يعلمه بما تم له من تحرير في المغرب العربي، واستقرار الامر للعرب المسلمين هناك، ويعرض عليه فكرة فتح الاندلس، فكتب اليه الوليد بعد تردد، ان ابدأ بالسرايا حتى تستكشف امرها، لانه كان يخشى على المسلمين من هذه المغامرة الخطرة٠

وبعد ان اخذ موسى بن نصير موافقة الخليفة الوليد، بدأ عملية الفتح في رمضان سنة ٩١ هـ واختار احد كبار قواده، واسمه طريف بن مالك المعافري ، ويكنى ابا زرعة ، وهو عربي اصيل ، وجعله على راس سرية استطلاعية مؤلفة من خمسائة مقاتل منهم (٤٠٠) اربعمائة من المشاة و (١٠٠) مائة من الفرسان، وجاز البحر في اربع سفن اعدها جوليان، ونزل طريف على جزيرة في مدخل الزقاق اسمها (لاس بالوماس) والتي سميت جزيرة طريف بعد ذلك ، وهي على مقربة من مدينة طريف على ساحل الاندلس ومنها شن طريف ورجاله سلسلة من الغارات على الساحل الجنوبي للاندلس المقابل لساحل سبتة فيا بين طريف والجزيرة الخضراء، ثم عاد طريف سالماً الى افريقية ومعه الغنائم الكثيرة، بعد ان اقتنع تماماً بضعف وسائل الدفاع في الاندلس.(٥٢)

اشتد عزم موسى بن نصير على فتح الاندلس، بعد عودة حملة طريف سنة ٩١/ سنة ٧١٠م واختار لهذه الحملة احد قواده المشهورين بحسن القيادة والبلاء هو طارق بن زياد،، وهو عربي من قبيلة صدف، وقيل هو من عرب المغرب، وكان طارق، طويل القامة، ضخم الهامة ، اشقر اللون، وكان موسى يثق به كل الثقة، ويعتمد عليه كثراً ،


اسبانيا
المنطقة الحرام
المطار
الرصيف التجاري
خليج جبل طارق
الرصيف القديم
الميناء
القصر الاندلسي
مدينة جبل طارق
السور الاندلسي
الرصيف الجديد
البحر الابيض المتوسط
مضيق جبل طارق
جبل طارق
الجزيرة الخضراء
طريف
جبل طارق
مضيق جبل طارق
البحر الابيض المتوسط
سبتة
طنجة

حتى انه اثره لقيادة عملية فتح الاندلس على غيره من قادة العرب العظماء هناك، بما فيهم طريف بن مالك وغيره. ويعد اختيار موسى لطارق، مأثرة من مآثره الكثيرة، فقد كان لطارق شأن كبير في حركات التحرير العربية في بلاد المغرب العربي وبخاصة تحرير حصون المغرب الاقصى حتى المحيط الاطلسي، فضلاً عن انه توسم فيه صدق العزيمة وقوة الشكيمة، وشدة البأس، وصلابة العود.(٥٣)

ابحر طارق من ميناء سبتة سنة ٩٢ هـ/ ٧١١ م في اربع سفن اعدها جوليان حاكم سبتة ووضعها في خدمة العرب، فضلاً عن بعض قطع الاسطول العربي الذي انتجته دار صناعة السفن في تونس، ومعه سبعة الاف مقاتل من عرب المشرق والمغرب والموالي. وبدأت السفن تنقل الرجال والخيل بين شاطي الزقاق المائي ولما اجتازوا المضيق (١٣ ميلاً)، نزلت جيوش طارق على جبل منيع على شاطيء البحر يسمى جبل ((كالبي)) او ((صخرة الاسد)) الذي عرف من ذلك الحين باسم ((جبل طارق)) او ((جبل الفتح)) وماكادت حشود المسلمين تتجمع في ادنى الجبل، حتى بادر طارق بانشاء قاعدة لجيشه ومرسى يصل بينه وبين سبتة واقام حول الجبل المسمى باسمه سوراً سمي ((سور العرب)).(٥٤).

وذكر ان طارق اخذ وهو على ظهر السفينة ، يدعو الله والرسول (ص) نصره في هذه المهمة، وبينما هو في ذلك، اخذته سنة من النوم ، فرأى في منامه النبي محمداً (ص) وحوله المهاجرين والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي، وقال الرسول (ص): ياطارق تقدم لشأنك ونظر طارق اليه والى اصحابه قد دخلوا الاندلس امامه «ثم هب طارق من نومه مستبشراً وهو لايشك بالنصر. (٥٥)

ثانياً : عمليــة الفتــح :

بدأ طارق عملية الفتح العربي للاندلس، بعد ان ثبت اقدامه على ساحل الاندلس الجنوبي واقام قاعدته الرصينة عند جبل طارق، فبعث فرقة من جنده بقيادة عبد الملك بن ابي عامر سارت بحذاء الساحل باتجاه الشمال الغربي، فاستولت على قرية حصينة تعرف باسم ((قرطاجنة الجزيرة)) تقع عند مصب نهر صغير يصب في خليج يحاذي جبل طارق، يسمى وادي البحر، ثم زحف طارق غرباً واستولى على المنطقة المحيطة بقرطاجنة، واقام لقواته قاعدة في موضع يقال له الجزيرة الخضراء اقيمت عليه هذه المدينة فيما بعد. وعهد طارق الى جوليان وجنده، وقد عبروا معه، حراسة هذه القاعدة وحمايتها من هجمات القوط.(٥٦)

وعندما بلغت اخبار نزول العرب بالاندلس، الى لذريق ملك القوط في اسبانيا، وكان وقتها منشغلاً بحرب اعدائه في داخل البلاد وشمالها ، كر راجعاً الى عاصمته طليطلة، وزحف بجيوشه نحو المسلمين ، وقد بلغت (١٠٠) مائة الف مقاتل، وقيل (٧٠) سبعين الف مقاتل او (٤٠) اربعين الف مقاتل، فلما علم طارق بذلك الحشد الكبير ، كتب الى قائده موسى بن نصير يستمده ويخبره بالفتح وانه، ملك المجاز الى الاندلس، ويذكر له زحف لذريق بجيوش لاقبل له بها ، فارسل موسى مدداً من خمسة الاف مقاتل من المسلمين ، فصار جيش طارق بالاندلس (١٢) اثني عشر الف مقاتل.(٥٧)

عسكر لذريق غرب مدينة طريف بالقرب من بحيرة خندة على طول نهر برباط الذي يخترق البحيرة ليصب في البحر، ويسميه العرب ((وادي لكة)) او ((بكة)) تحريفاً للكلمة الاسبانية ((Laga)) التي تعني البحيرة بالقرب من مدينة شذونة، والتقى الجيشان يوم الاحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ/ ١٩ تموز ٧١١م ، اي بعد (٨٣) يوماً من نزول المسلمين بجبل الفتح، ودارت المعركة بين الفريقين عدة ايام انتهت بهزيمة لذريق وجنده هزيمة نكراء .

وكان يسير مع طارق جوليان ليدله على مسالك البلاد وعوراتها، وكان لما التقي الجمعان على نهر لكة، وازداد طارق حماسة واستبسالاً، قام في اصحابه خطيباً فحمد الله واثني عليه، والقي خطبته الخالدة التي حث فيها جنوده على الجهاد والتمسك بالصبر ومناهم الاماني الطيبة، وبشرهم بما يغنمون من البلاد، ويصيبون من الغنائم، وينعمون في الدنيا والاخرة فقال :ـ(٥٨)

((ايها الناس، اين المفر، البحر من ورائكم، والعدو امامكم، وليس لكم والله الا الصدق والصبر، واعلموا انكم في هذه الجزيرة ، اضيع من الايتام في مأدبه اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته، واقواته موفورة، وانتم لاوزر لكم الا سيوفكم ، ولا اقوات لكم الا ماتخلصونه من ايدي عدوكم ، وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً، ذهب ريحكم، وتقوضت القلوب من رعبها فيكم، والجرأة عليكم، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة ، بمناجزة هذا الطاغية، وان انتهاز الفرصة فيكم لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت، واني لم احذركم امراً انا عنه بنجوة، حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس ، ابدأ بنفسي، واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا، استمتعتم بالارفه الالذ طويلا، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عنواناً ،ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً، ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته، واظهار دينه بهذه الجزيرة، ليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه، ومن دون المسلمين سواكم، واعلموا اني اول مجيب لما دعوتكم اليه، اني عند ملتقى الجمعين، حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله)).

اما لذريق ، فكان محمولاً في سرير الملك على دابتين، وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد ، تحف به الاعلام من كل جانب ، وبين يديه جنده الكثيف في حين اقبل طارق بن زياد على بساطته للمعركة يحف به اصحابه الذين غمر قلوبهم الايمان ، وعليهم الزرد، وفوق رؤسهم العمائم ، وقد امتشقوا السيوف ، وتقلدوا الرماح، وتقابل الفريقان ، العربي الاسلامي ، والاسباني، فحمل جند طارق على العدو، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى هزموهم، ثم هجم طارق على لذريق ، فضربه بسيفه وقتله، وقيل ان لذريق جرح من جراء هذه الضربة، فرمى بنفسه في وادي لكة، فغرق، وحمل النهر جثته الى المحيط، وظلت نهايته سرا غير معروف بشكل دقيق، فحلت الهزيمة بالاسبان، وتفرقوا ايدى سبأ(٥٩)

ثم اندفعت جيوش طارق في اثر فلول القوط المهزومة، تستولى على المدن، وتفتح القلاع، وفرق اجناده الى بعوث جانبية ومضى هو الى طليطلة حيث احتشدت فول القوط، ماراً بطريق استجة، ثم مال الى اشبيله فصالحه اهلها على الجزية وانفذ العساكر الى المدن الاخرى، وقصد فريق منهم شذونة فسلمت طوعاً واحتل فريق اخر مدينة البيرة بالقرب من غرناطة، وسير طارق ايضا مغيثاً الرومي في (٧٠٠) سبعمائة فارس على قرطبة، وحاصرها شهرين ، ثم كانت معركة طارق مع فول القوط عند استجة وانتصر فيها طارق في حين تمكن مغيث الرومي من فتح قرطبة التي صارت فيها بعد عاصمة العرب المسلمين في الاندلس، ثم فتحت مالقة بلا حرب، سار بعد ذلك طارق الى طليطلة . وافتتحها سنة ٩٣ دون مقاومة تذكر وقد فر عنها اكثر اهلها(٦٠)

احدث انتصار طارق بن زياد في الاندلس، دويا هائلا في المغرب العربي والمشرق، واجتاز الكثير من العرب والبربر البحر الى الاندلس، واقبلوا على الفتح بقلوب فرحة، بعد ان كانوا يخشون اجتياز هذا المضيق والمغامرة، وكان طارق، قد كتب الى موسى ، بما تم له من نصر، وما استولى عليه من غنائم، فكتب موسى الى طارق ، يأمره بالتوقف عن التقدم في بلاد الاندلس وان لايتجاوز مكانه حتى يلحق به

ثالثاً : استكمال فتح الاندلس:

خرج موسى بن نصير من القيروان سنة ٩٣هـ /سنة ٧١١م، يصحبه حبيب الفهري، بهدف المساهمة في اتمام فتح الاندلس مع طارق، واستخلف ابنه عبد الله بن موسى على افريقية بالقيروان، وعبر بجيشه الضخم الذي بلغ تعداده (١٨) ثمانية عشر الف مقاتل جلهم من عرب المشرق ونزل موسى وجيشه الجزيرة الخضراء بعد اجتياز المضيق، فقصد

المدن التي تجنبها طارق في فتوحاته، وخاصة اشبيلية اكبر مدن الاندلس والتي كانت قاعدة الرومان قبل تغلب القوط على هذه البلاد، فافتتحها بعد حصار شديد، وفتتح باجة، وماردة رغم مقاومتها ، فاتجه اليها وحاصرها سنة كاملة وفتحها اول حزيران سنة ٧١٣م، ثم افتتح كثيراً من المدن الواقعة في غرب الاندلس، وكانت مقاومة القوط قد اشتدت في هذه النواحي ضد المسلمين ، وامتدت فتوحاته الى برشلونة شرقا، واريونا في الجوف ، وقادس في الجنوب الغربي، ثم بعث موسى الى طارق يستدعيه وقواته للقاء به في الطريق المؤدي الى طليطلة.(٦١).

وكان طارق قد استمر في فتوحاته رغم اوامر قائده موسى بن نصير بالتوقف مما اغضب موسى بن نصير عليه وكان طارق قد راى بعد استشارة جنده، ان وقف القتال، قد يعرض المسلمين للخطر من جانب الاسبان، ولذلك واصل زحفه على مدن الاسبان، وكان اولها مدينة قرطبة التي اخذها عنوة، ثم فتح كورة رية، واخذ اكبر مدنها مالقة ثم اخذ كورة البيرة ، ثم فتحت مدينة اريولة ابوابها للعرب وكثير من مدن الاسبان الاخرى(٦٢).

التقي القائدان: موسى وطارق في موضع بين ماردة وطليطلة يقال له ((تايد)) او ((تاية)) وقيل ((العرض)) قرب مدينة طلبيرة غربي طليطلة وخرج طارق معظماً لموسى ونزل بين يديه، فاقره موسى على قيادة الجيش، وامره بالتقدم امامه في اصحابه ، وتبعه موسى بجيشه، وكان القوط قد حشدوا قواتهم هناك، والتقي الفريقان قريباً من مدينة ((اقماس)) حيث كانت الوقعة الثانية الفاصلة في تاريخ الفتح العربي الاسلامي للاندلس سنة ٩٤ هـ بعد معركة وادى لكة، وانتصر فيها المسلمون، وانهزم القوط هزيمة نكراء ودخل طارق وموسى مدينة طليطلة، وبعث موسى من هناك الى الخليفة الوليد، خبر الفتح مع رسولين هما: مغيث الرومي، وعلي بن رباح التابعي.(٦٣)

وقيل ، ان موسى لما التقي، طارقاً، حط من شأنه، واظهر ما في نفسه من غضب عليه، لمخالفته اوامره، واستبداده بالرأي، وطالبه بالاموال والنفائس التي استولى عليها لكن طارق ترضاه، فرضي عنه موسى وقبل عذره، ووجهه من هناك الى طليطلة، في حين سار موسى الى اشبيلية واتخذها مقرا له واوغل في فتح بلاد الاندلس الاخرى، وكان طارق قد سار الى طليطلة فأخذها(٦٤).

لقد شجعت هذه الانصارات التي حققها العرب في بلاد الاندلس القائد موسى بن نصير على مواصلة الزحف نحو الشمال والشرق من اسبانيا وعزم على مواصلة السير كذلك، عبر بلاد فرنسا وبلاد البلقان حتى يبلغ القسطنطينية التي استعصت على المسلمين حتى

ذلك الوقت، ليصل بعدها الى دمشق عاصمة الدولة العربية، وبذلك يجعل من البحر المتوسط بحيرة داخلية للعرب، وهذا يوفر عليهم مشقة عبور البحار وسلوك البر عند التحرك.

ثم اتفق موسى وطارق على مواصلة الفتح بعد طليطلة ، باتجاه الشمال الشرقي والشمال الغربي، الى اقليمي اراغون وجيليقية خاصة بعد ان اقاما فصل الشتاء بطليطلة وعندما علم الوليد بن عبد الملك بما عزم عليه موسى بن نصير بمواصلة الفتح، والتوغل في اوربا بغية الوصول الى لقسطنطينية، ارسل الى موسى، مع مغيث الرومي، يطلب اليه التوقف عن التوسع، ويستدعيه وطارقاً الى دمشق، غير ان موسى حاول اقناع رسول الخليفة ليوافقه على استكمال فتح الاندلس قبل العودة ، ووعده باقطاعه شيأ من البلاد المفتوحة، فوافقه مغيث الرومي على ذلك. وواصل موسى وطارق مهمتها فسارا نحو سرقسطة، ثم الى طركونة وبرشلونة باقليم قطالوينة، ثم عادا الى سرقسطة (٦٥)

قسم موسى جيشه على قسمين بعد ذلك: احدهما قاده بنفسه نحو الشمال حيث سار بحذاء الضفة اليمنى لنهر ابرة، وافتتح حصن نبارة ، ثم فتح قشتالة ثم اقليم اشتوريش واستولى على قلعة لك وصخرة بلاي على البحر الشمال. اما القسم الثاني من جيشه، فقد قاده طارق بن زياد وسار بحذاء نهر ابرة ايضا، فاخذ هارو، ثم ماير، ثم ليون، واسترقة وتحقق للعرب فتح بلاد الاندلس كلها عدا بعض المناطق الجبلية في الشمال الغربي، التي لجأ اليها بعض اشراف القوط وكبراؤهم.(٦٦)

كان هدف الخليفة الوليد من امر موسى بالتوقف عن الفتح في اسبانيا واوربا، ان لايتعرض المسلمون الى مزيد من المخاطر، وخشي الوليد من ازدياد نفوذ موسى ، لذلك بعث رسولا اخر الى موسى، يكنى ابا نصر يطلب منه العودة الى دمشق والتوقف عن الفتح، فلقيه عند قلعة لك، واخذ بلجام فرس موسى وابلغه امر الخليفة الوليد بالعودة. عندها لم يجد موسى بدا من الاستجابة لرغبة الخليفة، وبدأ طريق العودة من شمال الاندلس ومعه طارق ورسولاً الخليفة الى افريقية، مارين في طريقهم بقرطبة، ومنها الى اشبيلية ، حيث استخلف ابنه عبد العزيز في ذي الحجة سنة ٩٥ هـ واليا على الاندلس بعد ان اختار هذه المدينة عاصمة له، ثم عبر القائدان المضيق الى افريقية ومعها الغنائم من الذهب والفضة والجواهر، فلما بلغ القيروان، استخلف ابنه عبد الله على افريقية وكان قد تركه بها منذ عبر الى الاندلس، واستخلف ابنه عبد الملك على سبته وطنجة وما اليها، واصطحب معه الى الشرق ولديه مروران وعبد الاعلى.(٦٧).

ثم سار موسى وطارق وولداه ورسولاً الخليفة وبعض الاسرى من قواد القوط وفرسانهم، و (١٠٠) مائة رجل من قريش والانصار وسائر عرب المشرق و (١٠٠) رجل

من عرب المغرب(البربر) ، و (١٠٠) رجل من وجوه ملوك الروم بالاندلس، و (٢٠) عشرون حاكماً من حكام المدائن التي افتتحها بافريقية، وخرجوا جميعاً بما كان عندهم من جميل وطريف في بلادهم، فلما بلغوا طرابلس، استخلف عليها بكر بن عيسى القيسي، وسار الموكب حتى انتهى الى مصر ، فلم يبق فيها شريف ولافقيه الا وصله واعطاه ثم خرج من مصر متوجها الى فلسطين فاستقبله آل روح بن زنباع، ونحروا له خمسين بعيراً، ثم خرج الى دمشق بعد ان ترك عندهم بعض اهله وصغار ولده.(٦٨)

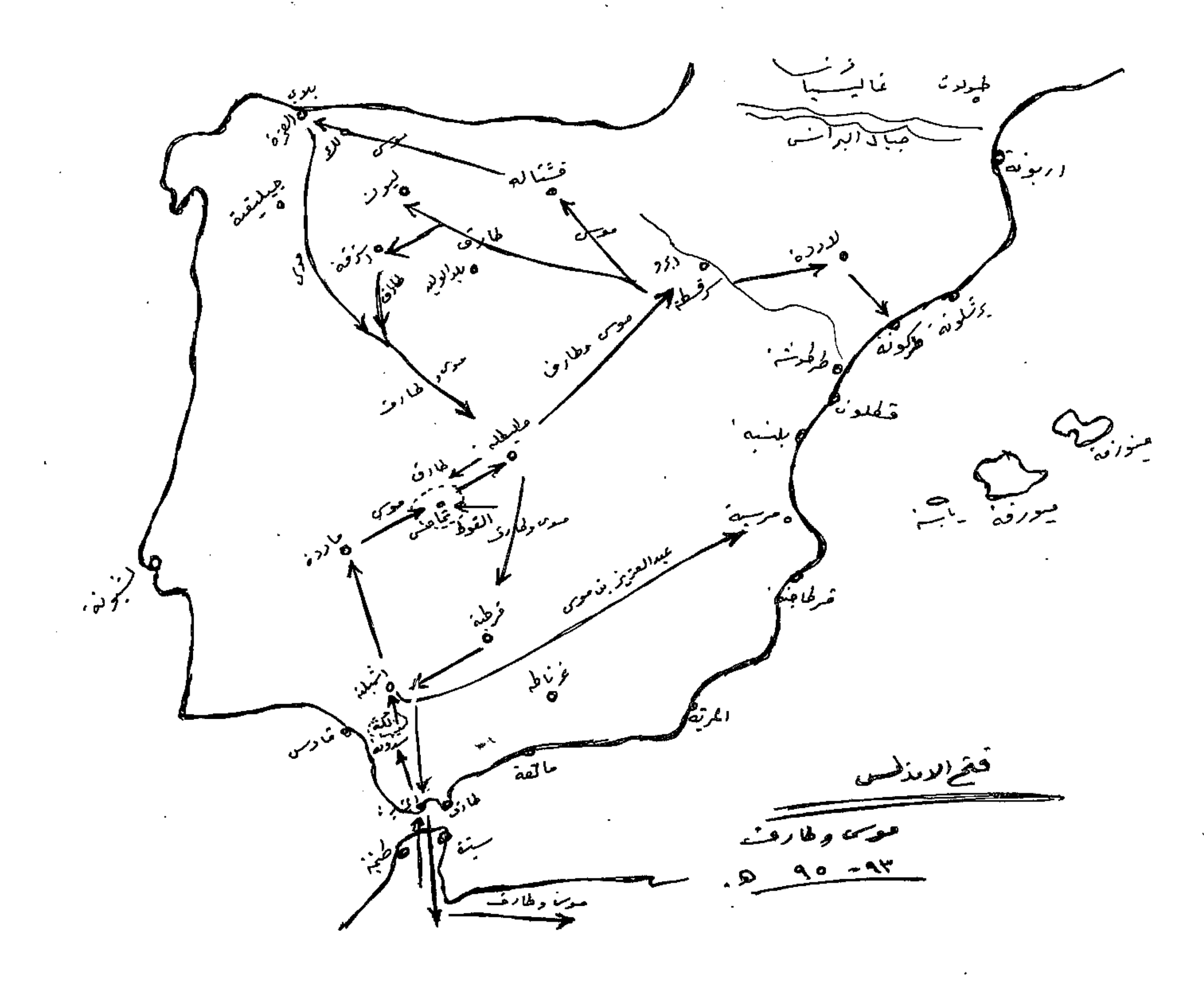
فلما وصل موسى وموكبه الى بلاد الشام دون دمشق، كتب اليه سليمان بن عبد الملك ، بالتأخر عن الوصول الى دمشق، لان الخليفة الوليد كان وقتها مريضاً، وقد يلي الامر سليمان، وكان سليمان يهدف من ذلك الى ان يصل موسى الى دمشق في خلافته بعد وفاة اخيه، وان تكون الغنائم التي يحملها موسى له وليس لاخيه، لكن موسى بن نصير رفض هذا الطلب وجد في المسير حتى وصل دمشق والوليد حي ، غير ان الوليد لم يلبث ان مات بعد وصوله بثلاثة ايام، وصارت الخلافة لسليمان بن عبد الملك، وقد اغضب ذلك الخليفة الجديد علي موسى.(٦٩)

غير ان الخليفة سليمان، عفا عن موسى بن نصير بوساطة عمر بن عبد العزيز، فاستبقاه الى جواره رحمة بشيخوخته، اذ كان قد قارب الثانين من عمره، فكان سليمان يخرجه معه في نزهاته ، واخذه معه الى مكة سنة ٩٧ هـ/ سنة ٧٠٥م لاداء فريضة الحج. فمرض موسى هناك وتوفي حيث يقيم اهله واقرباؤه ، وربما كان من بين اسباب عدم ارتياح سليمان بن عبد الملك لموسى واولاده، شعوره بان موسى كان يعمل لفصل الاندلس والمغرب عن الخلافة، فضلاً عن دور الحساد والوشاة الذين حسدوا موسى واولاده لما حققوه من الشهرة والنجاح لانفسهم ولدولة العرب العظيمة.(٧٠)

رابعاً : استقرار العرب بالاندلس:

لقد استقر العرب بالاندلس منذ وطئوا صخرة الاسد بعد عبور المضيق، **الذي سمي ولايزال يسمى** بجبل الفتح، او جبل طارق ، بقيادة طارق بن زياد، ثم تتابع عبور العرب من مختلف القبائل العربية القيسية واليمانية، ضمن حملة موسى بن نصير وما تلاها، حيث انضم اليهم الشاميون والمصريون والعراقيون، وكذلك كان شأن الكثير من القبائل العربية في المغرب (البربر) التي استوطنت هذه البلاد ايضا.(٧١)

وقد امتزج عرب المشرق والمغرب واهل البلاد من القوط والاسبان وغيرهم اجتماعياً، وتزوج عرب المشرق من عرب المغرب ومن الاسبان، فنتج من ذلك جيل جديد كون


فتح الأندلس
موسى وطارق
٩٣ - ٩٥ هـ
موسى وطارق
عبدالعزيز بن موسى
قرطبة
طليطلة
ماردة
غرناطة
مالقة
المرية
مرسية
بلنسية
طرطوشة
لاردة
سرقسطة
قشتالة
ليون
جليقية
قادس
طنجة
سبتة
ميورقة
منورقة
يابسة
اربونة
جبال البرانس

احد عناصر المجتمع العربي في الاندلس سمي: ((المولدون)) وقد اوجد هذا الامر شيأ من الاختلاف بين سكان الاندلس واهل المشرق، لاختلاف بيئة الاندلس الطبيعية والاجتماعية عن بيئة المشرق في كثير من الشؤون، وقد ادى ذلك الى ان يتميز النتاج العربي في الاندلس من النتاج العربي في المشرق.

لقد دخل الى الاندلس الالاف من عرب المشرق ومن عرب المغرب (البربر)، وامتزجوا هم وسكان البلاد الاصليين امتزاجاً غريباً مازالت اثاره قائمة حتى الان ، واعجب العرب بهذه البلاد حتى قال فيها احدهم :.

وليس في غيرها بالعيش منتفع	ولاتقوم بحق الانس صهباء
وكيف لاتذهب الابصار رؤيتها	وكل روض بها في الوشي صنعاء
انهارها فضة والمسك تربتها	والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به	من لا يرق وتبدو منه اهواء
فيها خلعت عذاري مابها عوض	فهي الرياض وكل الارض صهباء

وكان كثير من سكان الاندلس الاصليين من القوط والاسبان وغيرهم قد دخلوا في الاسلام وتكلموا اللغة العربية، وتعصبوا لها ضدّ لغتهم وديانتهم الاصلية. وكان لخصوبة التربة في الاندلس، وكثرة اشجارها وحسن مزارعها وجودة كرمها فضلاً عن طيب مناخها وهوائها، وكثرة خيراتها اثر في جذب الكثير من ابناء القبائل العربية من المشرق والمغرب للاستقرار فيها بصورة دائمية، غير ان هذه الخيرات كانت من الناحية الاخرى سببا في خلق ظروف الصراع بين هؤلاء العرب انفسهم(٧٢)

لقد نجح العرب الاوائل، علامة وهم الفاتحون مع طارق وموسى والذين تغلبوا على دولة القوط فاقاموا دولة العرب في الاندلس في السيطرة على مناطق واسعة من الاراضي، المفتوحة، واستقروا فيها مباشرة، على امتداد الطريق الذي سلكه طارق وموسى عند فتحها للاندلس، وسميت هذه المناطق باسمائهم مثل : اقليم همدان اليامي، واقليم بني سعد، واقليم بني قيس، واقليم بني هود، اقليم بني اوس، واقليم بني امية، واقليم كنانة، واقليم زنانة، واقليم مصمودة، وغيرها ، وقد سمي هؤلاء المستقرون الاوائل : ((البلديون)) اي اهل البلاد واصحابها ، وكان ذلك قبل ان يقسم موسى بن نصير اراضي الاندلس. (٧٣)

وكان موسى قد اتبع النظم الاسلامية في تقسيم الاراضي والغنائم التي يفتحها العرب، فاحتفظ بحصة الخلافة، وهي الخمس، ووزع الباقي بين جنوده ، عدا ماستولى عليه العرب

في هذه البلاد قبل ذلك، كما واقر بعض سكان الاندلس الاصليين على اراضيهم على ان يدفعوا الجزية للمسلمين، وواصل ولاة الاندلس سياسة تقسيم الاراضي، والغنائم وفقاً للسياسة العامة التي تبنتها الدولة العربية الاسلامية في المشرق.

ويمكن القول، ان العرب الاوائل الذين استقروا بالاندلس، كانوا من اغلب قبائل العرب بالجزيرة العربية والعراق ومصر، ان لم نقل من جميع هذه القبائل، وفيما يأتي بعض اسمائهم

١ ـ الانصار من الاوس والخروج من اهل المدينة المنورة الذين رافقوا موسى بن نصير الى الاندلس، وتوزعوا في مختلف اقاليم شبه الجزيرة الايبيرية لكن اكثر وجودهم كان في منطقة سرقسطة.(٧٤)

٢ ـ الازد، وقد سكنوا في اماكن كثيرة من جزيرة الاندلس، غير ان تركز استيطانهم كان في منطقة مرسية وغرناطة واشبيلية.(٧٥)

٣ ـ غافق، وكان بنو غافق قد خرجوا مع عمرو بن العاص عندما توجه لتحرير مصر وانتشروا في مصر وشمال افريقية، ثم عبروا مع موسى بن نصير الى الاندلس، وكان تجمعهم في الجزيرة الخضراء، واشبيلية، وطليطلة، وغرناطة وغيرها من المناطق.(٧٦)

٤ ـ لخم، لقد رافق الكثير من قادة لخم، موسى بن نصير حين توجه الى الاندلس وقد استقروا في مناطق مرسية ومالقة.(٧٧)

٥ ـ جذام ومنهم بنوهود، وقد استقروا في كورة البيرة حيث سمي الاقليم **بأسمهم، اي** اقليم بني هود.(٧٨)

٦ ـ معافر، وكان بنو معافر من العرب الاوائل الذين استقروا بالاندلس، فقد عبروا مع طارق بن زياد، وكانوا بقيادة عبد الملك بن ابي عامر المعافري الذي لعب دوراً بارزاً في افتتاح الجزيرة الخضراء بعد العبور وكذلك قرطاجنة الجزيرة وانتشروا هناك.(٧٩)

٧ ـ تجيب، وقد اسهمت هذه العشيرة مع القبائل العربية الاخرى في فتح الاندلس، ودخلت مع موسى، واستقرت في الثغر الاعلى وخاصة سرقسطة.

٨ ـ حضر موت وخولان، وقد دخلوا مع موسى بن نصير، وسكنوا شمال الاندلس وسكن قسم منهم الجزيرة الخضراء

٩ ـ خثعم، وبجيلة، ومذ حج وفروعها (مراد، وعبس، واود، وسعد العشيرة، وزبيد) وكان

وجودهم في البيرة وقرطبة وجيان ولشبونة وأشبيلية.

١ - سبأ وهم قلة، ويحصب ، وقضاعة، ومهرة، وقد سكنوا مناطق مختلفة من الاندلس.

١١ - هذيل، ومنطقتهم مرسية، وتميم ومنطقتهم اشبيلية، وقريش الذين رافق كثير منهم موسى في تحرير شمال افريقية وفتح الاندلس، وعهد اليهم تولي مناصب قيادية مهمة.

١٢ - فهم ، وعبس، وذبيان، وعشائر متفرقة من قيس وتفرقوا في البلاد

١٣ - الشاميون الذين دخلوا الاندلس بحدود سنة ١٢٥ هـ، وكان استقرارهم في هذه البلاد على نظام الاجناد، فاستقر جند دمشق في البيرة، وجند حمص في اشبيلية، وجند قنسرين في جيان، وجند فلسطين في شذونة والجزيرة الخضراء، وجند الاردن في رية، وكانت مهمة الشاميين، الجندية والاستعداد للجهاد عند الحاجة، وكان عددهم (٨) ثمانية الاف من العرب والفين من الموالي، وهم ينتمون الى مختلف عشائر العرب اليمانية والقيسية ويعتقد ان اصل القيسين في بلاد الاندلس، من منطقة الجزيرة الفراتية بالعراق.(٨٠)

ومن القبائل القيسية هذه : محارب، هوازن، ثقيف، غطفان، وقشير ، كعب بن عامر، ونمير، ومرة، فزارة، وسليم، وتميم، واسد بن خزيمة، وامية، وربيعة، وغسان، وكلب، وهمدان.

ومن القبائل اليمانية مع جند الشام، لخم ، وحمير، والهان، وكلب، وحضرموت، وكلاع، ويحصب وغيرهم.

اما جند مصر الذين جاؤا مع جند الشام ، فقد استقروا بين منطقة البرتغال الحالية ومرسية.

١٤ - عرب المغرب (البربر) لقد استقرت كثير من قبائل عرب المغرب (البربر) في الاندلس منذ البداية، لانهم دخلوا مع طارق بن زياد ومع موسى بن نصير، وكانت مناطق سكنهم في الاندلس في مناطق كثيرة منها الجزيرة الخضراء، وشذونة، واشبيلية، وقرطبة، ورندة، وجيان، والبيرة، ومعظمهم من قبائل مصمودة، وغيرها من القبائل هناك مثل الخرومي وزنانة وضهاجه وهوارة وكتامة ومكناسة ونفزة وجراوة وسكن قسم من البربر في وسط الاندلس وغربها، وفي المناطق الشرقية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية من الاندلس.(٨١)

خامساً : اثر الفتح العربي على الاندلس :

لقد ادى الفتح العربي لبلاد الاندلس، الى القضاء على حكم القوط فيها وازالة آثاره في تلك البلاد، وادي الى تكوين مجتمع جديد يختلف كثيراً عما كان عليه. وصار في ظل حكم العرب للاندلس مجتمع ذو طبيعة خاصة ومميزات فريدة من جراء المزج البديع بين فئاته وشرائحه وادى امتزاج عرب المشرق وعرب المغرب بعضهم ببعض وامتزاجهم وسكان الاندلس الاصليين الى تكوين هذه الصورة الجميلة، والى ظهور النتاج الحضاري الفريد في تلك الديار.

لقد نظم العرب اساليب الحكم في بلاد الاندلس، على غرار نظم الدولة العربية الاسلامية في المشرق، واستنبطوا الاحكام الفرعية التي تتفق وطبيعة السكان في هذه البلاد. وقد دخل الاسلام كثير من ابناء الاسبان وامنوا به ايماناً عميقاً وثابتاً بعد ان تخلوا عن دياناتهم القديمة، ولم يمارس العرب المسلمون عملية اكراه الاسبان على دخول الاسلام منذ بداية الفتح وحتى النهاية، وكان للتسامح الديني الذي مارسه العرب المسلمون اثره الفعال في تسهيل مهمة فتح هذه البلاد على ايديهم بسهولة ويسر.(٨٢)

وعلى الرغم من ان العرب امتلكوا كثيراً من الاراضي والاموال في الاندلس، فقد ابقوا للذين تعاونوا واياهم من حكام الاسبان وامرائهم والعامة منهم، املاكهم وحقوقهم، واعادوا جوليان الى حكم سبتة، وردت الى ابناء الملك غيطشة اموالهم واملاكهم الكثيرة، وحقق العرب السلام بين مختلف ابناء المجتمع الجديد وقد دفع ذلك الاسبان، المسلمون منهم والمسيحيون وغيرهم الى الانقياد للعرب بصفتهم حكام هذه الديار لما شاهدوه من التسامح الذي كانوا ينشدون(٨٣)

واعتنى العرب بالزراعة في بلاد الاندلس ، بعد ان كانت مهملة في ظل حكم القوط، ونظموا الطرق، ورفعوا عن العامة والعبيد المظالم ، وخفضوا الضرائب عنهم، وحكموا بين المواطنين من غير تمييز في الدين او القومية، وشجعوا على الاختلاط بين فئات الشعب المختلفة من عرب المشرق وعرب المغرب والاسبان عن طريق الاختلاط والمصاهرة. ونقلوا مختلف جوانب المعرفة والثقافة والحضارة معهم من الشرق الاسلامي الى هذه البلاد.

لقد دفعت رسالة الاسلام الخالدة العرب، لان يحسنوا معاملة اليهود هناك، رغم مالاقاه الرسول الكريم (ص) والمسلمون الاولون منهم من العدوان والاذى، فسمحوا لهم بمزاولة التجارة وحرية التملك، وكان القوط قد سلبوهم هذه الحقوق لسوء تصرفهم ضمن ذلك المجتمع، وقد اشتغل كثير منهم بالعلوم والاداب والطب والفلسفة .(٨٤) واحسن العرب معاملة الرقيق الذين لاقوا الذل والهوان تحت ظل حكم القوط، ومنحوهم الكثير من الحقوق المدنية وانصرف العرب في هذه البلاد الى توطيد السلام بين الاقوام المختلفة هناك.

الفصل الرابع

عصر الولاة في الاندلس

(سنة ٩٢ هـ سنة ١٣٨ هـ)

لقد فتح العرب الاندلس، بعد حرب عنيفة وجهد متصل دام ثلاث سنوات واربعة اشهر. حيث بدا الفتح في شهر رجب سنة ٩٢ هـ وانتهى في اوئل سنة ٩٥ هـ، وقد فتح المسلمون العرب خلال تلك السنوات القليلة هذه الجزيرة الكبيرة من اقصى الجنوب الى جبال البرانس وشاطئ بحر الشمال. ومن مالقه وطركونة في الشرق الى لشبونة في الغرب وسيطروا فيها على سهول الجنوب ومرتفعات الشمال. ولم يغادروا بلداً كبيراً او حصناً **هاماً، الا رفعوا عليه** راية الاسلام وادخلوه في حوزة الدولة العربية الاسلامية الكبرى. ولو لم تكن البراهين ثابتة على تمام الفتح في هذه المدة القصيرة، لما صدقه احد، لان شبه الجزيرة الاندلسية، قطر عسير فسيح، لايسهل على احد فتحه او اخضاعه، وقد وفق العرب الى ذلك في نظام وسياسة ينبغي ان يسجلا لهم.

لقد كانت اعمال طارق بن زياد في عملية الفتح هذه ، سراً من اسرار قوة الاسلام، وناحية من نواحي امتيازه ، فطارق رجل عربي جعل منه الاسلام قائداً فاتحاً وسياسياً محنكاً يقود الجيوش ويفتح الامصار ويوقع المعاهدات في قدرة وكياسة جديرتين بالاعجاب، ولو لم يكن للاسلام هذا الاثر وهذا السحر لما حصل كان ذلك.(٨٥).

والحق ان فتح العرب المسلمين للاندلس، يعد معجزة في ذاته ، اذ لايصدق المرء، وهو يتتبع اخبار هذا الفتح، ان الذين كانوا يقومون به، بهذا النظام الدقيق، وبهذا النظر البعيد، لم يسبق لهم عهد بالنظام ولا بالجيوش ولا بالمعاهدات والحق ان الاسلام خطاً بمعتنقيه خلال القرن الاول عدة قرون الى الامام في هذا المجال. فلقد اكمل موسى بن نصير عمل طارق، واكمل عبد العزيز بن موسى بن نصير عمل الاثنين، وهذا يؤكد، ان العرب ساروا في فتح هذه البلاد، على خطة محكمة لم يكن من الميسور وضع احسن منها، فقد قضوا على المقاومة، واخضعوا العاصمة في اول وثبة ثم اتجهت همة العرب الى اخضاع كبريات مدن غرب الاندلس، ثم فتح المسلمون اقليم سرقسطة، وأتبعوا فلول المقاومة في معاقلها في الشمال والشمال الغربي ثم فتحوا اقصى الغرب، وختم العمل بفتح الجنوب الشرقي

ولو اقيم مجلس للحرب من كبار العسكريين، ليضع خطة لفتح هذه البلاد، لما وفق الى خير من ذلك ، وتلك ناحية ينبغي ان لاتغيب عن ذهن الانسان وهو يدرس هذا الفتح. لانها في الواقع تدل على نبوغ حربي عند هؤلاء المسلمين الاولين.(٨٦)

لم تتكلف الخلافة في سبيل فتح الاندلس جهداً كبيراً في الجند او المال، فلقد تم فتح الاندلس اساساً على اكتاف جند العرب في مصر وشمال افريقية، وهي ظاهرة انفرد بها فتح الاندلس عن غيره من الاقاليم المفتوحة بيد اننا ينبغي ان نقرر ايضا، ان الخلافة، لم تغنم شيئا مادياً من هذا الفتح، انما غنمه اولئك الذين قاموا بعملية الفتح وحدهم، واذا كانت الخلافة تهتم عند فتح اي بلد، بارسال عامل يقوم بشؤون الادارة، وعامل خراج وقاضي وغيرهم ، فانها لم تفعل ذلك بالنسبة للاندلس، بل تركته نحو تسع سنين تحت تصرف عامل افريقية يتصرف بشؤنه كما يريد، ولم يبعث الاندلس شيئا الى مركز الخلافة من ماله او من جبايته.

ان حقيقة وضع اقليم الاندلس، منذ الفتح وحتى قيام الدولة الاموية على يد عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ، هو انه لم يكن ولاية تابعة تماماً للخلافة المركزية بدمشق، كمصر ، وشمال افريقية، ولكنه لم يكن قطراً مستقلاً تمام الاستقلال عن الخلافة، انما كان له وضع خاص ، فهو جزء من الدولة العربية الاسلامية مكمل لافريقية، وداخل في طاعة الخلفاء، يخطب لهم على المنابر فيه، ولم يزد سلطان الخلفاء فيه على ذلك الا قليلا (٨٧).

لقد ولي الاندلس منذ بداية الفتح وحتى قيام الدولة الاموية، عدد من الولاة كانوا يمارسون السلطة باسم الخليفة الاموي ووالي افريقية، وكانوا يعينون اما من الخليفة الاموي مباشرة او من قبل والي افريقية، او من قبل الثوار والمعارضة من مسلمي الاندلس من العرب والبربر، واهل الشام خاصة ، او باجماع اغلبية مسلمي الاندلس وقد بلغ عددهم خلال هذه الفترة القصيرة (سنة ٩٢- سنة ١٣٨ هـ) اثنين وعشرين والياً. (٨٨)

اولا : ولاة الاندلس:

فيما يأتي ولاة الاندلس بعد الفتح وحتى قيام الدولة الاموية في هذه البلاد واعمالهم في مواصلة الفتح بايجاز :

١ - طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ، وقد ورد الحديث عنه في عملية الفتح.

٢ - موسى بن نصير سنة ٩٣ هـ ، وقد ورد الحديث عنه في عملية الفتح حتى استدعي الى دمشق وعاد معه طارق بن زياد سنة ٩٥ هـ..

٣ - عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٥ هـ .

ولي عبد العزيز بن موسى، الاندلس ، نيابة عن أبيه الذي استدعي الى دمشق بامر الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٥ هـ، وقد اقره الخليفة سليمان بن عبد الملك في ولايته ، وكان اقليم الاندلس في ذلك الحين تابعاً لولاية شمال افريقية وكان يلي امر افريقية، مروان وعبد الله ابناء موسى بن نصير.

لم يتوقف نشاط المسلمين في استكمال فتح الاندلس بعد عودة موسى بن نصير وطارق الى دمشق ، فلقد استمروا يواصلون العمل في هذا الاتجاه. فلم يكد عبد العزيز بن موسى يستقر في ولاية الاندلس حتى نشط لاخضاع جنوب شرق الاندلس الذي لم يصله المسلمون من قبل، وكان عبد العزيز قد اتخذ قصر الولاة في اشبيليه مقراً له، وظلت اشبيلية عاصمة الاندلس طوال حكمه، وكان الى جانبه عدد من القادة العرب من مختلف القبائل.

كان عبد العزيز فاتحاً نشيطاً وكان له دور بارز في فتوح افريقية حيث كان ملازماً لابيه ومشاركاً اياه في كل اعماله بالاندلس، ثم نراه يقود جيشاً الى اشبيليه ليخمد الثورة التي قام بها اهلها ضد المسلمين فيها، ثم واصل الفتوح نحو الغرب ففتح يابرة ، وشنترين وغيرها.

ثم اتجه عبد العزيز الى كورة تدمير حيث كان يحكمها قائد قوطي اسمه تدمير وهو ابن احد قواد غيطشة والتي اصبحت فيما بعد تعرف بكورة تدمير وكان تدمير قد دخل في طاعة المسلمين من البداية دون ان يسلم، وانه لم يقاوم الفاتحين شأنه شأن غيره من انصار غيطشة، وبقي في اقليمه يرقب الاحداث حتى سار اليه عبد العزيز بن موسى في اول ولايته سنة ٩٥ هـ، فلما اقترب عبد العزيز وجنوده منه ، فاوضه بالصلح على شروط التسليم ، فكان له ذلك، وكتب كتاب الصلح من عبد العزيز بن موسى بن نصير الى تدمير بن غبدوش فيما يأتي نصه:ـ(٨٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز الى تدمير :

«انه نزل على الصلح ، وانه له عهد الله وذمته ان لاينزع عنه ملكه، ولا احداً من النصارى عن املاكه، وانهم لايقتلون ولايسبون ، اولادهم ولانساءهم، ولايكرهون على دينهم، ولاتحرق كنائسهم وانه صالح على سبع مدائن على ان لايأوي لنا عدواً، ولايخون لنا امناً، ولايكتم خبراً علمه، وان عليه وعلى اصحابه ديناراً كل سنة ، واربعة امداد قمح، واربعة امداد شعير، واربعة اقساط طل، واربعة اقساط خل، وقسط زيت ، وعلى العبيد نصف ذلك.

كتب في رجب سنة ٩٥ هـ، وشهد على ذلك عثمان بن ابي عبده القرشس وحبيب بن عبيدة الفهري، وعبد الله بن ميسرة الفهري.

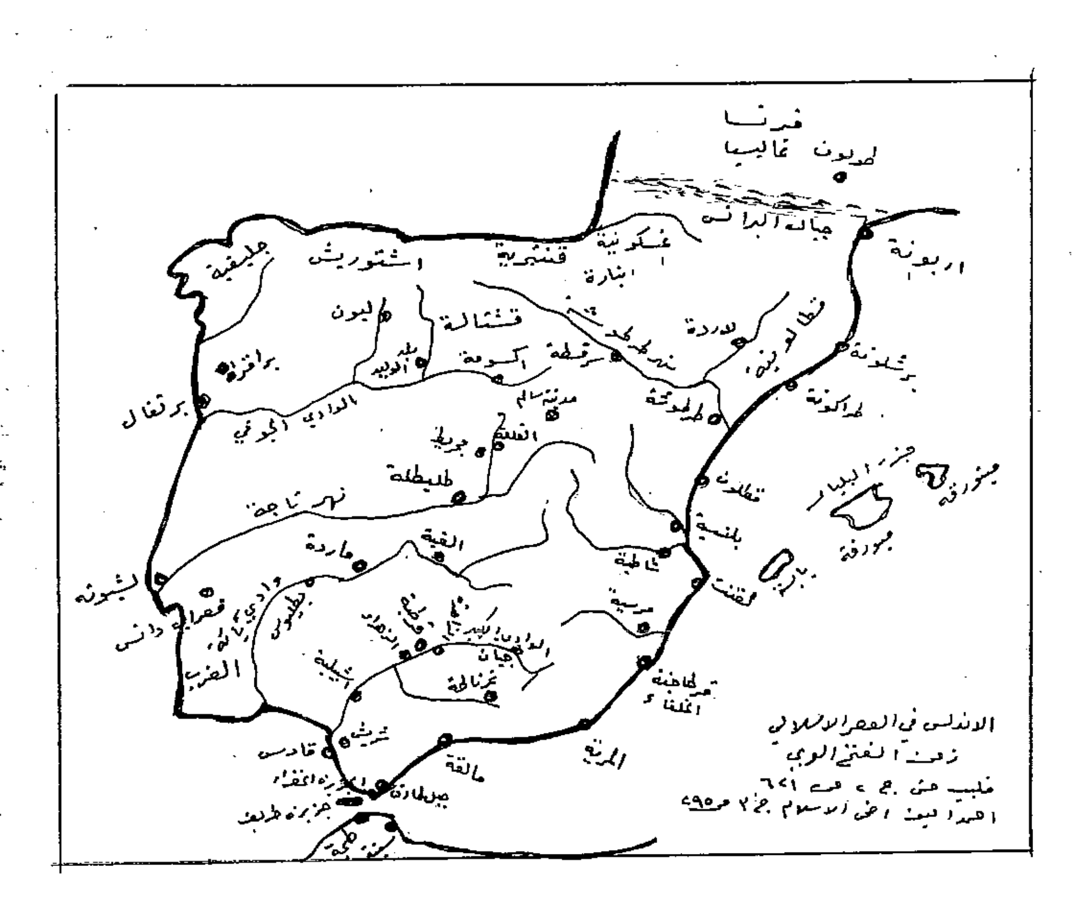
كان عبد العزيز بن موسى، من خيار الولاة، فقد ضبط سلطان البلاد وسد ثغورها ، وافتتح مدائن كثيرة ، واتبع سياسة التسامح واللين مع السكان المحليين في الاندلس، غير ان هذه السياسة، لم تعجب العرب والبربر وخصوصاً الجند الذين ايدوا بعض المتطلعين الى الولاية ومن بينهم: حبيب بن عبيدة الفهري ، وهو ابن اخت عقبة بن نافع، وزياد بن عذرة البلوي، وزياد بن نابغة التيمي، ويبدو ان الخلاف بين هؤلاء القادة وبين عبد العزيز كان مستمراً لاشياء نقموها عليه ومنها: علاقته بزوجته الاسبانية ارملة لذريق واسمها ((ايلونا، او ام عاصم)) كانت قد صالحت على نفسها في بداية الفتح، واقامت على دينها على ان تدفع الجزية فتزوجها عبد العزيز ، واقام معها في اشبيلية في جانب من كنيسة حولت الى مسجد، فقيل انها اثرت فيه وتحكمت بامره حتى انها البسته تاجاً مرصعاً من الذهب، فاتخذ المعارضون ذلك حجة لاشعال نار الثورة ضده، فدبروا قتله، واغلب الظن ان مؤامرة قتله كانت بتدمير والي افريقية وهؤلاء المعارضة في الاندلس دون علم الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٠).

٤ ـ ايوب حبيب اللخمي سنة ٩٧ هـ:

لما قتل عبد العزيز بن موسى، اجتمع الجند واختاروا ايوب بن حبيب اللخمي، وهو ابن اخت موسى بن نصير، وقد قتل عبد العزيز بمشورته وبالتعاون مع كبار الجند الناقمين على عبد العزيز، بهدف ان يتولى احدهم الامر وينالوا رضا الخليفة سليمان، ولكن سليمان لم يلبث ان ارسل يطلب عقابهم، وعزل واليهم هذا واقام غيره.

استمرت ولاية ايوب ستة اشهر اقتصر امره، اول الامر على امامه المسلمين بالصلاة، ولم يفعل شيئا الا انه نقل مقر العاصمة من اشبيلية الى قرطبة ، وكانت قرطبة افضل من اشبيلية لحكم الاندلس، لموقعها القريب من منازل العرب في الشرق والجنوب الشرقي والجنوب، ولو انتقلوا الى طليطلة لكان احسن، لانها وسط شبه الجزيرة تماماً فضلاً عن كونها على ابواب الهضاب الشمالية والشمالية الغربية.(٩١)

وكان قد سكن قرطبة واقليمها عدد كبير من العرب ، وكانوا قد اقاموا بها في اول الامر، وكانوا من قبائل شتى، وصار قصر حاكم قرطبة القوطي قصراً لعمال قرطبة وامرائها، وكان قصراً جميلاً ذا سقى وزيتون وثمار يقال له (اليسانة) كان للملك الذي اسره فيها موسى بن نصير عند الفتح وكان له فيها بلاط منيف، غير ان ايوب حينما دخل قرطبة لم يسكنه، وكل من جاء بعده سريره في قرطبة والزهراء بجانبيها، الى ان انقرضت دولة بني امية بالاندلس.(٩٢).


فرنسا
جبال البرانس
اربونة
برشلونة
طركونة
طرطوشة
بلنسية
شاطبة
مرسية
لقنت
جزر البليار
ميورقة
منورقة
قرطاجنة الحلفاء
المرية
مالقة
غرناطة
جيان
اشبيلية
قادس
جبل طارق
الجزيرة الخضراء
جزيرة طريف
ماردة
طليطلة
نهر تاجة
الوادي الجوفي
برتغال
لشبونة
الغرب
بطليوس
جليقية
اشتوريش
قشتالة
ليون
سرقسطة
مدينة سالم
لاردة
الاندلس في العصر الاسلامي
زمن الفتح العربي

٥ ـ الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة ٩٨ هـ ٠

كانت ولاية الاندلس حتى ذلك الوقت، تابعة لوالي افريقية محمد بن يزيد، فلم يؤيد هذا الوالي ماقام به الجند من مقتل عبد العزيز بن موسى وتعيين ايوب بن حبيب اللخمي، وهو بذلك يتفق مع سياسة الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك بهذا الشأن، ولذلك سارع والي افريقية المذكور بارسال الحر بن عبد الرحمن الثقفي واليا على الاندلس، ويبدو ان سليمان بن عبد الملك هو الذي دفعه للقيام بهذا العمل، رغبة منه في معاقبة من شاركوا في قتل عبد العزيز بن موسى٠

سار الحر بن عبد الرحمن من افريقية الى الاندلس، وصحب معه نخبة مختارة من العرب تتكون من (٤٠٠) اربعمائة رجل من وجوه عرب افريقية، ووصل الى قرطبة حيث استسلم له جند الاندلس واسلموا له الامر واصبح الحر والياً على البلاد٠(٩٣)

اقام الحر والياً على الاندلس سنتين وثمانية اشهر، سكن في قصر قرطبة الكبير واختطه مقاماً لولاة الاندلس منذ ذلك الحين، وكان عزله بسبب عدم نجاحه وقدرته على تحقيق الامن والاسقرار في هذه البلاد، عزله عمر بن عبد العزيز الذي ولي الخلافة سنة ٩٩ هـ/ سنة ٧١٧م بعد وفاة سليمان بن عبد الملك، وبدأ في الاندلس عهد جديد، بسبب ماامتاز به الخليفة الجديد من الحرص على امور المسلمين والعناية بشؤون اقاليم دولتهم القريبة والبعيدة، وبشكل خاص، اهتمامه باختيار العمال الصالحين لهذه الاقاليم والقادرين على النهوض بمسولياتهم الكبيرة .(٩٤)

٦ ـ السمح بن مالك الخولاني سنة ١٠٠ هـ:

اختار عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك الخولاني لولاية الاندلس ، وكان من افاضل عرب افريقية، وقد اهتم عمر بن عبد العزيز بالاندلس، بعد ان عرف قوة الاسلام هناك وكثرة مدنهم وقوة معاقلهم، فأمر بضبط اموال هذا الاقليم وتنظيم خراجه، وتمييز ارض الصلح من ارض العنوة، وإستخراج خمس الدولة٠ وعلى هذا الاساس، صار على السمح بن مالك الذي اختاره عمر لفضله، ان يحمل الناس على طرق الحق، وان يخمس الارض، ويكتب للخليفة بصفة الاندلس وانهارها، وان يدون للبلاد ديواناً ، وينظم كل شيء، على غرار ما في اقاليم الدولة الاخرى٠(٩٥)

وقد نجح السمح بن مالك في تنظيم البلاد واحصاء اموالها ، فاجتمع له المال الكثير فكتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يستأذنه في اصلاح قنطرة قرطبة القديمة التي كانت مقامه على نهر الوادي الكبير للاتصال بجنوب الاندلس، وقد تهدمت، وكان العرب

بامس الحاجة اليها للعبور من الجنوب الى عاصمتهم ، فاذن له الخليفة بذلك. فقام السمح ببنائها، فصنعت على اتم واعظم ماعقد عليه جسر في الارض من حجارة سور المدينة، وقد ظلت هذه القنطرة سليمة حتى عهد عبد الرحمن الداخل حيث تصدعت بعض اقسامها، وقد اعتنى المسلمون بها عناية فائقة ماداموا هناك لانها كانت تصل عاصمتهم بجنوب الاندلس وبلاد الشرق جميعاً، ولانها كانت من الجمال والبهاء بحيث كانت متنزه اهل قرطبة ومدار خيال شعراء الاندلس جميعاً.(٩٦)

وقد نشطت حركة الفتوح فيما وراء جبال البرتات على يد السمح بن مالك فتوغل في بلاد غالة حتى وقف عند ابواب تولوشة واشتبك مع دوق اكويتانيا في موقعة عنيفة صبر فيها المسلمين صبراً كريماً سنة ١٠٢ هـ/ سنة ٧٢١م استشهد فيها السمح بن مالك وعدد كبير من اصحابه وتمكن احد كبار جنده المدعو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ان يعود بالباقين الى الاندلس ، بعد ان اختاره الجند قائداً لهم، وكانت هذه الولاية الاولى لعبد الرحمن الغافقي على الاندلس، لكنها لم تدم الا اشهراً، لان والي افريقية لم يعترف بذلك، واراد بقاء الاندلس تابعة له ، وعين بدله عنبسة بن سحيم الكلبي.(٩٧)

٧ ـ عنبسة بن سحيم الكلبي سنة ١٠٣ هـ:

قدم عنبسة الى الاندلس من قبل عامل افريقية يزيد بن ابي مسلم، ودخلها سنة ١٠٣ هـ/ سنة ٧٢١م، فعمد الى تنظيم امور البلاد وتهدئة النفوس بعد هذه الموقعة، وقضى على الاضطرابات التي وقعت بسبب الخلافات القبلية هناك، فاستقام له الامر بعد اربع سنوات من العمل في هذا المجال ، عاد بعدها الى سياسة الفتوح باتجاه المعارضة القوطية ضد حكم العرب، فارسل الحملات الى اشتوريش وغالة فاستولى على كثير من مدنها، وصالحه غيرها، ولم يقف زحف حملاته في بلاد الفرنجة حتى بلغ بلدة سانس على بعد (٣٠) ثلاثين كيلو متراً الى الجنوب من باريس، وعاد عنبسة بن معه من الجند محملين بالغنائم ، بعد ان وصلوا الى قلب غالة واصبحوا على مسافة قصيرة من نهر السين نفسه، وكان ذلك كله خلال سنة ١٠٧ هـ، وانفرد عنبسة بذلك بين الفاتحين المسلمين بايصاله رايات الاسلام الى قلب اوربا الغربية وصار فخراً له لم يدركه بعده فاتح مسلم.(٩٨)

غير ان عنبسة عاد من هذه الغزوة الى الاندلس وداهمته هناك جموع كبيرة من الفرنجة، التحمت معه في معركة صعبة ، اصيب خلالها بجراح بالغة توفي على اثرها سنة ١٠٧ ه/ سنة ٧٢٥م، وقام بقيادة الجند الاسلامي والعودة به الى الاندلس احد قواده المدعو عذرة بن عبد الله الفهري الذي اختاره المسلمون هناك ليتولى امارة الاندلس.(٩٩)

٨ ـ عذرة بن الله الفهري سنة ١٠٧ هـ/ ٧٢٦م:

تولى عذرة الفهري امر الاندلس باختيار الجند الاسلامي هناك بعد استشهاد عنبسة الكلبي سنة ١٠٧ هـ، غير انه لم يحصل على موافقة الخلافة ولاموافقة والي افريقية الذي حاول هو الاخر ابقاء الاندلس تابعة لولايته، ولذلك عين واليا جديداً على الاندلس هو يحي بن سلمة الكلبي بعد شهرين من تعين عذرة هناك، ولاتنسب المصادر الاسلامية الى عذرة اي عمل حربي في غالة عدا نجاحه في العودة بجند المسلمين الى الاندلس بعد استشهاد عنبسة في بلاد الفرنجة.(١٠٠)

٩ ـ يحي بن سلمة الكلبي سنة ١٠٧ هـ:

انفذه بشرين صفوان الكلبي والي افريقية الى الاندلس واليا بعد مقتل عنبسة، وعدم اقراره لما قام به جند الاندلس من تعيين عذرة ، فقدم يحي الى الاندلس، واقام بها سنتين ونصف ولم يغز ، لكنه اتخذ اجراءات قاسية ازاء المستقرين الاوائل من العرب والبربر في الاندلس، وحاول ان يجبرهم على التخلي عما كانوا قد اخذوه من السكان المحليين.(١٠١)

١٠ ـ عثمان بن ابي نسعة الخشعمي سنة ١١٠ هـ :

قدم الى الاندلس واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية ثم عزله بعد خمسة اشهر.

١١ ـ حذيفة بن الاحوص سنة ١١٠ هـ:

عينه والي افريقية بدل عثمان ، فوافا الاندلس سنة ١١٠ هـ، وحكم البلاد ستة اشهر دون صرامة، لكنه لم يعمل على زيادة الواردات، ولم يحقق شيئا يذكر للدولة.(١٠٢)

١٢ ـ الهيثم بن عبيد الكناني سنة ١١١ هـ:

حكم الاندلس مدة عشرة اشهر،عينه والي افريقية، وقد اتخذ اجراءات عنيفة ضد المستقربين الاوائل من العرب والبربر في الاندلس ، واتهم الكثير من الاغنياء العرب هناك بالتمرد، فعذب بعضهم ونفى البعض الاخر، وكان الهيثم بهذه السياسة ينفذ سياسة الحكومة المركزية المتمثلة بالحكم العام لشمال افريقية والاندلس، وكانت هذه السياسة، ترمي الى ممارسة المزيد من السلطة على المستقرين الاوائل بالاندلس بهدف زيادة الواردات والضرائب التي تجبى لتحمل الى الحكومة المركزية بشمال افريقية ودمشق.(١٠٣)

١٣ ـ محمد بن عبد الله الاشجعي سنة ١١١ هـ:

عندما توفي الهيثم بن عبد الكناني، حاول عرب الاندلس الانفصال بولايتهم مرة اخرى عن والي شمال افريقية، وسرعان ما انتخبوا احد قادتهم المدعو محمد بن عبد الله الاشجعي واليا على الاندلس، لكن عبيدة بن عبد الرحمن السلمي، والي شمال افريقية، لم يوافقهم على هذا الاجراء، لكنه ايضا حاول ان لايثيرهم لكي يضمن بقاء سلطته في البلاد ، لذلك استبدل محمد بن عبد الله الاشجعي بوال اخر على الاندلس من بينهم، هو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، ولم يمض على ولاية محمد بن عبد الله الاشجعي سوى شهرين.(١٠٤).

١٤ ـ عبد الرحمن الغافقي سنة ١١٢ هـ/ ٧٣٠ م:

كان عبد الرحمن الغافقي، اقدر قائد عسكري عرفته الاندلس في عصر الولاة، كان قائداً وافر الهمة والشجاعة والمقدرة، وكان جندياً اندلسياً قضى احسن ايامه عاملاً في جيوش المسلمين المحاربة فيما وراء جبال البرتات، ظهرت براعته في القيادة منذ موقعه تولوشة عندما استطاع انقاذ جيش المسلمين من المطاردة عقب مقتل قائده السمح بن مالك والعودة بهم الى الاندلس .(١٠٥).

كان عبد الرحمن، سليماً من نزعة العصبية التي ابتلى بها غيره، وكان مسلماً سليم الايمان حريصاً على اصول الشريعة لكنه كان رجلاً نشيطاً عنيفاً قاسياً لايبالي. اتجهت سياسة عبد الرحمن الغافقي الى تحقيق المزيد من الاستقلال لولاية الاندلس عن افريقية، وعمل على اقرار الوضع داخل الاندلس، بان اخمد حركات المعارضة من عرب المغرب، وهاجم مناطق القوط شمال البلاد لينصرف بعد ذلك الى محاربة الفرنجة فيما وراء جبال البرانس.

قاد عبد الرحمن الغافقي حشود المسلمين باتجاه فرنسا، وعبر جبال البرتات في اوائل سنة ١١٤ هـ/ سنة ٧٣٢ م، وقدرت عدة هذا الجيش بما تزيد على سبعين الف مقاتل من عرب المشرق والمغرب ، ولما عبرت هذه الجيوش الجبال، انساحت في بلاد فرنسا حيث تقهقر الفرنجة امامها، وامتلأت ايدي المسلمين بالغنائم وصارت وجهتهم مدينة تور ثانية اهم مدن نهر اللوار، وفيها كنيسة سان مارتان، وكانت لها شهرة ذائعة في الافاق، فاقتحم المسلمون البلد فاستنجد صاحبها بشارل مارتل ووحد الفرنجة صفوفهم في هذه المنطقة (غالة او غاليسيا) في وجه المسلمين واقترب الجيشان من بعضهما.

وبدأت المعركة التي سميت ((بلاط الشهداء)) في اتجاه مدينة ((تور)) بين الفريقين الاسلامي والفرنجي، وكان كل من الفريقين يحس بخطورة هذا الصراع الحاسم، ولذلك لم

يشترك الجيشان في المعركة الحامية الا بعد بضعة ايام من المناوشات والاشتباكات المحلية، ثم كانت المعركة النهائية، فكانت الغلبة للفرنجة، وحاول عبد الرحمن الغافقي عبثاً ان يثبت جنده ويعيد نظامه، فلم يفلح، وبينما هو في ذلك، اصابه سهم اودى بحياته، فانهال عليهم الفرنجة من كل جانب واوقعوا بهم كثيراً، وصبر المسلمون حتى اتى الليل ، فاستغلوا ظلامه وتراجعوا الى الجنوب باتجاه الاندلس.(١٠٦).

ويرى بعض المؤرخين، انه لو قدر للعرب ان ينتصروا في هذه المعركة لكانت باريس ولندن، موطنين تقام فيها المساجد، ولسمع فيها القرآن يفسر في الجامعات هناك كأكسفورد وغيرها من مراكز العلم، ولذلك فانه يمكن اعتبار هذه المعركة، احد المعارك الفاصلة في التاريخ.(١٠٧)

ولقد اثارت هذه الحملة العربية الاسلامية الشهيرة، وهذا الجيش الضخم على جنوب فرنسا ووسطها ، خيال الشعراء الاوربيين المحدثين، فقالوا بشأنها الكثير من الشعر .(١٠٨)

لقد كانت هذه المعركة التي دارت في سهول فرنسا لقاء حاسماً بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي، تغير بعدها مصير العالم القديم، حيث ارتد تيار الفتح الاسلامي امام الامم الشمالية كما ارتد قبل ذلك امام اسوار القسطنطينية، واصيب المجتمع العربي الاسلامي بتفرق الكلمة وكثرة المنازعات الداخلية في اسبانيا خاصة، وفي الوقت نفسه قامت فيما وراء جبال البرانس امبراطورية فرنجية كبيرة وقوية هددت الاسلام في الغرب ونازعته السيادة والنفوذ. (١٠٩)

١٥ ـ عبد الملك بن قطن الفهري سنة ١١٤ هـ :

عينة والي افريقية عبيد الله بن عبد الرحمن، على الاندلس، بعد معركة بلاط الشهداء واستشهاد عبد الرحمن الغافقي، وعبد الملك هذا هو من جند العرب البارزين في الاندلس، لكنه لم يوفق في هذه المهمة، فوهنت الاندلس على عهده، وصار بيت المال خاويا.(١١٠).

ومع ذلك اهتم عبد الملك بالمسير الى غالة لاقرار امر المسلمين، فيها بعد مااصابهم بموقعه بلاط الشهداء وماتلاها من تراجع ، لكنه ابتدأ بنواحي شمال الاندلس فهاجمها ثم عبر جبال البرانس، واهتم بتحصين المعاقل التي مازالت بايدي المسلمين في جنوب فرنسا، وتمكن العرب من الثبات في هذه الاراضي في عهده. لكنه لم يلبث طويلا في ولايته حيث عزله والي افريقية سنة ١١٦ هـ/ سنة ٧٣٢، وعين مكانه عقبة بن الحجاج السلولي .(١١١)

وكان سبب عزله، انه سخط عليه الزعماء واولو الرأي بالاندلس ودب الخلاف بين القبائل وظهرت بوادر الفتنة، ولم يوفق في اخماد الثورة في الولايات الشمالية وتوطيد سلطان الاسلام فيها.

١٦ ـ عقبة بن الحجاج السلولي سنة ١١٦ هـ:

اختاره عبيد الله بن الحبحاب عامل افريقية، مكان عبد الملك بن قطن لولاية الاندلس. فدخلها في شوال سنة ١١٦ هـ/ سنة ٧٣٤ م. وكان عقبة جندياً عظيماً نافذ العزم والهيبه محمود السيرة كثير العدل والتقوى فاقام النظام، ورد المظالم، وقمع الرشوة ، وعزل الحكام الجائرين، وانشأ الكثير من المدارس والمساجد فاستقرت البلاد وهدأت الفتنة (١١٢).

ثم عزم عقبة بعد ذلك على مواصلة الجهاد وتوطيد سلطة الاسلام في الولايات الشمالية وفي غاليسيا (جنوب فرنسا)، فنظم الجيش وتوغل في جيليقية واستولى على كثير من مواقعها، وحصن جميع المواقع الاسلامية على ضفاف نهر الرون، ولبث طوال حكمه الذي امتد خمسة اعوام مثابرا على الجهاد والغزو، وكان يخرج للغزو كل عام، وتمكن من استرداد الكثير من المواقع التي اخذها الفرنجة في فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء. (١١٣)

اضطر عقبة اخيراً الى التراجع من جنوب فرنسا بعد ان توحدت جيوش الفرنجة مع شارل مارتل ضد المسلمين واستولت على كثير من البلاد التي كانت بايديهم فيا وراء البرانس، فاجتاز عقبة جبال البرانس ووصل الى قرطبة سالماً مع جيشه الذي تكبد خسائر كثيرة وذلك سنة ١٢١ هـ / سنة ٧٣٩م ، ثم توفي عقبة بعد ذلك بقليل.(١١٤)

١٧ ـ عبد الملك بن قطن ثانية سنة ١٢٢ هـ:

كان عبد الملك بن قطن يتولى قيادة الجيش في الشمال، عندما توفي عقبة بن الحبحاب السلولي فثار اهل الاندلس، وقدموا عليهم عبد الملك بن قطن، فولي الاندلس للمرة الثانية، وذلك في خلافة هشام بن عبد الملك ، وكانت هذه الحادثة ، بداية عهد من الاضطراب والفتن والحروب الاهلية المستمرة في الاندلس حتى قيام الدولة الاموية فيها.

لقد كان للفتنة التي نشأت في شمال افريقية بين عرب المشرق وعرب المغرب وماقترن بها من احداث خطيرة، صداها الكبير في شؤون الاندلس، وعصفت بالاندلس حركة تمرد كتلك التي عصفت بافريقية في جيليقية وماردة خاصة، وحشد الثوار جموعهم وعزموا الزحف على طليطلة وقرطبة ثم الجزيرة بهدف القضاء على العرب في هذه البلاد،

فاستدعى عبد الملك بن قطن، وكان عربياً من مضر، بلج بن بشر القشيري وجند الشام الموجودين في سبتة لمعاونته على ان يترك الاندلس عندما يصلح حالها، فقبل بلج ذلك، وعبر هو واصحابه، وهم زهاء عشرة الاف ، الى الاندلس سنة ١٢٣ هـ، وانظموا الى قوات عبد الملك بن قطن واخيه امية، فاوقع الحلف العربي الجديد الهزيمة بالمتمردين من عرب المغرب وحلفائهم، في ظاهر قرطبة وعلى مقربة من طليطلة، وبذلك سحق التمرد في كل مكان بالاندلس، عندها طلب ابن قطن من بلج ترك الاندلس على ماكان بينهم من الاتفاق ، غير ان بلج ماطل في الجلاء وطالب باحقيته بولاية الاندلس ، فايده عدد من الزعماء العرب هناك، ثم نادي الجند الشامي الذي كان معه، بخلع عبد الملك بن قطن وتولية بلج، وانحاز اليهم اليمانيون، ووثب بلج واصحابه على ابن قطن وهو في قلة من جنده ، فقبضوا عليه بقصره بقرطبة، وكان شيخاً قد اشرف على التسعين عاماً من العمر، وقتلوه وتولى بلج امارة الاندلس في اوائل ذي العقدة سنة ١٢٣ هـ/ سنة ٧٤١م.(١١٥)

١٨ - بلج بن بشر القشيري سنة ١٢٣ هـ -

تولى بلج امر الاندلس بثورة قام بها هو واصحابه الشاميون وقتلوا عبد الملك بن قطن، غير ان الامر لم يستقر له وللجند الشامي فقد ثار عليه امية وقطن ابنا عبد الملك بن قطن الفهري، وحشدوا الجموع من العرب المحليين والبربر وانضم اليهم عدد من قادة الجند الذين انكروا اعمال بلج بعبد الملك. ومنهم : عبد الرحمن بن حبيب الفهري كبير الجند، وكان من انصار بلج اول الامر ، وعبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الاندلس في عصره وغيرهم، وبذلك انقسمت الاندلس الى معسكرين كبيرين: معسكر جند الشام المتغلب على الحكم، ومعسكر العرب المحليين والبربر، فعظمت الفتنة واشتد الاضطراب، وسار امية وقطن ابنا عبد الملك بن قطن وانصارهما الى قرطبة العاصمة، في نحو مائة الف رجل لقتال الشاميين ، فاستعد بلج واصحابه للدفاع في نحو عشرين الف رجل، والتقى الفريقان على مقربة من قرطبة سنة ١٢٤ هـ/ سنة ٧٤٢م، وجرت بينهما معارك عنيفة ابدى فيها الشاميون شجاعة وجلدا كأن النصر لهم فيها وارتد المهاجمون منهزمين غير ان بلج جرح في هذه المعركة وتوفي بعدها بايام ، وعاد الشاميون الى قرطبة ظافرين وقدموا عليهم ثعلبة بن سلامة العاملي.(١١٦)

١٩ ـ ثعلبة بن سلامة العاملي سنة ١٢٤ هـ:

ولي ثعلبة امارة الاندلس بعد مهلك بلج، وقيل انه وليها بعهد من الخليفة الاموي، وقيل من عامل افريقية، فقبض على زمام الامور بحزم، فضبط النظام والامن وابدى كثيراً من المرونة والاعتدال، ودانت له بلاد الاندلس كلها في السنة الاولى لامارته ، غير ان العصبية التي مالت به الى اليمانية مؤخراً افسدت امره ، فانقسمت الاندلس الى مناطق نفوذ للزعماء والطامعين الراغبين بالخروج عن طاعة حكومة قرطبة ومنهم : امية وقطن ابنا عبد الملك بن قطن، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري، وعبد الرحمن اللخمي حاكم اربونة ، يؤازرهم عامة العرب والبربر الاوائل ، فنشبت الحروب الداخلية في البلاد من جديد، تمكن ثعلبة من الانتصار فيها والايقاع بخصومه بعد ان سبى واسر الكثير منهم، ولكنه قبل ان يحقق نصره الحاسم واهدافه القاسية، عزل عن ولاية الاندلس وعين بدله ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي.(١١٧)

٢٠ ـ ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي سنة ١٢٥ هـ :

خشي جماعة من زعماء الاندلس، عاقبه الفتنة، وما تؤدي اليه من انتصار اسبان الشمال والاغارة على الاراضي الاسلامية هناك، فبعثوا الي حنظلة بن صفوان والي افريقية، يطلبون اصلاح الحال وعزل ثعلبة، فاستجاب حنظلة لطلبهم واختار ابا الخطار والياً على الاندلس بعد عزل ثعلبة ، وقيل ان الذي اختار ابا الخطار، هو هشام بن عبد الملك قبيل وفاته بقليل، فقدم ابو الخطار الى الاندلس من تونس سنة ١٢٥ هـ، فقبض في الحال على زمام الامور، وافرج عن الاسرى والسبايا الذين اراد ثعلبة القضاء عليهم، واعاد الهدوء والنظام الى البلاد، واخمد نار الثورة ودان له اهل الاندلس بالطاعة، واقبل عليه ثعلبة بن سلامة وابن ابي نسعة، وامية وقطن ابنا عبد الملك بن قطن وغيرهم من الزعماء والقادة ، فأحسن اليهم جميعاً، واستقام امره، وكان شجاعاً كريماً ذا راي وحزم، وكثر اهل الشام عنده ولما لم تحملهم قرطبة فرقهم في البلاد ، فانزل اهل دمشق، البيرة لشبهها بدمشق، وسماها دمشق، وانزل اهل حمص باشبيلية، وسماها حمص ، واهل قنسرين في جيان، وسماها قنسرين، واهل الاردن بمالقة، وسماها الاردن، واهل فلسطين في شذونة وهي شريش وسماها فلسطين، واهل مصر في باجه وتدمير وسماها مصر، وضمت بذلك تدمير الى ولايات الاندلس بعد ان كانت للقوط على صلح مع المسلمين، وفقد القوط بناءاً على ذلك اخر معاقلهم المستقلة في الجنوب وصارت تحت سلطان الحكومة المركزية للاندلس.(١١٨).

ثم ان ابا الخطـار راقب زعمـاء الفتنـة وتتبع اخبـارهم، فقبض على ثعلبـة بن سلامـة العاملي ونفاه الى افريقية مع بعض اصحـابـه، بينمـا اعلن اميـة وقطن ابنـا عبـد الملـك، الطالله، فولاهما الحكم في بعض الولايات الشمالية من الاندلس اما عبـد الرحمن بن حبيب الفهري، فقد فر متخفياً الى تونس حيث تمكن من الوثوب على والي افريقيـة حنظلـة بن صفوان وانتزع أمارة افريقيـة منـه، امـا عبـد الرحمن اللخمي فبقي مستقلاً بربـاط الثغر ويحكم في اربونة وما جاورها.

غير ان ابا الخطار الذي سلك سياسة معتدلة وحازمة في اول الامر، وساوى بين جميع القبـائل والاقـوام في المعـاملـة ورضـوا عنـه، مـالبث ان عاد الى العصبيـة اليانيـة وتنكر للمضرية، فزادت الاحقاد، وعادت المنافسة، وثارت الفتنة من جـديـد بعـد ان اهـان ابو الخطار الصميل بن حـاتم الكلابي، وهو من اشراف الكوفـة الـذي رحل واهلـه الى الشـام، ومنها رحل الى افريقية حيث التحق بالاندلس مع جند الشسام ودخلها بقيادة بلج، وقد التف حوله المضرية وبعض اليانية فلما اعتدى عليه أبو الخطار، بعث الى قومـه في مختلف الانحاء بالانـدلس، وايـدتـه المضريـة وحلفـاؤهم في الخروج على ابي الخطـار، وايـده بعض الزعمـاء الحـاقـدين والمعـارضين لابي الخطـار ومنهم : ثوابـة بن سـلامـة، وزحفت جمـوع المعارضـة على قرطبـة، فلقيهم ابو الخطـار بقواتـه على ضفـاف وادي لكـه سنـة ١٢٧ هـ، ونشبت بين الفريقين معارك، شديدة انهزم فيها ابو الخطار واسر، ودخل ثوابة والمعارضـة قرطبة واختاره المضريون اميراً للاندلس مكان ابي الخطار.(١١٩)

٢١ - ثوابه بن سلامة الجذامي سنة ١٢٨ هـ :

تولى ثوابه ولاية الاندلس بعد عزل الثوار لابي الخطار هناك، وايد هـذا الاجراء، عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي صار والياً على افريقية بعـد ان انتزعهـا من حنظلـة ابن صفوان، لكن ابا الخطار استطاع ان يهرب من سجن ثوابة وذهب الى منطقـة بـاجـه وحشـد الجموع وقصـد قرطبـة، فلقيـه الصميل في المضريـة، وثوابـه في اليانيـة، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بـالـدعوة الى وقف القتـال، وعـاد ابو الخطـار الى بـاجـه بعـد ان أتفض عنه جنده، ولم يلبث ثوابـه ان توفي في اوائل سنـة ١٢٩ هـ بعـد ان حكم الانـدلس زهاء عام ونصف، وكان الصميل يدبر امره .(١٢٠)

٢٢ - يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة ١٣٠ هـ :

لما هلك ثوابه، ووقع الخلاف بافريقيـة، واضطرب امر بني اميـة بـالمشرق، وعظم امر الـدعوة العبـاسيـة، وعمت الفوضى بلاد الانـدلس، ونشب الخلاف بين الزعمـاء والقبـائل

هناك مرة اخرى، اصر اليانية على ان يكون الامير منهم خلفاً لثوابه، واصر الصميل ان يكون الامير من المضرية، واشتد النزاع بين الفريقين ووقعت مصادمات عديدة، بقي الاندلس في ظل ذلك، بضعة اشهر دون امير رسمي، فتولى الاحكام فيها انذاك عبد الرحمن بن كثير اللخمي باتفاق الفريقين ، ثم اتفق جند الاندلس علىاقتسام الامارة بين المضرية والقيسية (اليانية) سنة لكل فريق بالتناوب، فقدم المضرية عليهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، فاصبح والياً على الاندلس سنة ١٢٩ هـ مدة عام واحد، وحدث ذلك دون مصادقة دمشق او والي افريقية، ولما اتم يوسف سنة ولايته بقرطبة دار الامارة ، اتاه اليانية لميعاد دولتهم حسب الاتفاق ، لكن يوسف الفهري نقض هذا الاتفاق وهاجم اليانية في مكان نزولهم ليلاً في احدى ضواحي قرطبة، يعاونه في ذلك الصميل بن حاتم والقيسية وسائر المضرية، فداهموا اليانية وهزموهم وهزم يوسف خصومه الاخرين، واستبد بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليانية على امرهم، واستكانوا لهذه الغلبة ، وتربصوا الدوائر بيوسف الى ان جاء عبد الرحمن الداخل الاموي الى هذه البلاد.(١٢١).

ثانياً : نهاية عصر الولاة :

لم يكن تراجع المسلمين في فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء السبب الوحيد الذي اوقف تقدمهم، ودفعهم الى التراجع الى داخل الاندلس، حيث بدأت نهاية عصر الولاة في هذه البلاد، فالعرب اذ ذاك، كانوا قوماً مجاهدين، الموت احب اليهم من الحياة، وكانت الهزائم لاتعني في حسابهم شيأ في هذه المعركة او تلك، فقد رأيناهم ينحدرون، او يتراجعون مرة تلو مرة في افريقية لكن ذلك لم يمنعهم من العودة والاصرار على النجاح والفتح، انما الذي اوقف تقدمهم واضعفهم واسقطهم، ما نشأ بينهم من الفتن العصبية، وما صرفهم عن مواصلة الفتوح من احقاد ورغبة في النفوذ والسيادة لبعضهم على حساب البعض.(١٢٢).

لقد كان يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي انتهت ولايته على الاندلس سنة ١٣٨ هـ اخر ولاة الاندلس في هذه الفترة ، رغم انه استقل بولايتها زهاء عشرة اعوام، وعلى يده انتقلت الى عهد جديد ودولة جديدة ، ويوسف هذا هو ابن عبد الرحمن بن حبيب ابن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري فاتح افريقية، كان والده عبد الرحمن قد فر من الاندلس خوفاً من نقمة ابي الاخطار، واستقر في تونس فلما قتل الوليد بن عبد الملك ، الخليفة الاموي سنة ١٢٦ هـ، استغل عبد الرحمن الفرصة وزحف بانصاره الى القيروان ودخلها سنة ١٢٧ هـ واعلن ولايته على افريقية بعد ان انسحب عنها حنظلة بن صفوان، ولم يعترض الخليفة يزيد بن الوليد الذي ولي الخلافة بعد مقتل ابيه على ذلك نزولاً عند

حكم الواقع، فلما ولي الخلافة مروان بن محمد بعد ذلك باشهر ، كاتبه عبد الرحمن بن حبيب واظهر له الطاعة ، فاقره على ولاية افريقية.(١٢٣)

لبث عبد الرحمن مستقلاً بحكم افريقية اكثر من عشرة اعوام، ثم اعلن طاعته للدولة العباسية ، لكنه قتل غيلة سنة ١٣٨ هـ، وكان ابنه يوسف قد فر منه لعدم اتفاقهما، ودخل الاندلس ، وكان مثل ابيه فارساً هماماً وخطيباً مفهوماً ، فتقدم بين المضرية ولازم الصميل وصادقه، حتى عظم نفوذه، وانتهى به الامر الى ان ظفر بامارة الاندلس سنة ١٢٩ هـ على ماتقدم، وهو يومئذ في السابعة والخمسين من عمره .(١٢٤).

لم تحاول الخلافة بدمشق التدخل بما يجري بالاندلس بسبب مشاغلها في المشرق ولم يكن يوسف بحاجة الى مصادقة على اجراءاته وتفرده بالسلطة في هذه البلاد وقد ايقظ ذلك العصبية القبلية والنزاع بين الزعماء للاستئثار بالنفوذ ، فنشطت المضرية وعلى راسها الصميل، وظهر ابو الخطار الامير المعزول على مسرح الاحداث ، وكان يقيم في باجة غرب الاندلس، وخرج يحيى بن حريث الجذامي بعد ان نزعت ولاية رية منه، فاجتمع ابو الخطار وابن حريث على قتال يوسف بن عبد الرحمن، وزحفا نحو قرطبة، وحشد يوسف والصميل جموع المضرية، والتقى الفريقان قرب قرطبة سنة ١٣٠ هـ/ سنة ٧٤٧ م ونشبت بينهما معركة هائلة حتى قيل فيها: ((انه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب ، حرب اصدق منها جلاداً ، ولا اصبر رجالاً ، طال صبر بعضهم على بعض الى ان فني السلاح، وتجاذبوا بالشعور ، وتلاطموا بالايدي، وكل بعضهم عن بعض))(١٢٥). انتهت باسر ابي الخطار وابن حريث، واستقر الامر ليوسف واقطع الصميل ولاية سرقسطة واعمالها بهدف ابعاده عن قرطبه.

استقر الامر ليوسف، وضبط النظام، غير ان سلطته المركزية على الاقاليم ضعفت حيث هبت الفتنة من جديد، واستقل كثير من العمال بالنواحي وتحرك الاسبان في الولايات الشمالية، وعصف القحط بالاندلس سنة ١٣٣ هـ خاصة واستطال عامين، فاجدبت السهول والوديان ، وقلت الزراعة ، وفتك الجوع بالقرى والمدن، وتعرضت البلاد لهجوم عصابات كثيرة من امم شتى من جهة البحار، ومع ذلك حاول يوسف اصلاح الحال، واعاد النظر بالضرائب وامر بمراجعة السجلات القديمة الخاصة بذلك، وحذف اسماء الموتى منها بعد ان كان اهلهم يدفعون عنهم الضرائب واصلح الطرق، وقسم البلاد الى ولايات خمس كما كانت زمن القوط وبداية الفتح العربي لها بعد تعديل حدودها. فاصبحت كالاتي(١٢٦):

١ ـ ولاية الاندلس ، وهي ولاية باطقة القديمة، ومن اشهر قواعدها : قرطبة وقرمونة، واشبيلية ، وشذونة ، ومالقة ، والبيرة، وجبان.

٢ـ ولاية طليطلة ، وهي ولاية قرطاجنة القديمة، واشهر قواعدها طليطلة، ومرسيه، لورقة، واريوله، شاطبة، لقنت، وبلسنية وغيرها.
٣ـ ولاية ماردة، وهي ولاية جيليقية القديمة، واشهر قواعدها ماردة، وباجة، اشبونة، استرقة، وسمورة، وغيرها.
٤ ـ ولاية سرقسطة، وهي ولاية كانتبريا القديمة، واشهر قواعدها سرقسطة، طركونة، جيرندة ، برشلونة، لاردة، طرطوشة، وغيرها.
٥ ـ ولاية اربونة، وهي ولاية الثغر شمال شرق جبال البرنية، وتشمل مصب نهر الرون على البحر، واشهر قواعدها : اربونة، نيمة، قرقشونة، اجده، ماجلونة.

اهتم يوسف مع ذلك بتنظيم الجيش ، غير ان الاسبان في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا استطاعوا ان يستولوا على كثير من انحاء ولاية اربونة من ايدي المسلمين، ونجحوا في اجلاء المسلمين عن غاليسيا رغم مقاومة الحاميات الاسلامية العنيفة، وفضلاً عن ذلك، التهبت الثورات والاضطرابات الداخلية في عموم الاندلس، ولعبت المنازعات الشخصية القديمة دورها في ذلك، وكان بالاندلس عدد من القادة والزعماء العرب النابهين من ذوي الجاه والعصبية الذين نقموا على يوسف والصميل لاستئثارهم بالسلطة، وكان اقوى هؤلاء الخصوم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي حاكم اربونة الملقب ((بفارس الاندلس)) ويوسف ابن عمرو بن يزيد الازرق الذي خرج على يوسف باشبيلية، وعروة بن الوليد الذي **خرج عليه في باجة والتف حوله** الاسبان فضلاً عن انصاره من العرب والبربر، والذي سمي ((الذمي)) ثم كان اخطرهم عمرو بن وهب العبدري ، زعيم مضر بالاندلس، وكان صديقاً ليوسف قبل ظفره بالامارة ، فلما تولى يوسف ، عزله عن قيادة الجيش، وحاول عامر ان يبسط نفوذه على الجزيرة الخضراء ، ثم انتقل الى قرطبة ، وثار زعيمان اخران من قريش ضد يوسف والصميل : الحباب بن رواحة الزهري الكلابي، وتميم بن معبد الفهري، وقد رفعا لواء الثورة في ولاية سرقسطة، واوقعا بالصميل سنة ١٣٦ هـ واستوليا على سرقسطة، وخرجت الشمال كلها عن قبضة يوسف. (١٢٧)

تمكن يوسف من اخماد الثورة في سرقسطة وقضى على المتمردين فيها وقتلهم، وعاد الى طليطلة، واعتقد انه قضى على اخر الخارجيين عليه، لكنه فوجيء بخطر جديد جاءه من خارج جزيرة الاندلس، فقد جاءه رسول من قرطبة، وكان يجتمع الى صديقه الصميل بظاهر طليطلة يحمل هذا الرسول كتابا من ولده عبد الرحمن ابن يوسف، يذكر فيه: ان فتى من بني امية يدعى عبدالرحمن بن معاوية قد نزل بساحل الاندلس، واجتمع اليه انصار بني امية في غرناطة، وانتشرت دعوته في جنوب الاندلس بسرعة، وذاع الخبر في جيش يوسف، فتفرق كثير منه بعد ان ساده الذعر والاضطراب، فبادر يوسف والصميل بمن بقي معهم من الجند بالسير الى قرطبة ليتدبروا الامر امام هذا الخطر الجديد، وكان

ذلك في اواسط سنة ١٣٨ هـ / سنة ٧٥٥ م.(١٢٨)

وكان الفرنج في هذا الوقت قد استولوا على جميع القواعد والاراضي الاسلامية فيما وراء جبال البرتات ، ولم يبق منها بيد المسلمين سوى اربونة نفسها، باعتبارها اقوى قلاع المسلمين فيما وراء الجبال، وقد قاومت هذه المدينة الفرنج ببسالة رغم انقطاع المدد عنها من قرطبة التي شغلتها نيران الثورة (وما لبثت ان سقطت بايديهم نتيجة خديعة دبرها الفرنج مع القوط الموجودين في داخلها، فعمل القوط على اضرام الثورة في داخل المدينة، ثم انقضوا ذات يوم على حراسها المسلمين وقتلوهم وفتحوا ابوابها، فدخلها الفرنج وفتكوا بسكانها المسلمين ايما فتك، وخربوا مساجدها ومعاهدها ودورها وكان ذلك سنة ١٤٢ هـ، وسقطت بذلك اخر معاقل المسلمين في غاليسيا (فرنسا)، وانهارت سيادة الاسلام فيما وراء جبال البرانس بعد ان استمرت هناك زهاء نصف قرن، واحتشدت قوى الفرنج من جديد تتربص بالاسلام في الاندلس، بينما كانت قوى الاسلام داخل شبه الجزيرة، يمزق بعضها بعضا، ونشط القوط في اقصى شمال الاندلس واحتشدت قواهم واخذوا يغيرون على الاراضي الاسلامية هناك كلما سنحت لهم الفرصة، وخاصة عندما عمت الاندلس الفتن والاضطرابات، واستولوا على كثير من اراضي المسلمين ومنها استرقة وغيرها من البلاد والضياع المجاورة سنة ١٣٦ هـ، وصارت امارة جيليقية هناك تناهض الاسلام وتغالبه وتعمل ماوسعت لاخراج العرب من هذه البلاد.(١٢٩)

هوامش الباب الاول

١- البكري ٠ المسالك والممالك٠ ص ٥٧-٥٨
٢ - ابن الاثير٠ الكامل٠ ج٤٠ ص ٥٥٦
د٠ عبد الواحد ذنون طه٠ الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقية والاندلس ٠ ص ٦٨
٣ - المقري٠ نفح الطيب٠ ج ١٠ ص ٦٣٠
حسن ابراهيم حسن٠ تأريخ الاسلام السياسي٠ ج ١٠ ص ٣٠٨
٤ - ابن الاثير ٠ الكامل ٠ ج٤ ٠ ص ١٢٠
٥ - المقري٠ نفح الطيب ٠ج ١٠ ص ٦٧
٦- المقري٠ المصدر السابق ٠ ج١٠ ص ٦٥، ٩٥
٧ - عبد الواحد ذنون ، المصدر السابق ٠ ص ٦٨
٨ - المقري ٠ نفح الطيب٠ ج١٠ ص٧٢
٩ - المقري٠ المصدر السابق ٠ج١٠ ص ٧٤
١٠- المقرى ٠ نفس المصدر ٠ج١ ص ٧٦
١١ - المقري ٠ المصدر السابق ٠ج١ ص ٧٧
١٢ - ابن الاثير٠ الكامل٠ج٤٠ ص ١٢٠
١٣ - عبد الواحد ذنون٠ المصدر السابق ٠ ص ٦٩-٧١
١٤ - د٠ السيد عبد العزيز سالم٠ المغرب الكبير ٠ ج٢٠ ص ١-٢٠
١٥ - ابن الاثير ٠٠ الكامل ٠ ج٤٠ ص ١٢١١٢٠
١٦ - المقرى ٠ نفح الطيب ٠ج١٠ ص ٦٩
١٧ - عبد العزيز سالم٠ المغرب الكبير٠ ج٢ ٠ص٢٧-٣٠٠
١٨ - عبد العزيز نفس المصدر٠ ج٠ ص ٥٧، ٧٧
١٩ - عبد الواحد ذنون ٠ المصدر السابق٠ ص ٨١ ومابعدها
٢٠ - حسن ابراهيم حسن٠ تاريخ الاسلام السياسي ٠ج ص ٣٠٨-٣٠٩
٢١ - عبد الواحد ذنون ٠ المصدر السابق ٠ ص ٨٩
٢٢ - ابن القوطية ٠ تاريخ افتتاح الاندلس٠ ص٢
ابن الاثير ٠ الكامل ٠ ص ٥٦٠
٢٣ - عبد الواحد ذنون ٠ المصدر السابق ٠ ص٩٠-٩١
٢٤ - حسن ابراهيم حسن٠ تاريخ الاسلام السياسي ٠ ج١ ٠ ص٢١٠٠

٢٥ ـ د٠ السيد عبد العزيز سالم٠ المغرب الكبير ٠ج٢٠ ص ١٤١٠
٢٦ ـ ابن الاثير٠ الكامل ٠ ج٣٠ ص ٩٣
ابن القوطية٠ تاريخ افتتاح الاندلس٠ ص ٧ـ٨
المقري٠ نفح الطيب ٠ج١ ٠ ص ٢٥١ـ٢٥٣٠
٢٧ ـ عبد العزيز سالم٠ المغرب الكبير ٠ ج٢ ص ح ١٥٠ـ١٥٢
٢٨ ـ عبد الواحد ذنون ٠ الفتح العربي لشمال افريقية والاندلس ٠ ص ١١٢ـ١١٣
٢٩ ـ ابن الاثير ٠ الكامل ٠ ج٤٠ ٥٦١
عبد العزيز سالم ـ المغرب الكبير٠ ج ٢٠ص٦
٣٠ ـ ابن عذراي ٠ البيان المغرب٠ ج٢ ٠ ص٦
ابن عبد الحكم ٠ فتوح مصر واخبارها٠ ص ٢٠٥ـ٢٠٦
٣١ ـ عبد العزيز سالم٠ المغرب الكبير٠ ج٢٠ ص ١٧٢ـ١٧٣
٣٢ ـ ابن الاثير ٠ الكامل٠ ج٤٠ ص ٥٦٢
ابن خلدون ٠ تاريخ العبر٠ ج٤٠ ص ٢٥٤
ابن حبيب استفتاح الاندلس ٠ ص٢٢٢
٣٣ ـ عبد الواحد ذنون٠ الفتح العربي لشمال افريقية والاندلس ٠ ض ١١٦
٣٤ ـ عبد العزيز سالم ٠ المغرب الكبير٠ ج٢ ص١٨٣، ١٨٤، ١٨٧٠
٣٥ ـ ابن عذاري ٠ البيان المغرب ج٢٠ ص ٦
٣٦ ـ المقري٠ نفح الطيب ج١٠ ص ٢٦١
عبد العزيز سالم٠ المصدر السابق ج٢ ص ٢٠٨ـ٢٠٩
٣٧ ـ عبد الواحد ذنون٠ المصدر السابق٠ ص ١٢٥ـ١٢٦
٣٨ ـ عبد العزيز سالم٠ المصدر السابق٠ ج٢ ص٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤
٣٩ ـ ابن عبد الحكم٠ فتوح مصر واخبارها ٠ ص ٧٢
ابن عذاري٠ البيان المغرب ص ٢٧
٤٠ ـابن الاثير٠ الكامل ج٤٠ ص ١٠٥
ابن خلدون٠ تاريخ العبر٠ ج٤٠٠ ص٣٩٨
٤١ ـ ابن الاثير٠ الكامل٠ ج٢ ص ١٠٧ـ١٠٨
٤٢ ـ ابن خلدون٠ تاريخ العبر٠ ج٤ ص ٤٠٠
ياقوت الحموي٠ معجم البلدان ج١٠ ص ٢٢٩
٤٣ ـ عبد العزيز سالم٠ المغرب الكبير٠ ج٢ ص ٢٣٧ـ٢٣٨
٤٤ ـ حسين مؤنس٠ فتح العرب للمغرب٠ ص ٢٣٦
٤٥ ـ ابن الاثير٠ الكامل ج٤ ٠ ص ٣٧١ـ٣٧٢

حسين مؤنس، المصدر السابق، ص ٢٤٥-٢٠٩

٤٦ ـ عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج٢ ص ٢٤٩-٢٥٠

٤٧ ـ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٠، ٢٥٠

٤٨ ـ عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ج٢ ص ٢٥٦-٢٥٨

٤٩ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص ١٢٠-١٢١

ابن خلدون، تاريخ العبر، ج ٤، ص ١١٦

٥٠ ـ د، السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج٢ ص٢٥٦-٢٥٧، ٢٦٤.

٥١ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص ١٢١

٥٢ ـ المقري، نفح الطيب، ج١ ص ١٠٦

حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلامي السياسي، ج١، ص ٣١٠

٥٣ ـ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ج٦ص ٤٦١

عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج٢ ص ٢٧٠-٢٧٢

٥٤ ـ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج١، ص ٣١٣

فيليب حتي، تاريخ العرب، ج٢ ص٥٩٠

٥٥ ـ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ، ج١ ، ص ٣١٣.

٥٦ ـ عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج٢ ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .

٥٧ ـ فيليب حتي ، تاريخ العرب ، ج٢ ، ص ٥٩٠

عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ج٢ص ٢٧٥

٥٨ ـ المقري، نفح الطيب، ج١ ص ١١٣-١١٤

٥٩ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص١٢٢

حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج١، ص ٣١٥

٦٠ ـ فليب حتي ، تاريخ العرب، ج٢، ص ٥٩١

٦١ ـ عبد العزيز سالم، المقرب الكبير، ج٢، ص ٢٧٧

حتي ، المصدر السباق، ج٢، ص ٥٩١

٦٢ ـ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ح١ ،ص ٣١٧

٦٣ ـ عبد العزيز سالم ـ المغرب ألكبير ج٢ ص ٢٧٧-٢٧٩

٦٤ ـ عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص ٢٨٠

٦٥ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٤٩٢

عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ج٢ ص٢٨٠

٦٦ ـ ابن خلدون ، تاريخ العبر، ج٤، ص ١١٧.

٦٧ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٤٩٢

حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي، ج١، ص ١١٨

٦٨ ـ ابن الاثير· الكامل· ج٤· ص ١٢٤

المقري· نفح الطيب· ج١· ص ١٤٠ـ١٤١

٦٩ ـ عبد العزيز سالم· المغرب الكبير· ج٢· ص ٢٨٤ـ٢٨٥

٧٠ ـ احمد امين· ظهر الاسلام· ج٣· ص١ـ٤، ٢٠

٧١ ـ عبد الواحد ذنون، انظر الفصل الرابع من كتابه· ص ٢٠٣ـ٢٨٩

٧٢ ـ العذري· فصول عن الاندلس· ص٢٠، ٢٤، ٩٠، ٩٢، ١٢٠، ١٧٠·

ابن عبد الحكم· فتوح مصر واخبارها· ص ٢٠٦

ابن عذاري· البيان المغرب· ج٢· ص٢· ص٨، ١٢، ١٥، ٢٣·

٧٣ ـ الانصاري· الذيل والتكلة لكتابي الموصول والصلة· ج١· ص ٢٢٣·

٧٤ ـ ابن عبد الحكم· فتوح مصر واخبارها· ص ٥٦

ابن القوطية· تأريخ افتتاح الاندلس· ص ١٣، ٧٦·

٧٥ ـ الكندي· الولاة والقضاء· ص٨

ابن القوطية· تاريخ افتتاح الاندلس ص١٣، ٧٦

٧٦ ـ العذري· فصول عن الاندلس· ص٥

٧٧ ـ العذري · المصدر السابق · ص ٩٠ ·

٧٨ ـ ابن عذاري· البيان المغرب· ج٢· ص ٢٥٦ـ٢٥٧

٧٩ ـ ابن الاثير· الكامل· ج٤· ص٢٧٣، ٤٩١

ابن خلدون· تاريخ العبر· ج٤· ص٢٥٩ـ٢٦٠

ابن القوطية · تاريخ افتتاح الاندلس ص٢٠

٨٠ ـ ابن عذاري· البيان المغرب · ج٢· ص٣٣

المقري· نفح الطيب· ج١· ص ٢٣٧

٨١ ـ اليعقوبي· كتاب البلدان · ص٣٥٤

العذري · فصول عن الاندلس· ص ١٢٠

٨٢ ـ ارنولد توماس· الدعوة الى الاسلام· ص ١١٧ـ١١٩

٨٣ ـ المقري· نفح الطيب· ج١· ص ١٢٦ـ١٢٧، ٢٨٠ـ٢٨١

٨٤ ـ المقري· نفح الطيب· ج١· ص ١٢٦ـ١٢٧

(٨٥) حسين مؤنس، فجر الاندلس، ص ١١٨٠
(٨٦) حسين مؤنس، المصدر السابق ٠ ص ١١٨ـ١١٩٠
(٨٧) حسين مؤنس، نفس المصدر ٠ ص ١٢٥
(٨٨) احمد امين٠ ظهر الاسلام٠ ج ٣٠ ص ٣١٤٠
(٨٩) حسين مؤنس٠ فجر الاندلس ٠ ص ١١٤٠
(٩٠) ابن عذاري٠ البيان المغرب٠ ج ٢٠ ص ٢٣ـ٢٤٠
ابن الاثير٠ الكامل٠ ج ٥٠ ص ٢٢٠
(٩١) حسين مؤنس٠ فجر الاندلس٠ ص ١٣٣
(٩٢) حسين مؤنس٠ المصدر السابق٠ ص ١٣٤٠
(٩٣) ابن عذاري٠ البيان المغرب٠ ج ٢٠ ص ٢٥٠
(٩٤) عبدالواحد ذنون٠ الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقية والاندلس ص ٢٣٦٠
(٩٥) ابن عذاري٠ البيان المغرب٠ ج ٢٠ ص ٢٥٠
(٩٦) مؤلف مجهول٠ فتح الاندلس٠ ص ٢٥٠
(٩٧) فيليب حتي٠ تأريخ العرب٠ ج ٢٠ ص ٥٩٥٠
ابن عذاري٠ البيان المغرب٠ ج ٢٠ ص ٢٦٠
المقري٠ نفح الطيب٠ ج ١٠ ص ٢٣٥٠
(٩٨) حسين مؤنس٠ فجر الاندلس٠ ص ٢٤٧ـ٢٤٨٠
(٩٩) ابن القوطية٠ تاريخ افتتاح الاندلس٠ ص ١٣٠
(١٠٠) حسين مؤنس٠ فجر الاندلس٠ ص ٢٥٤
(١٠١) عبدالواحد ذنون٠ المصدر السابق٠ ص ٣٤٢ـ٣٤٣٠
(١٠٢) عبدالواحد ذنون٠ المصدر السابق٠ ص ٣٤٣٠
(١٠٣) عبدالواحد ذنون٠ نفس المصدر٠ ص ٣٤٣٠
(١٠٤) ابن عبدالحكم٠ فتوح مصر واخبارها٠ ص ٢١٦ـ٢١٧٠
(١٠٥) عبدالله عنان٠ دولة الاسلام في الاندلس٠ ص ٩٥٠

(١٠٦) ابن الاثير. الكامل. ج ٠٥ ص ١٧٤.
المقرى. نفح الطيب. ج ٠١ ص ٢٣٦.
ابن عذاري. البيان المغرب. ج ٠٢ ص ٢٨.
(١٠٧) حتى. تأريخ العرب. ج ٠٢ ص ٥٩٦.
(١٠٨) عبدالله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. ص ٩٥-٩٦.
(١٠٩) عبدالله عنان. المصدر السابق. ص ١٠٩.
(١١٠) عبدالواحد ذنون. المصدر السابق. ص ٣٤٨.
(١١١) حسين مؤنس. فجر الاندلس. ص ٢٧٨.
(١١٢) المقرى. نفح الطيب. ج ٠٢ ص ٥٨.
ابن عذاري. البيان المغرب. ج ٠٢ ص ٢٨.
(١١٣) عبدالله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. ص ١١٢.
(١١٤) عبدالله عنان. المصدر السابق. ص ١١٤.
(١١٥) ابن الاثير. الكامل. ج ٠٥ ص ٩٢.
ابن عبدالحكم. فتوح مصر واخبارها. ص ٢٢٠.
ابن خلدون. تأريخ العرب. ج ٠٤ ص ٢٥٩.
(١١٦) عبدالله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. ص ١٢٢-١٢٣.
ابن القوطية. تأريخ افتتاح الاندلس. ص ١٦-١٧.
(١١٧) ابن الاثير. الكامل. ج ٠٥ ص ٩٥.
ابن عذاري. البيان المغرب. ج ٠٢ ص ٣٢-٣٣.
(١١٨) عبدالله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. ص ١٢٤
(١١٩) المقري. نفح الطيب. ج ٠٢ ص ٦٢.
(١٢٠) ابن الاثير. الكامل. ج ٠٥ ص ١٢٦.
المقرى. نفح الطيب. ج ٠٢ ص ٦٠-٦١.
(١٢١) عبدالواحد ذنون. المصدر السابق. ص ٢٩٦.
(١٢٢) حسين مؤنس. فجر الاندلس. ص ٣٠٥.
(١٢٣) البلاذري. فتوح البلدان. ص ٢٣٣.

(١٢٤) المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٦١.
(١٢٥) المقري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦١.
(١٢٦) عبدالله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ١٣٠-١٣١.
(١٢٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص ٤٣.
المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٦٢.
ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٨-٣٩،٤٣.
(١٢٨) ابن القوطية، المصدر السابق، ص ٢٠.
المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ١٤٥.
عبدالله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ١٣٤.
(١٢٩) عبدالله عنان، المصدر السابق، ص ١٣٥-١٣٦

الباب الثاني
الدولة الاموية في الاندلس

الفصل الاول ـ الثورة العباسية ونهاية دولة بني **امية في المشرق**
الفصل الثاني ـ قيام الدولة الاموية في الاندلس
الفصل الثالث ـ عصر الامارة الاموية في الاندلس .
الفصل الرابع ـ عصر الخلافة الاموية في الاندلس .
الفصل الخامس ـ الدولة العامرية ونهاية الخلافة الاموية في الاندلس .

الفصل الاول

الثورة العباسية ونهاية الدولة الاموية في المشرق

اولاً : الثورة العباسيـــة :

لما اشتدت شوكة الدعوة العباسية في خراسـان، وظهر امر ابي مسلم الخراسـاني، وغلب على العسكر العباسي، واظهر دعوة بني هاشم سنة ١٢٩ هـ، كان امر بني امية قد ضعف في تلك الديار، وتراجع انصارهم وقوادهم امام الدعوة الجديدة ، فكتب نصر بن سيـار قـائـد الامويين في خراسان، الى الخليفة الاموي مروان بن محمد ، يصف له حـال البلاد وضعف اصحابه فيهـا، ويشير بوجـه خـاص الى قوة ابي مسلم الخراسـاني، وظهور امره، وكتب في اخر الكتاب الابيات التالية :(١)

ارى بين الرماد وميض جمر	ويوشك ان يكون له ضرام
فان النار بالعودين توري	وان الفعل يقدمه الكلام
اقول من التعجب ليت شعري	أ أيقاظ امية ام نيام

ولما تعاظم امر ابي مسلم وازداد نفوذه، وادعه نصر بن سيار، وتمكنت قوات العبـاسيين من فرض سيطرتهـا على : نيسـابـور، وسمرقنـد، وطخـارستـان، وجرجـان والري، وهمـــدان، واصفهان، ونهاوند ثم حلوان، واخيراً توجهت الى شهرزور، يقودها ابو عون عبـد اللـه بن يزيد، فهزم عسكر الامويين واستباحهم.(٢)

وفي المحرم من سنة ١٣٢ هـ، قدم ابو العباس السفاح واخوته واهل بيته، الى الكوفة ، فاسكنهم ابو سلمة الخلال ـ احد دعاة الدعوة العباسيـة ، في دار الوليـد بن سعـد الازدي، وكتم امرهم عن النـــاس ، ولبثـوا على تلـك الحـــال شهرين، حتى علم بهم بعض دعـــاتهم، فدخلوا الدار عليهم، وسألوا عن ابي العبـاس، وسلموا عليـه بـالخلافـة ، فلمـا علم ابو سلمـة بالحدث، اسرع اليهم ودعا الناس لبيعتهم في تلـك الـدار، وقيل ان ابـا سلمـة الخلال، انما اخفى امر ابي العباس واهل بيته لانه كان يدبر الامر **ليصير الى ابناء علي بن ابي طالب،** لكنه لم يفلح ، وسار ابو العباس الى المسجد فخطب وصلى.(٣)

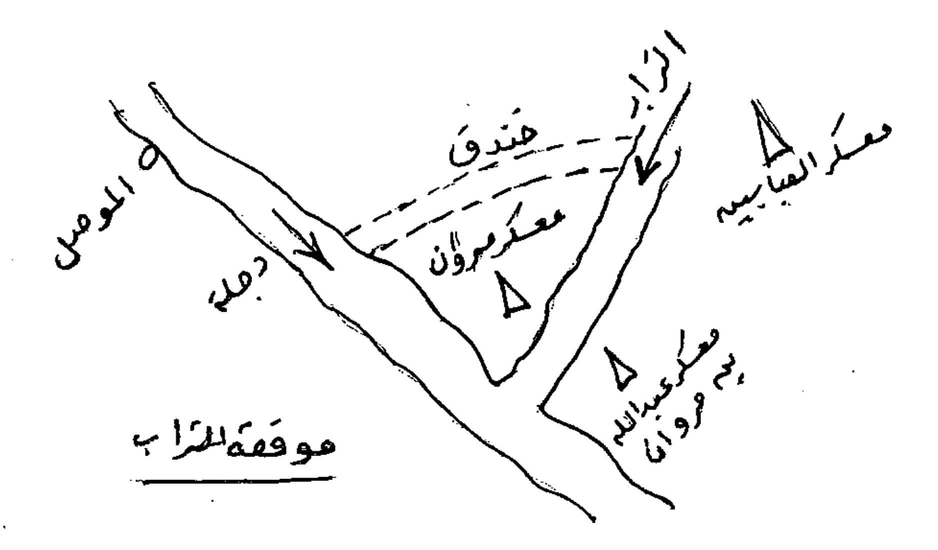
وقد اشاد بعض الشعراء الموالين لبني العباس بالدولة الجديدة وبالخليفة الجديدة، ومنهم مروان بن ابي حفصة الذي قال :(٤)

احيا امير المؤمنين محمد سنن النبي حلالها وحرامها
ملك تفرع نبعة من هاشم من الاله على الانام ظلالها

ثانيا : موقعة الزاب:

لما علم الخليفة الاموي مروان بن محمد باعلان الدعوة العباسية بالكوفة وقيام دولتهم، اقبل من حران ـ حيث كان يقيم ـ الى الموصل، ونزل على دجلة عند الزاب الكبير، وعقد على الزاب، الجسر، وحفر خندقاً بينه وبين دجلة شمال المعسكر وكان عبد الله بن يزيد الازدي (الملقب ابا عون) قد سار اليه بجيوش العباسيين، ونزل الزاب ايضا، ووجه اليه ابو سلمة الخلال ـ داعية بني العباس ـ القواد والجيوش، ثم تحدث بمجلس ابي العباس السفاح بالكوفة وقال : من يسير الى مروان من ال بيتي ؟ وهو يعني بني العباس ، فقال عبد الله بن علي ـ عم ابي العباس ـ انا، فقال: سر على بركة الله، فسار عبد الله بن علي من الكوفة الى موقع الزاب، وتسلم قيادة الجيش العباسي من ابي عون، وكان مروان قد كردس خيله وجنده كراديس ، الفا والفين، وجعل قسماً من جيشه معه على الجهة اليمنى للزاب، والقسم الاخر مع ابنه عبد الله على الجهة اليسرى للزاب ويصل بينهما الجسر المعقود على الزاب، ولما دارت المعركة واشتد القتال بين الفريقين، ارسل مروان الى عبد الله بن علي، يطلب الموادعة والصلح ، ولكنه لم يجب طلبه، فاستمر القتال، وجثى الناس على الركب، وتقاتلوا ، وقتل الكثير ثم انهزم جند الشام ، وانهزم مروان ، بعد ان قطع الجسر وغرق من بني امية اكثر من ثلثمائة رجل ، دون من غرق من سائر الناس ، ومن بينهم ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، واقام عبد الله بن علي العباسي في عسكره سبعة ايام ، وكتب الى ابي العباس السفاح بالفتح ، فلما بلغه الكتاب حمد الله وصلى ركعتين (٥).

وقيل ان مروان كان يوم المعركة، واقفاً والناس يقتتلون ، فأمر باموال فاخرجت، وقال للناس : اصبروا وقاتلوا ، فان هذه الاموال لكم، فمال بعض الجند الى هذه الاموال ليأخذوها، فارسل مروان الى ابنه عبد الله، ان سر في اصحابك الى مؤخر العكسر، واقتل من اخذ من تلك الاموال ، وامنعهم، فمال عبد الله برايته واصحابه فقال الناس :



الهزيمة، فانهزموا، وكانت هزيمة الامويين هذه بالزاب ، صبيحة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر جمادي الاخر سنـة ١٣٢ هـ، وكان لمروان في هـذه المعركـة على بعض الروايات (١٢٠) مائة وعشرون الف مقاتل، معـه ستون الفـاً، ومع ابنـه عبـد اللـه ستون الفـاً، والزاب بينهما ، في حين كان جيش العبـاسيين (٢٠) عشرون الف مقـاتل(٧)، وقـال اخرون: ان عدد الجيش الاموي والعباسي (٢٠ـ٢٤) الف مقاتل لكل منهما. ٨)

ولما انهزم مروان لايلوي على شيء، لم يزل عبد اللـه بن علي العبـاسي في اثره ، فسـار مروان الى الموصل ، فمنعه اهلهـا من الـدخول اليهـا، واظهروا السواد، لمـا ادركوا دلائل زوال امر بني اميـة(٩). فسـار مروان عنهـا الى الجـزيرة ، ثم الى حران، وكان مقره قبـل مسيره الى الزاب ، فاقام بها نيفا وعشرين يوماً ، فلما دنا منه عبد الله بن علي في جيش بني العباس، حمل اهله وولده وعيـالـه، ومضى منهزمـاً الى الشـام ، حتى مر بقنسرين، ثم مضى الى حمص ، حتى صار الى دمشق ، ووثب عليه من بها من قيس، فغادرهـا، في حين دخلها عبد الله بن علي العباسي عنوة، وقتل الوليد بن معاوية بن مروان **بن عبد الملك، ومضى مروان بن محمد الى الاردن، ثم قدم فلسطين هـاربـاً فلحق بـه ابن عمـه عبـد اللـه بن عبـد** الملك ، لكنه اسر على يد عبد الله بن علي العباسي وجنده، واسر معه عبد الله بن يزيـد بن عبد الملك، فوجه بها عبد الله الى ابي العباس السفاح ، فصلبهما بالحيرة(١٠)

وكان عبد الله بن علي العباسي، لما صار بنهر ابي فطرس بين فلسطين والاردن، جمع اليه بني امية ، ثم امرهم ان يقدموا عليه في الغد، ليأخذوا الجوائز والعطايا ، فلما جاء الغد، جلس عبد الله، وأذن لبني امية بالدخول فدخل عليه ثمانون رجلاً منهم ، فاجلسهم، واقام على راس كل واحد منهم رجلين وبايديهم الاعمدة، ثم اطرق مليا وهم جلوس ، فقام احد الشعراء وانشد قصيدة بالمناسبة تذم بني امية:(١١)

وكان النعمان بن يزيد بن عبد الملك جالساً الى جانب عبد الله بن علي العباسي. فرد على الشاعر ووبخه، ثم تحدث اليهم عبد الله وذكرهم بقتل الحسين عليه السلام واهل بيته، ثم صفق بيديه ، فضرب القوم رؤس بني امية بالاعمدة جميعاً حتى ماتوا.

ثم عاد عبد الله بن علي الى دمشق فاخذها عنوة، ونادي المنادي بعد ان قتل خلق كثير، الناس امنون الا خمسة: الوليد بن معاوية، ويزيد بن معاوية، وابان بن عبد العزيز، وصالح بن محمد ، ومحمد بن زكريا، ثم سار عبد الله الى المسجد الجامع بدمشق، وخطب خطبته المشهورة التي ذم بها بني امية، واثنى على بني العباس وال البيت.

وكان ابو العباس السفاح، قد كتب الى عمه عبد الله : ان خذ بثارك من بني امية ، ففعل بهم عبد الله مافعل(١٢)

اما مروان بن محمد اخر خلفاء الامويين بدمشق ، فقد هرب مع بعض اصحابه من فلسطين الى مصر، وكان عليها صالح بن علي العباسي ، فاتبع مروان حتى صار الى قرية بوصير من ارض الصعيد، فتبعه جند العباسيين الى هناك بقيادة عامر بن اسماعيل الحارثي ومعه شعبة بن كثير المازني، ووافوه اخر الليل، وهو يقيم في كنيسة بوصير، فهرب جند مروان ، بينما خرج هو في نفر يسير من اصحابه اليهم، فاحاطوا به وقتلوه،(١٣)

وكان قتل مروان اخر خلفاء بني امية في المشرق ، في شهر ذي الحجة من سنة ١٣٢ هـ، وهو ابن اربع وستين سنة، وقيل ثمان وستين، وحز راسه ، وحمل الراس الى ابي العباس السفاح بالعراق ، فلما وضع بين يديه، قال لاصحابه: ايكم يعرف هذا ؟ فقال سعيد بن عمر بن جعدة ، هذا راس مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، خليفتنا بالامس ، فانكر الحاضرون عليه ذلك، لكن ابا العباس السفاح قال: ماأراد الشيخ بهذا القول الا الوفاء ، وكان قد حمل الى الكوفة بعض بني امية، وعدد من نساء وبنات ال مروان، فلما صاروا الى الكوفة اطلقت النساء وحبس الرجال .(١٤)

ولما قتل مروان بمصر، وجه عامر بن اسماعيل بعض بنات مروان وجواريه والاساري الى صالح بن علي العباسي بالفسطاط، فلما دخلن عليه، تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت: ياعم امير المؤمنين ـ حفظك الله ـ نحن بناتك وبنات اخيك، وابن عمك، فليسعنا من عفوكم ماوسعكم من جورنا، قال اذا لانستبقي منكم احداً، ثم طال الحديث بينهما حتى استجاب للعفو عنهم، وقال لها: ان احببت: زوجتك من ابني الفضل، وزوجت اختك

من اخيه عبد الله، فقالت: يا عم امير المؤمنين، وهل هذا اول عرس، بل تلحقنا بحران، قال : سافعل ذلك، فالحقهن بحران دار ابيهن مروان.(١٥)

وكان لمروان من الاولاد الذكور اربعة: عبد الملك، وعبد الله، وعبيد الله، ومحمد، وكان عبد الله وعبيد الله ابنا مروان، ليلة قتل ابيهما ـ قد توجها نحو الصعيد، ثم صارا الى بلاد النوبة، وتلاحق بهما جماعة من اصحاب ابيهما، فصاروا زهاء اربعة الاف، وكان مع عبد الله وعبيد الله، جماعة من نسائهم، من البنات والاخوات وبنات العم، ماشيات هائمات على وجوههن، حتى قيل ان رجلا من اهل الشام، مر بصبية ملقاة على الارض، واذا هي بنت لمروان، وعمرها ست سنين، فحملها معه حتى دفعها الى عبد الله بن مروان، ووافى القوم بلاد الحبشة، فاكرمهم عظيمها، ثم ساروا في بلاد الحبشة حتى وصلوا الى بجاوة فلقيهم عظيم البجة ، وقاتلهم ، فانصرفوا يريدون اليمن.(١٦).

ثم واصل عبد الله وعبيد الله السير في هذه البلاد في طريقهم الى اليمن فعرض لهما طريقان بينهما جبل كبير، فاخذ كل واحد منهما طريقاً مع بعض اصحابه ، على ان يلتقيا بعد ساعة، فسارا يومهما ذلك، ثم راما الرجوع الى بعضهما فلم يقدرا، وسارا اياماً، ثم لقي عبيد الله بعضاً من اهل الحبشة فقاتلوهم، وقتلوا عبيد الله، واسروا اصحابه، واخذ الاحباش كل مامعهم وتركوهم، فساروا في البرازي على وجوههم، حفاة عراة واهلكهم العطش، حتى لحقوا عبد الله بن مروان، وقد ناله من الشدة والاذى اكثر مما نالهم، وكان هو الاخر قد افلت من الاحباش في عدة ممن معه. (١٧)

وكان مع عبد الله ايضا بعض حرمه حفاة عراة ، مايواريهم شيء، وتقطعت اقدامهم من المشي، ومازالوا على ذلك حتى وافوا باب المندب ، فاقاموا بها شهراً ، جمع الناس لهم هناك شيئاً، ثم خرجوا يريدون اليمن ، ثم مكة في زي الحمالين، فلما بلغوها وعلم خبرهم، اخذ عبد الله من مكة وحمل الى الكوفة، وحبس مع سائر من بقي من اهله حياً.(١٨)

اما في افريقية، فقد تفرق بنوا امية ايضا، بعد ان علموا بمقتل مروان خاصة، ووثب اهل البلد على عامل الامويين هناك عبد الرحمن بن حبيب ، وخلعوه، لكن بعضهم انحاز الى جانبه واستعدوا لمحاربة الدعوة العباسية ودولتهم الجديدة، فوثب عليه اخوه الياسر بن حبيب، ودعا الى بني العباس ، فبايعه الناس، واخذ من سار من الامويين الى افريقية ، فحبسهم وكتب بخبرهم الى ابي العباس السفاح.(١٩)

اما سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فقد استأمن الى ابي العباس السفاح وقدم عليه مع ابنيه، فاكرمه ابو العباس وبّره ، واجلسه وابنيه على النمارق والكراسي في مجلسه، لكن الحال لم يستمر على ذلك طويلاً، حيث وشى بهم اعداء بني امية لدى ابي العباس السفاح ، فأمر بضرب رؤسهم الثلاثة ، فكان له ماأراد .(٢٠).

الفصل الثاني

قيام الدولة الاموية في الاندلس

اولاً : مسير عبد الرحمن الداخل الى الاندلس :

لما تداعت دولة بني امية في المشرق وغلبهم بنو العباس على الخلافة، وقتل مروان اخر خلفاء الامويين سنة ١٣٢ هـ، وتابع بنو العباس ، بني امية وطلبوهم في كل مكان ليقتلوهم، كان ممن افلت منهم الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وخلص الى المغرب العربي، ونزل على اخواله البربر في طرابلس الغرب فعلم امره الوالي هناك، وبث العيون عليه، وقد دفع ذلك عبد الرحمن، الى مغادرة طرابلس ، واتجه الى مكناسة حيث نزل على قبيلة زناته، فاحسنوا استقباله ، ثم سار منها الى مليلة ، ومنها بعث مولاه بدر الذي كان يرافقه، الى الاندلس، فاجتمع بدر هناك بانصار بني امية واعوانهم بالاندلس ، ودعاهم لبني امية ، فاستجابوا له ، وبثوا الدعوة الاموية الجديدة في الاندلس.(٢١)

وقد ذكر عن الامير عبد الرحمن الداخل، انه وصف كيفية نجاته ، وهربه الى الاندلس فقال : لما اعطينا الامان من العباسيين، ثم نكلوا بنا عند نهر ابي فطرس ، بين الاردن وفلسطين، وابيحت دماؤنا، وبلغنا الخبر، وكنت وقتها منعزلاً عن الناس ، رجعت الى منزلي ايساً، واخذت مايصلحني واهلي ، وخرجت خائفاً حتى صرت الى قرية على نهر الفرات، ذات شجر وغياض ، فبينما انا بها ذات يوم، اذ دخل علي ولدي سليمان، وهو يومئذ ابن اربع سنين، من باب البيت باكيا فزعاً، وخرجت لانظر ما الخبر ، واذا بالخوف نزل القرية ، واذا بالريات السود منحطة عليها، ثم جاءني اخ لي حدث السن يقول لي: النجاة النجاة فهذه رايات العباسيين، فأخذت دنانير معي، ونجوت بنفسي واخي ، واعلمت اخوتي وبقية اهلي باتجاهي، وامرت اهلي ان يلحق بي مولاي بدر، وكانت خيل العباسيين قد احاطت بالقرية ، لكني نجوت منهم ، واتيت رجلاً من معارفي ، وامرته ان يشتري لي دواب وما يصلح حالي في الطريق، ففعل ذلك، وسرت، فدل على عامل العباسيين عبد الله، واقبل في خيل يطلبني فخرجنا انا واخي على

ارجلنا هرباً ، والخيل تبصرنا، فدخلنا بساتين على الفرات، وسبقنا الخيل على الفرات، فسبحنا، فاما انا فنجوت، والخيل ينادوننا بالامان، ولا ارجع، واما اخي ، فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات، ورجع اليهم بالامان ، لكنهم اخذوه وقتلوه وانا انظر اليه ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاحتملت فيه ثكلاً، ومضيت لوجهتي ، فتواريت حتى انقطع الطلب عني، فخرجت وقصدت افريقية (٢٢)

وقد لاقى عبد الرحمن الداخل ، صعوبات كثيرة في اثناء مسيره الى الاندلس فلقد طلبه والي افريقية عبد الرحمن بن حبيب ، وطلبه فيما بعد ايضا والي الاندلس يوسف ابن عبد الرحمن بن حبيب القهري، لكنه واصل العزم لتحقيق اهدافه حتى تمكن من اجتياز البحر الى الاندلس سنة ١٣٨ هـ، ليقيم الدولة الاموية من جديد في تلك الديار.

وقد ذكر ان ابا جعفر المنصور ، قال لاصحابه في احد مجالسه، اخبروني عن صقر قرش من هو ؟ قالوا: امير المؤمنين أبو جعفر المنصور، الذي راض الملك ، وسكن الزلازل، وحسم الادواء، وابادالاعداء، قال ابو جعفر المنصور: ماصنعتم شيأ ، قالوا : فمعاوية بن ابي سفيان ، قال : ولاهذا ، قالوا،: فعبد الملك بن مروان، قال: ولاهذا : قالوا فمن باأمير المؤمنين ؟ قال: عبد الرحمن بن معاوية، الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلداً اعجمياً مفرداً، فمصر الامصار ، وجند الاجناد ، ودون الديوان، واقام ملكاً بعد انقطاعه، بحسن تدبيره وشدة شكيمته، منفرداً بنفسه مؤيداً برايه، مستصحباً لعزمه، فذاك هو صقر قريش(٢٣)

ثانياً : عبد الرحمن الداخل يقيم الدولة الاموية في الاندلس :

بينما كانت الحوادث تجري في المشرق الاسلامي في انقلاب حاسم لصالح العباسيين ونهاية دولة الامويين هناك، كانت ظروف الاندلس، تؤذن بانقلاب عظيم اخر في مصاير الاسلام في ذلك القطر البعيد، وكانت الفتن والحروب الاهلية المتعاقبة فيها، تدفع بالاندلس الى مصير مجهول لاتقدر نتائجه ، فلم تلبث العصبية ان ظهرت بالاندلس، بين اهل الشام ، واهل الحجاز خاصة وظهرت العصبية ايضا بين عرب المشرق وعرب المغرب من جهة اخرى، وتشجع الفرنجة ونصارى الشمال على اقتطاع الاطراف الشمالية من البلاد، وافترقت كلمة العرب المسلمين الى الحد الذي اقامت فيه الاندلس قرابة الاربعة ، اشهر بغير امير، حتى اتفقوا على يوسف بن عبد الرحمن الفهري، ولكن دون مصادقة شرعية من السلطة المركزية في دمشق ،ورغم ان يوسف كان حاكماً قوياً وحازماً في الاندلس غير ان حوادث المشرق تمخضت عن احداث ومفاجئات اخرى، كانت فوق طاقته، وظل يتولى امر الاندلس منذ سنة ١٢٩ هـ، رغم المعارضة الموية، حتى غلب علية الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (٢٤)

ولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ هـ بقرية تعرف ((ديرخنان)) من اعمال قنسرين وقيل كان مولده بقرية ((العليا)) من اعمال تدمر، وتوفي ابوه معاوية شاباً سنة ١١٨ هـ في عهد ابيه هشام بن عبد الملك، فكفل عبد الرحمن واخوته جدهم هشام بن عبد الملك، ولما انهار صرح الخلافة الاموية، وامعن العباسيون في مطاردتهم، فر عبد الرحمن باهله وولده من قريته ((دبرخنان)) التي كان يقيم فيها الى الفرات وكان عمره حينذاك (٢٠) عشرين عاماً ، ثم اخترق عبد الرحمن فلسطين ومصر حيث لحق به مولياه بدر وسالم على ماتقدم، كانت اخته ام الاصبغ انفذتها اليه مع بعض المال والجواهر، ثم جاز الى برقة، فطرابلس ثم الى المغرب الاقصى واقام حينا عند قبيلة مقيله لدى احد شيوخ البربر يدعي وانسوس ، ثم نزل الى زنانة على شاطئ البحر ، ولحق بعد ذلك بمليلة وكان في اثناء ذلك يدرس احوال الاندلس ويرقب فرص العبور اليها (٢٥)

ولما عمت الفتنة والاضطرابات بلاد الاندلس في اواخر سنة ١٣٦ هـ / سنة ٧٥٣م ، واشتد الخلاف بين المضرية واليانية في الاندلس بعث عبد الرحمن ، مولاه بدراً الى الاندلس ليعرف اخبارها، ويبث دعوته هناك ، فنزل بدر بساحل البيرة من اعمال غرناطة ، وكانت البيرة منزل جند الشام من قبل ، وفيها تجتمع العصبية لبني امية، ثم عاد بدر الى عبد الرحمن على مركب خاصة جهزه بها انصار بني امية في الاندلس، ومعه مجموعة من هؤلاء الانصار والمؤيدين، فاستبشر عبد الرحمن، وعبر البحر معهم الى الاندلس ، ونزل بساحل البيرة ، وذلك في ربيع الاخر سنة ١٣٨ هـ، فاستقبله مؤيدوه وفي مقدمتهم ابو عثمان عبيد الله بن عثمان وصهره عبد الله بن خالد ، وانزلاه على الساحل الاندلسي، في مرسى المنكب، ثم حل بعدها بقرية قريش فاستقر بها ينظم دعوته.

اجتاحت الدعوة الاموية جنوب الاندلس، والتف حول عبد الرحمن الداخل عدد من زعماء القبائل والجند العرب في الاندلس ، منهم : تمام بن علقمة اللخمي الذي اخذ له بيعة جند فلسطين، ويوسف بن بخت الذي اخذ له بيعة جند الاردن، وجدار بن عمرو المذحجي من زعماء رية، وحسان بن مالك الكلبي من زعماء اشبيلية، فاحتشدت حول عبد الرحمن جموع كبيرة من الامويين واهل الشام ، فلما بلغ ذلك الى يوسف بن حبيب الفهري والي الاندلس ، ذعر من هذا الخبر، وعاد الى قرطبة العاصمة ليتدبر الامر ، فاشار عليه الصميل، ان يصالح عبد الرحمن ويصاهره ، فارسل يوسف الي عبد الرحمن، وهو مايزال يقيم بمفرده ((بطرش)) وفداً يعرض عليه الموادعة ويزوجه ابنته ويقطعه كورة البيرة او رية، وغيرها، وبعث له هدية وشيئاً من المال، لكن عبد الرحمن رد رسل يوسف ورفض عرضه بعد ان قبل الهدية فسار في جنده ، من طرش الى رية فبايعه عاملها، ثم الى شذونة فبايعه عاملها، ثم الى اشبيلية فبايعه كبيرها زعيم اليمنية، وانضم اليه

اثناء مسيره كثير من الانصار والجند ، واجتمع له في اشبيلية زهاء ثلاثة الاف فارس، وانتشرت دعوته في غرب الاندلس كله، ثم سار بقواته صوب قرطبة حيث يقيم والي الاندلس يوسف بن حبيب الفهري، وكان ذلك في شهر ذي الحجة من سنة ١٣٨ هـ / سنة ٧٥٦ م (٢٦)

حشد يوسف قواته وجموعه، ومعظمهم من الفهرية والقيسية، وخرج بهم الى موقع ((المسارة)) في ظاهر قوطبة من الغرب على نهر الوادي الكبير، وكان عبد الرحمن الداخل قد اشرف بجيشه على ضفة النهر الجنوبية، والنهر بينهما ثلاثة ايام، فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الخميس التاسع من شهر ذي الحجة، هبط ماء النهر وانحسر في بعض المواضع، فتأهب الفريقان للحرب، غير ان يوسف حاول مرة اخرى للمصالحة، لكن عبد الرحمن رفض ذلك وصمم على القتال في اليوم الثاني، وهو يوم الجمعة، وكان يوم الاضحى، فلما دارت المعركة، واجتاز جند عبد الرحمن النهر، ونشبت معركة عنيفة لكنها قصيرة، تمزقت خيل يوسف، وهزم جيشه هزيمة شديدة ، وقتل كثير من اصحابه، ونهبت اسلابهم، في حين فر يوسف بنفسه الى طليطلة، وفر الصميل ، الى جيان، ودخل عبد الرحمن الاموي وجنده قرطبة دون مقاومة، وحمى الاسرى والحريم والاموال من العبث، وصلى الجمعة في الجامع ، ثم نزل بالقصر، وبويع في الحال بالامارة، وكان ذلك في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٨ هـ / سنة ٧٥٦م.(٢٧)

لقد كان يوم المسارة بالنسبة لعبد الرحمن الداخل، فاتحة الظفر لاغايته، فقد كان بداية انتزاعه الامارة لنفسه بعد احداث وخطوب جمة حتى جاز الى الاندلس، وافتتح عاصمتها ، لكنه كان يوماً حاسماً في مصير الاندلس ، حيث صار فاتحة عهد جديد في تأريخها ، غير ان المهمة صعبة، والمعركة شاقة لان الاندلس، كانت تئن من الفتن، والثورة تلتهب في كل نواحيها، وان عبد الرحمن ، كان يهدف الى احياء دولة العرب في الاندلس على اسس موحدة متماسكة في هذه الظروف القاسية المتعددة الاتجاهات والاهداف ، كان على هذا الفتى الاموي الشاب الذي لم يتجاوز عمره السادسة والعشرين يوم هذا الظفر ان يحقق الكثير ، بعد ان يجتاز الصعاب ، فكان له ماراد، وبذلك اقام عبد الرحمن الداخل الدولة الاموية من جديد في الاندلس

الفصل الثالث

عصر الامارة الاموية في الاندلس

اولاً: عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ ـ سنة ١٧٢ هـ :

نجح عبد الرحمن الداخل في بعث الدولة الاموية في الاندلس ، وبدأ عهد جديد في هذه البلاد سمي ((عصر الامارة)) لان الامويين الذين تولوا السلطة فيها اتخذوا لقب ((امير)) بدل لقب ((الوالي)) فكان عبد الرحمن الداخل اول من تسمى بهذا اللقب منهم، ومازال اتباعه وخلفاؤه يسيرون على نهجة حتى سنة ٣١٦ هـ حيث اعلن عبد الرحمن الناصر الاموي نفسه خليفة بالاندلس، وتلقب بـ ((امير المومنين)) ايضا.

فلما علم من بقي من امراء بني امية، بما تم للامير عبد الرحمن الداخل، من نصر في بلاد الاندلس، وكان كثير منهم قد فر متخفياً الى افريقية وغيرها من البلاد البعيدة عن مركز الخلافة العباسية في المشرق، ساروا اليه، ومن بينهم الامير عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم، وكان ابوه في كفالة أخيه عبد العزيز بمصر، فلما هلك عبد العزيز، بقي عبد الملك بمصر، فلما دخل العباسيون ارض الكنانة، وبحثوا عن امراء بني امية وافراد اسرتهم لقتلهم، خرج عبد الملك من مصر الى الاندلس في عشرة رجال من بنية مشهورين بالبأس والنجدة، حتى نزل على عبد الرحمن بالاندلس سنة ١٤١ هـ، فعقد له عبد الرحمن على اشبيلية، ولابنه عمر على مورو، فلما بلغ خبرهم الى والي العباسيين بالاندلس يوسف بن حبيب الفهرى، سار اليهم بعد ان نقض الصلح مع عبد الرحمن الداخل، فاشتبكوا معه في معركة حاسمة، فهزموه وقطعوا رأسه، وحملوه الى عبد الرحمن .(٢٨).

وكان عبد الرحمن الداخل قد شغل بعد يوم المسارة، بشكل اساسي في موضوع استئصال خصومه بالاندلس، ولم يكن قد تم له الاستيلاء عليها جميعاً، وكان في مقدمة هؤلاء الخصوم واقواهم يوسف بن حبيب الفهري وصاحبه الصميل، الذين فرا بعد هذه الموقعة ، واتجه يوسف صوب طليطلة في حين اتجه الصميل الى جيان، فلما جمعا الحشود، سار اليهما عبد الرحمن الداخل وحاصرهما في البيرة، فاضطرا الى مفاوضته والصلح معه والتسليم له على ان يؤمن حياتها واموالهما واهلهما، وان يكونا تحت رعايته ورقابته،

فاجابها عبد الرحمن الى ذلك، وتم عقد الصلح بين الفريقين سنة ١٣٩ هـ، وسارا معه الى قرطبة بعد ان انفض عنها جنودها ، غير ان يوسف مالبث ان فر من قرطبة الى ماردة وكان بها معظم اهله وانصاره، وحشد منهم زهاء عشرين الفاً وذلك سنة ١٤١ هـ وسار الى اشبيلية، وعليها عبد الملك بن عمر ، وجرت معارك شديدة، بين الفريقين انهزم فيها يوسف، ثم القي القبض عليه قرب طليطلة فقتل ثم حمل راسه على ماتقدم الى عبد الرحمن في قرطبة،اما الصميل ، فقد سجنه عبد الرحمن وقتل داخل سجنه اواخر سنة ١٤٢ هـ .(٢٩)

لقد انهى عبد الرحمن الداخل، مرحلة خطيرة من الفوضى والاضطراب في الاندلس بعد القضاء على يوسف الفهري والصميل لما تميزا به من نفاذ الراي والكلمة طيلة حكمها الاندلس، غير ان الامر لم يستقر لعبد الرحمن الداخل فلقد امضى اعوامه التالية في كفاح مستمر ضد الثائرين عليه والخوارج في كل مكان، فقد حدثت ثورة ضده في الجزيرة الخضراء، واخرى في اشبيلية، واخرى في طليطلة لكن عبد الرحمن الداخل تمكن من القضاء عليها جميعاً وقتل قادتها.

ثم كان اخطر حدث قام به احد خصوم بني امية في الاندلس، وهو : العلاء بن مغيث اليحصبي او ((الحضرمي))، في باجة ، حيث كاتب ابا جعفر المنصور واتصل برسله في افريقية، وحصل منهم على سجل بولاية الاندلس من الخليفة العباسي ، ثم عاد الى باجة بالاندلس مع قوة كبيرة من افريقية، ودعا لبني العباس ورفع العلم الاسود ، شعار العباسيين، واعلن انه عين اميرا على الاندلس بامر الخليفة المنصور وذلك سنة ١٤٦ هـ، فانتشرت دعوته في باجة وانضم اليه الكثيرون، واستفحل امر العلاء، وكثر جمعه، فخرج عبد الرحمن الداخل من قرطبة في جموعه، والتقى الجمعان، ونشبت بينهما معارك شديدة ، استمرت عدة ايام، انهزم في اخرها العلاء ومزق جنده، وقتل منهم عدة الاف، وكان العلاء نفسه من بين القتلى(٣٠)

ثم تعرضت الاندلس بعد سنة ١٥٠ هـ الى فتنة خطيرة من نوع جديدة، شغلت عبد الرحمن عدة اعوام، كان مكانها شمال شرق الاندلس، وكان زعيمها ورجالها من عرب المغرب هناك، وقد ادعى زعيمهم المسمى ((شقيا بن عبد الواحد)) انه سليل النبي محمد (ص) وانه من نسل فاطمة والحسين عليهما السلام، وسمى نفسه ((عبد الله بن محمد)) وذاعت دعوته بين خصوم الامويين من العرب والبربر وغيرهم، ولما استفحل امره واستولى على كثير من المواقع سار اليه عبد الرحمن بنفسه سنة ١٥٢ هـ، فلاذ الفاطمي الى الجبال، ثم عاد عبد الرحمن لقتاله ثانية سنة ١٥٤ هـ، لكن قواته لم تفلح في القضاء على هذه الثورة، ومازال الفاطمي متحصناً بالجبال ويهدد الدولة الاموية بالاندلس وعبد الرحمن غير قادر على

اخماد ثورته حتى سنة ١٦٠ هـ عندما تمكن اثنان من اصحابه قتله، واحتزا راسه وحملاه الى عبد الرحمن الداخل، وبذلك انفضت جموعه، واخمدت ثورته التي هددت سلطان عبد الرحمن الداخل زهاء عشرة اعوام.(٣١).

وفي الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن الداخل مشغولاً بحركة الفاطمي والبربر في شمال شرق البلاد ووسطها، كانت حوادث اخرى تقع في شمال الاندلس قام بها عدد من الخارجين العرب هناك منذ سنة ١٥٧ هـ، وتحالفوا بعضهم مع بعضهم الاخر ضد عبد الرحمن وفكروا بطلب مساعدة ملك الفرنج، وارسلوا وفداً لمقابلة شارلمان سنة ١٦٠ هـ/ سنة ٧٧٧م ، وكان يقيم وقتها في اقليم وستفاليا شمال غربي المانية ،وعرض الوفد عليه المحالفة على قتال عبد الرحمن الداخل ، وقد لبى شارلمان طلبهم، وكانت قوة الفرنج قد اخذت بالازدياد على حساب العرب المسلمين بالاندلس، وفي الوقت نفسه كانت هناك صلات حسنة بين الدولة العباسية وشارلمان، وكلاهما يهدف القضاء على الدولة الاموية بالاندلس. وقد جعل ذلك اسبانية المسلمة ، تهتز امام هذه الاخطار الداخلية وتحالفاتها الخارجية وكان الاسلام فيها يجتاز معركة الحياة او الموت، وعلى ضوء هذا الاتفاق سار شارلمان بجيش ضخم الى الاندلس يريد قرطبة، وعندما بلغ جيشه جبال البرنيه قسمه على قسمين: عبر احدهما الجبال من ناحية الشرق، وعبر القسم الثاني الجبال بقيادة شارلمان نفسه من جهة الغرب، على ان يلتقي القسمان على ضفاف نهر الابرو امام سرقسطة حيث يلتقي شارلمان حلفاءه العرب المسلمين وعلى راسهم سليمان بن يقظان المسمى ((ابن الاعرابي)) وعندما بلغت قوات شارلمان مدينة سرقسطة امتنع واليها عن تسليمها ، وبعد مناوشات، ارتد شارلمان بجيشه عنها الى فرنسا، وسلك الطريق نفسه الذي جاء منه عبر جبال البرنية ، بعد ان وقعت به خسائر كثيرة من جراء ماقام به المسلمون وحلفاؤهم بالمنطقة على مؤخرة جيش شارلمان المتراجع، واوقعت به خسائر جسيمة، وكان ذلك سنة ١٦١ هـ.(٣٢)

ماكادت حوادث الفرنجة وشارلمان تنتهي في الشمال، وما ان انتهى عبد الرحمن من حركة عرب المغرب في الجنوب، حتى ظهر خطر جديد في شرقي الاندلس قوامه الدعوة العباسية في هذه البلاد، اذ ان عبد الرحمن بن حبيب الفهري عبر البحر من افريقية الى الاندلس مع قوة كبيرة من الجنود المقاتلين، ونزل بساحل تدمير عند مدينة مرسية، في شرق الاندلس ودعاً للخليفة العباسي سنة ١٦١ هـ، وتحالف عبد الرحمن هذا مع زعيم التمرد في الشمال سليمان بن يقظان ضد الامويين بالاندلس، غير ان عبد الرحمن الداخل هاجمه واحرق سفنه كي لايستطيع الانسحاب الى افريقية، ثم دس له من قتله وحمل راسه اليه فانهارت دعوته وثورته بمقتله سنة ١٦٣ هـ/ سنة ٧٧٩م وتمكن عبد الرحمن الداخل

ايضا من اخماد الحركة في الشمال وارغم المتمردين على تقديم الطاعة واداء الجزية ثم عاد الى قرطبة بعد ان اعطى الاسبان هناك درساً يذكرهم بقوة الاسلام ومنعته في بلاد الاندلس.(٣٣).

ومن الاحداث المتعبة حقاً لعبد الرحمن الداخل، تلك المؤامرات الخطيرة التي دبرت ضده بزعامة ابن اخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية، وهذيل بن الصميل بن حاتم ، ومؤامرة اخرى سبقتها وعلى راسها اثنان من بني امية وفدا الى الاندلس وهما عبد السلام ابن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي، وهو ابن عم عبد الرحمن، وعبد الله بن ابان بن معاوية وهو ابن اخيه، وذلك سنة ١٦٣ هـ. وكان عبد الرحمن قد استدعى بني امية الى الاندلس من جميع انحاء الدولة الاسلامية، بعد ان استقر الامر له في هذه البلاد ، ولكن عبد الرحمن كان يكشف هذه المؤامرات في الوقت المناسب. ثم يسحق القائمين بها بكل قوة وشدة، فقد قتل ابن عمه عبد السلام اليزيدي، وابن اخيه عبد الله بن ابان، وقتل ايضا المغيرة ابن اخيه الوليد ، فلما قتلهم وشعر بالالم قال: ((ماعجبي الا من هولاء القوم، سعينا فيما يضجعهم في مهاد الامن والنعمة، وخاطرنا بحياتنا، حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا ، ويسر الله تعالى اسبابه، اقبلوا علينا بالسيوف، ولما اويناهم وشاركناهم فيما افردنا الله تعالى به، حتى امنوا وردت عليهم اخلاف النعم، هزوا اعطافهم، وشمخوا بانافهم، وسموا الى العظمى ، فنازعونا فيما منحه الله تعالى ، فخذ لهم الله بكفرهم النعم، اذ اطلعنا على عوراتهم، فعاجلناهم قبل ان يعاجلونا وادى ذلك الى ان ساء ظننا بالبرئ منهم ، وساء ايضا ظنه فينا، وصار يتوقع من تغيرنا عليه مانتوقع نحن منه). (٣٤)

كان عبد الرحمن الداخل يكافح الحركات والمؤامرات الداخلية والخارجية طوال حكمه الاندلس البالغ ثلاثة وثلاثين عاماً، كان شديد البأس ، عظيم الهمة، افتتح قطراً عظيماً زاخراً بالجند والقادة، فاخضعه وسيول الدماء لاتنقطع ، فاقام ملكاً سشامخاً، وقد دخل وحيداً فريداً لاانصار له ولااصحاب، فبعث اسرة هوت ، واقام مجداً عظيماً اندثر، فصار حقاً شخصية فريدة اخذت مكانها العالي بين شخصيات الامة العربية وقادتها الافذار عبر تأريخها الطويل الخالد.

وقد وصف عبد الرحمن الداخل بما يلي: ((كان عبد الرحمن راجح الحلم، فاسح العلم ثاقب الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم ، بريئاً من العجز، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه، متصل الحركة، لايخلد الى الراحة ، ولايسكن الى دعه ، ولايكل الامور الى غيره، ثم لاينفرد في ابرامها برايه ، شجاعاً مقداماً، بعيد الغور شديد الحذر قليل الطمأنينة، بليغاً، مفوهاً، شاعراً محسناً، سمحاً، سخياً طلق اللسان)).(٣٥)

وكان عبد الرحمن الداخل، طويل القامة، نحيف القوام، له ضفيرتان، اصهب (احمر الشعر) خفيف العارضين له خال على وجهه، توفي في ربيع الاول سنة ١٧٢ هـ/ ٧٨٧م وهو في الثامنة والخمسين من عمره بعد ان حكم الاندلس ثلاثة وثلاثين عاماً.(٣٦).

وقد لقب عبد الرحمن بالداخل، لانه اول من دخل الاندلس من امراء بني امية وحكمها. ويعرف ايضا الاول، لانه اول امراء ثلاثة من بني امية حكموا الاندلس واسمهم عبد الرحمن، وهم: عبد الرحمن الداخل، وحفيده عبد الرحمن الاوسط بن الحكم، ثم عبد الرحمن الناصر.

خطب عبد الرحمن الداخل اول الامر لبني العباس مدة عشرة اشهر ثم قطعها لهم من سائر منابر الاندلس، ولم يتلقب بالخليفة واكتفى بلقب امير لكي لا يدخل في منافسة قوية ومباشرة مع الخلافة العباسية المسيطرة على الحرمين الشرفين. واتبع انظمة الحكم الادارية والمالية التي سار عليها بنو امية في المشرق، وانشأ منصب الحجابة، وهادن نصارى الشمال، وكاتب البطارقة والرهبان والاعيان منهم كتب الامان والسلام. على ان يؤدوا له جزية، او ضريبة مقررة، واعتنى بالجيش عناية خاصة، وحشد المتطوعة والمرتزقة من كل مكان، وبلغت قواته نحو مائة الف مقاتل عدا حرسه الخاص الذي انشأه ويبلغ اربعين الفا، وعني عبد الرحمن الداخل بالقوة البحرية وانشأ القواعد لبناء السفن في عدد من الثغور النهرية والبحرية.(٣٧)

واهتم عبد الرحمن الداخل بعاصمة الدولة الاموية الجديدة بالاندلس، قرطبة فقد حصنها وزينها بالمنشآت الرائعة، والحدائق الغناء، وكان اول ماانشأ بها في عصره منية الرصافة وقصرها المنيف، وهي ضاحية ملوكية جديدة بمدينة قرطبة، في شمالها الغربي، وسماها الرصافة تخليدا لذكرى الرصافة التي انشأها جده هشام بالشام وجلب لها الزهور والاشجار من مختلف البلاد واتخذها مقاماً ومتنزها ومركزاً للامارة، ثم انشأ سور قرطبة العظيم، وانشأ مساجد محلية كثيرة بالاندلس، ثم بدأ اواخر ايامه سنة ١٧٠ هـ بانشاء المسجد الاموي الجامع بقرطبة وجلب اليه الاعمدة الفخمة والرخام المنقوش بالذهب، ولكنه توفي قبل اتمامه فاكمله ولده هشام، وزاد فيه من بعد، امراء وخلفاء بني امية هناك حتى صار من اعظم مساجد الاندلس، وانشا عبد الرحمن في قرطبة ايضا داراً للسكة تضرب فيه النقود على نحو ماكانت تضرب في دمشق ايام بني امية وزناً ونقشاً.(٣٨).

خلف عبد الرحمن الداخل من الولد عشرين، منهم احد عشر ذكراً، وتسع اناث،وعاصر الخلفاء العباسيين: ابا جعفر المنصور، والمهدي، والهادي والرشيد، وكان على

معرفة واسعة بالشريعة ولذلك كان ينظر في المظالم بنفسه وينصف الضعيف من القوى ، حتى وفاته وكان شاعراً جيد النظم حتى عد من اعظم بني مروان مكانة في البلاغة والادب. وفيا يأتي بعض شعره :(٣٩).

سعدي وحزمي والمهند والقنا ومقادير بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب نجم يطالعنا ونجم افل
والحزم كل الحزم ان لايغفلوا ايروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لاعقله خير السعادة ماحماها العاقل

وقال شوقاً الى بلاد الشام.

ايها الركب الميم ارضي اقر من بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بارض وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمض
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وقال وهو جالس في روض الرصافة عندما راى نخلة واحدة في الحديقة هذه الابيات:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بني وعن اهلي
نشأت بارض انت فيها غريبة فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي يسح ويمري السماكين بالويل

وكانت سياسة العباسيين قد فشلت في القضاء على عبد الرحمن الداخل بالحرب، ولذلك عمدوا الى استمالته، فارسل المنصور اليه الرسل، لكنه لم يفلح، فمال للاتصال بالفرنجة للتعاون ضد عبد الرحمن، وسار السفراء والرسل ين الجانبين دون الوصل الى شيً فعلي، وسار المهدي على سياسة المنصور نفسها لكنه فشل ايضا، وفشل خلفاؤهم في استعادة هذه البلاد الى حظيرة الدولة العباسية.(٤٠).

ولما استقر عبد الرحمن بالاندلس، سار اليه ابو قرة وانسوس وزوجته تكفات وكان قد اختبأ عندهما عندما طلبه العباسيون بشمال افريقية، فاحسن اليهما واكرم تكفات التي خبأته تحت ثيابها وقتها وكانت ام عبد الرحمن بربربة من عرب المغرب اسمها رباح.(٤١).

ثانياً : خلفاء عبد الرحمن الداخل بالامارة :

خلف عبد الرحمن الداخل على ولاية الاندلس عدد من الاسرة الاموية، توارثوا العرش فيها على غرار ماكان عليه حال الدولة الاموية في المشرق ، واتخذ هؤلاء الولاة لقب ((امير)) في الشطر الاول من عمر دولتهم بالاندلس ، في حين اتخذ الولاة منهم لقب ((الخليفة)) في الشطر الثاني من عمر هذه الدولة.

وفيما يأتي اهم امرائهم:

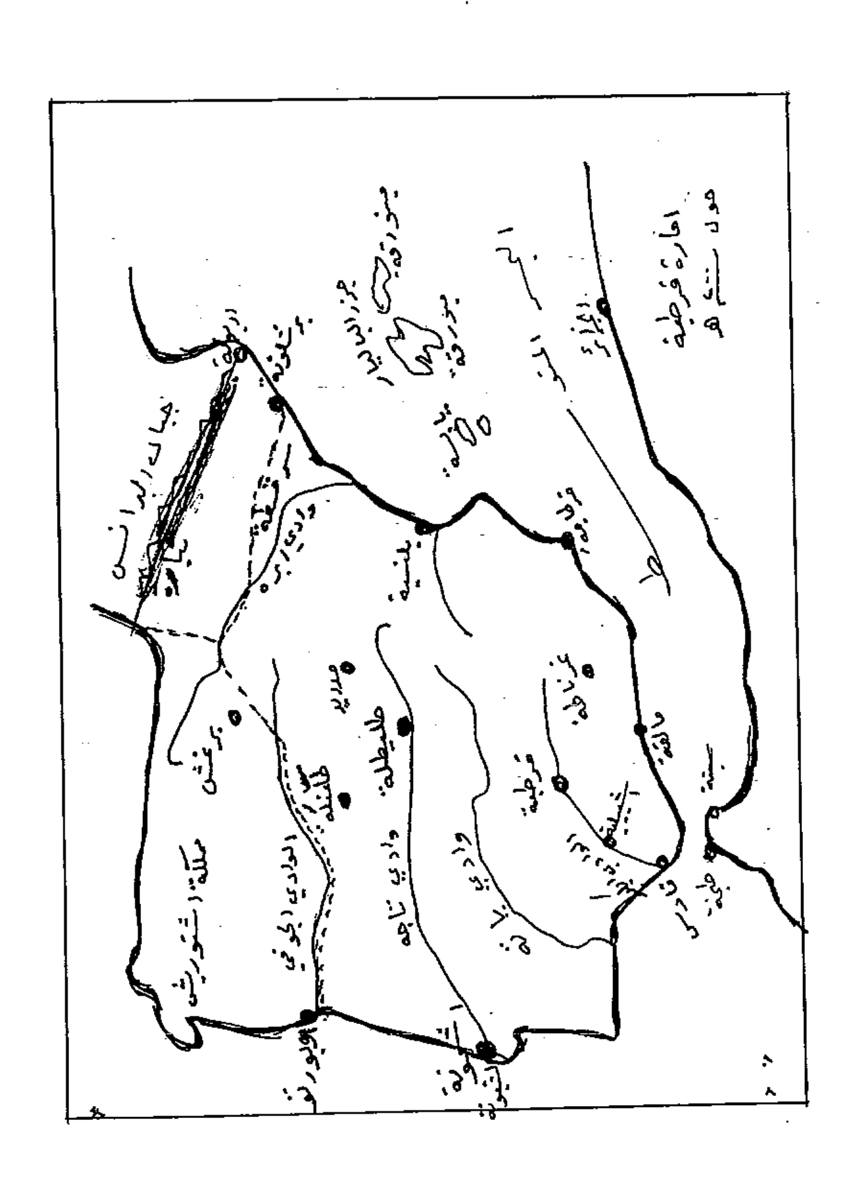
١ ـ هشام بن عبد الرحمن سنة ١٧٢ هـ سنة ١٨٠ هـ :

اختار عبد الرحمن الداخل ابنه هشام من بين ابنائه الاحد عشر ليكون ولياً للعهد في امارة الاندلس، واثره على اخوانه الاخرين، ولم يكن اكبرهم ، وذلك لما عهده فيه من المزايا الحميدة والمواهب الخاصة، وكان هشام قد ولد بقرطبة سنة ١٣٩ ه، وامه ام ولد تدعي ((حلل)) وكان في حياة ابيه والياً على ماردة، فلما توفي عبد الرحمن بويع بالخلافة ثم سار الى قرطبة ودخلها بعد ايام قلائل من وفاته، وذلك في مستهل شهر جمادي الاولى سنة ١٧٢ هـ/ سنة ٧٨٨م، وكان عمره وقتها ثلاثة وثلاثين عاماً.

كان هشام عاقلاً حازماً، وافر الشجاعة والعزم ، كثير العدل والتقوى، جم التواضع والرفق ، حسن الوجه، جميل الخلال، كثير التواضع، محباً للخير، يحكم بالكتاب والسنة، كان يطوف شوارع قرطبة بنفسه ويختلط بالرعية ويسمع المظالم بنفسه، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، وكان يقتدي بسياسة الخليفة الاموي العادل عمر بن عبد العزيز.(٤٢)

كانت اولى المشاكل التي واجهها هشام، هي من اهل بيته، ذلك ان اخاه الاكبر سليمان ، لم يعترف بامارته، واعلن خروجه ودعاً لنفسه بالامارة في طليطلة وماجاورها حيث كان سليمان والياً عليها في عهد ابيه، وان اخاه عبد الله خرج هو الاخر عليه وايد سليمان ضده، وبعد ان فشلت محاولات هشام لاسترضاء اخوته سلماً، طاردهم بقواته واضطرهم الى طلب الامان فاجابها الى طلبها على ان يخرجا من الاندلس بعد ان اعطاهما اموالاً كثيرة، واقاما بعدوة المغرب وذلك سنة ١٧٤ هـ.(٤٣)

ثم تحركت المعارضة العربية في شمال الاندلس ضد هشام، وخرج سكان الشمال الاسباني واخذوا يكثرون من الاغارة على بلاد المسلمين يشجعهم على ذلك الفرنجة، وقد دفع ذلك هشام الى استئناف الغزو والجهاد ضدهم، فسير جيشاً كبيراً الى بلاد الفرنجة سنة ١٧٦ هـ/ سنة ٧٩٢ م وعبر جبال البرنية من ناحية قطلونية، واستعاد بعض الحصون من الفرنجة في اقصى شمال شرقي اسبانيا، ثم ارسل هشام حملة الى جيليقية سنة ١٧٩ هـ،



واوقعت قواته خسائر كبيرة بالاسبان الذين فروا الى الجبال ، بعد معارك ، حاسمة في المكان المعروف بالصخرة، فغنم المسلمون منهم الكثير ، ثم عادوا الى الجنوب بعد ان استقر الامن في الولايات الشمالية.(٤٤)

توفي هشام في صفر سنة ١٨٠ هـ وهو في الاربعين من عمره بعد ان حكم ثمانية اعوام وكان ابيض، اشهل ، مشرباً بالحمرة، وبعينيه حول ، وكان محباً للعمارة والبنيان ، فقد اتم بناء جامع قرطبة الكبير الذي بدأه ابوه وانشأ عدداً اخر من المساجد في انحاء البلاد، وزين قرطبة بالابنية والحدائق، وجدد القنطرة الكبيرة التي بناها من قبل السمح بن مالك على النهر الكبير ، وكان ينفق الاموال الطائلة في الجهاد وفك اسرى المسلمين ، حتى قيل انه لم يبق في يد العدو مقبوض واحد من المسلمين، ورتب ارزاقاً لعوائل الجنود الذين استشهدوا في الجهاد، ثم صارت في عهده اللغة العربية، لغة التدريس في معاهد النصارى واليهود، وكان من اثر ذلك ان اقبل الكثير من الاسبان على اعتناق الاسلام وحل التوافق والوئام بين المسيحين والمسلمين .(٤٥)

وكان هشام يؤثر مجالس العلم والادب، ولاسيا الحديث والفقه، وانتشر في عصره، مذهب الامام مالك ، حتى صار مذهب اهل الاندلس الغالب وكذلك مذهب الاوزاعي ولذلك فقد قوى نفوذ الفقهاء ورجال الدين في الدولة، واستولوا على اهم المناصب فيها، وكثر تدخلهم في شؤونها على خلاف ماكان عليه الوضع معهم ايام سلفه الامير عبد الرحمن الداخل.

٢ ـ الحكم بن هشام سنة ١٨٠ هـ ـ ٢٠٦ هـ:

تولى الحكم بن هشام الامار في الاندلس ، بعهد من ابيه، وبويع بها بعد وفاة ابيه بايام، وكان في السادسة والعشرين من عمره، كان مولده بقرطبة سنة ١٥٤ هـ، وامه ام ولده تدعى ((زخرف)) وكان حازماً وشجاعاً ، وعنيفاً ضد خصومه، اسرف في الابهة والكبرياء ، واستكثر من المماليك والخيل، ومال الى اللهو والصيد ، واكثر من مجالس الشعراء والندماء وفضلها على مجالس الفقهاء والعلماء ، ولذلك هاجمه، رجال الدين والفقهاء على المنابر، وحرضوا العامة عليه حتى ثارت الفتنة ، وعاث مماليكه في الطرقات، وخرج المولدون الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام في كل من قرطبة وطليطلة لسوء سياسته، وخرج عليه عماه سليمان وعبد الله، وكانا قد عبرا من افريقية الى الاندلس بعد ان عمت الفوضى هذه البلاد منذ بداية عهد الحكم، وحاولا التعاون مع شارلمان ملك الفرنج ضده «فاستجاب شارلمان لطلبهما وسير الجيوش مع ولده الى الاندلس، فعبروا جبال البرنية واستولوا على مدينة جرندة، ثم توغلوا في الثغر الاعلى من بلاد الاندلس بمعاونة الزعماء الخارجين على الحكم الاموي هناك، غير ان اثنين من هؤلاء الخوارج عادا

الى الطاعة والمصالحة سنة ١٨٦ هـ، فامنهما الحكم، ووفداً على قرطبة واعلنا الطاعة لـه، في حين ارتد الفرنجة عن الاندلس ، وهذا اضطر الخارجين عن طـاعـة الـدولـة الاخرين الى اعلان الولاء والطـاعـة، واسترد الحكم سلطـانـه على منـاطقهم وخـاصـة سرقسطـة ولاردة وغيرهما. (٤٦).

وكان عماه سليمان وعبـد الله قـد سـارا بجموعهم الى قرطبـة، والتقوا بجنـد الحكم على مقربة منها في شوال سنة ١٨٢ هـ، فهزم سليمان، ثم التقي الجمعان ثانيـة سنـة ١٨٣ هـ، في استجـة ، فهزم سليمـان وجنـده مرة اخرى وفر الى مـاردة، لكن جنـد الحكم القـوا القبض عليه وجيئ به اليه، فأمر بأعدامه ، فاعدم مع عدد من زعماء الفتنة، وارسلت رؤسهم الى قرطبة حيث طيف بها سنة ١٨٤ هـ/ سنة ٨٠٠ م، اما عمه عبد الله فقد طلب الامان من الحكم، فامنه واستكان امره طوال عهد الحكم، وبـذلـك انتهت مرحلـة هـامـة من الحوادث الخطيرة التي اقترنت باسم عمه سليمان. (٤٧)

اغتنم الفرنج الفرصة وعاودوا مهاجمة الاندلس سنة ١٨٥ هـ، حيث سير شارلمان جيشاً ضخماً بـاتجـاه برشلـونـة، فحـاصرهـا سبعـة اشهر اضطرت بعـدهـا الى التسليم اذ لم تصلهـا الامدادات من قرطبـة بسبب انشغـال الحكم بمحـاربـة الخوارج في انحـاء اخرى من البلاد، واقام الفرنجة فيها امارة لهم سميت الثغر الفرنجي ، وهي امارة قطلونيـة ، وبـذلـك خسـر الاسلام برشلونة التي كانت امنع ثغوره في اقصى بلاد الاندلس، وارتدت حـدود الانـدلس الى الثغر الاعلى بعد ان كانت تمتد الى ماوراء جبال البرنية .(٤٨)

ثم تعرض الحكم الى مؤامرة خطيرة دبرها عدد من الفقهاء ورجـال الـدين الـذي قضى الحكم على نفوذهم، واتهموه بـالفسـوق والخروج عن الـدين، لكنـه عرف خبرهم وقبض على معظمهم، فاعدم منهم اثنين وسبعين رجلاً، وصلبهم على شاطئ النهر مقـابل القصر، وكان من بين القتلى عماه: مسلمة وامية، ابنا عبد الرحمن الداخل. وبذلك هدأت الفتنـة واستقر الناس الى حين ، وكان ذلك سنة ١٨٩ هـ .(٤٩)

ثم كانت حركة خطيرة اندلعت في العـاصمـة قرطبـة في اواخر حكم الحكم كادت تودي بعرشه ، فقد نقم الشعب على سياستـه القـاسيـة، وطغيـانـه عليهم، فضلا عن سوء ادارتـه المالية تجاه العامة وفرض الضرائب وغيرها، فاندلعت الحركة الشعبيـة العـامـة في رمضـان سنة ٢٠٢ هـ، وزحفت الجموع الى قصر الامارة من كل جانب، ودخلوا باحاته وحـدائقـه، لكن جند الحكم وحراسه تمكنوا بعد عناء من صـدهم وتفريق صفوفهم، واسر الكثير منهم ، في حين فر من استطـاع الفرار، وامر الحكم بهـدم ديـار المتمردين، ولاسيما الربض القبلي مكان الفتنـة، وامر الحكم المتمردين بعـد ان صـاروا دون مـأوى بـالخروج من قرطبـة ، فتفرقوا في الثغور والكـور في حين عبر الكثير منهم الى افريقيـة، ووصـل مـايـزيـد على خمسة عشر الفاً منهم بالسفن الى الاسكندرية .(٥٠)

مرض الحكم بعد هذه الفتنة ، مرضاً طويلاً ، فاستناب عنه في اواخر عهده ، ولده الاكبر ، عبد الرحمن لتدبير الامور واختاره لولاية العهد واخذ له البيعة ، وبذلك يكون الحكم اول امير اموي بالاندلس يأخذ البيعة في حياته لولي عهده خشية وقوع الفتنة ، ثم توفي في ذي الحجه سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢٢ م وعمره اثنان وخمسون عاماً، ودفن مع آبائه في مقبرة القصر المعروفة بالروضة وترك من الولد تسعة عشر ومن البنات اثنتين وثلاثين، وكان افحل بني امية، واشدهم اقداماً ونجدة ، وكان يشبه بابي جعفر المنصور في توطيد الدولة .(٥١)

وكان الحكم قد اعتمد على عدد من الشخصيات البارزة في تاريخ الاندلس لمعاونته في تنفيذ سياسته وخططه، وكان عصره رغم ماعمه من اضطراب وفتن، عصراً ازدهرت فيه الاداب والعلوم ، وظهر فيه عدد من اكابر الكتاب والشعراء والعلماء امثال الشاعر عباس بن ناصح الثقفي، والفيلسوف ابو القاسم عباس بن فرناس، وهو علامة رياضي من نوع خاص، والشاعر الجزل يحي الغزال الجياني الموصوف بالجمال والظرف والاناقة، وهو فوق ذلك عالم بالفلك والفلسفة، وغيرهم كثيرون.

٣ - عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢٠٦ هـ سنة ٢٣٨ هـ:

تولى عبد الرحمن بن الحكم الملقب بالاوسط، وبالثاني، الامارة بعد وفاة ابيه مباشرة، واخذ له الحاجب البيعة بالقصر، وكان عمره حينذاك واحداً وثلاثين عاماً، وكان مولده بقرطبة سنة ١٧٦ هـ، وامه ام ولد تدعى ((حلاوة)) وقد شغف منذ صغره بالحكمة والادب ودرس الحديث والفقه، ثم صار خبيرا بشؤن الادارة والحرب، يحسن اختيار الرجال للمناصب الهامة في الدولة والجند والقضاء.

تعرضت الاندلس للاضطرابات ايضا منذ بداية عهده ، فقد ثار عم ابيه عبد الله البلنسي واحتل تدمير سنة ٢٠٧ هـ وقرر الزحف على قرطبة العاصمة لكنه مالبث ان مرض وتوفي سنة ٢٠٨ هـ، فاستعاد عبد الرحمن تدمير وتكفل باهله وولده، وحدثت اضطرابات اخرى في قرطبة عقب تولي عبد الرحمن الامارة مباشرة، فاخمدها جنده، ثم بدأ بعدها بالغزو والجهاد الى جيليقية وليون، والى الثغر الاعلى ، فهزم الاسبان هناك، واشترط عليهم ان يدفعوا الجزية وان يطلقوا اسرى المسلمين وذلك سنة ٢٠٩ هـ ، وسير الجيوش الى الثغر الاعلى سنة ٢١٢ هـ / سنة ٨٢٧ م واجتاح ولاية قطلونية التي استولى عليها الفرنج من قبل، وهزم الفرنج فيها ، ثم عاد جيشه الى الجنوب .(٥٢).

ثم انشغل عبد الرحمن في الاعوام التالية لذلك باخماد اضطرابات محلية خطرة نشطت في طليطلة ومـاردة، وتعـاون قـادتهـا مع نصـارى الانـدلس ودولـة الفرنـج في الشمال، وحدثت حركـة ممـاثلـة في طليطلـة، غير ان عبـد الرحمن تمكن من اخمـاد هـذه الحركات بحدود سنة ٢٢٥ هـ، واستأنف بعدها الجهاد ضد الفرنج، تـارة الى الشمال واخرى الى الثغر الاعلى، واوقع بهم خسائر فادحـة وسبى منهم كثيرين ، وعـاد الى قرطبـة ظـافرا بعـد ان وطد هيبة الاسلام في تلك الانحاء وذلك سنة ٢٢٨ هـ .(٥٣)

ثم تعرضت الاندلس في عهد عبد الرحمن الثاني ، لخطر جـديـد، لاول مرة، ذلـك هو خطر الاقوام النورمانية البحرية، ومواطنهم الاصلية الدانمـارك وشواطئ المـانيـة الشماليـة وسموا النورمـانيين بمعنى (اهل الشمال)، وقـد اشتهرت هـذه الاقوام بممارستهـا ركوب البحر فلما وصلت حملاتهم الى فرنسا، تطلعوا الى الانـدلس لمـا اشتهرت بـه من الخصب والغنى ، وقد حطت سفنهم على سواحل جبليقية سنة ٢٢٩ هـ، وبـذلـك اقتحموا شواطئ المملكـة الاسلاميـة في الانـدلس لاوة مرة، ثم بلغ اسطولهم شواطئ لشبـونـة وقـوامـه زهـاء ثمـانين مركباً، فكتب عبد الرحمن الى عمالـه ينبههم بـالخطر، ويـدعوهم الى الاهبـة والاستعـداد، والتحم النورمانيون مع المسلمين عند لشبونة بعدة وقائع ، ثم ساروا بـاسطولهم الى قـادس، ثم الى شـذونـة ، ثم اخترقوا نهر الوادي الكبير حتى اشبيليـة، وتـزلـوا بظـاهر اشبيليـة، في المحرم سنة ٢٢٩ هـ / سن ٨٤٣م ، فكان نزولهم مفاجأة مروعة لسكان اشبيليـة، فـاقتحموا المدينة وعاشوا بها ثم خرجوا منها وعسكروا في ظاهرها، وهرع عبـد الرحمن والمسلمون في الاندلس لصد الغزو الجديد ودارت معـارك حـاميـة بين الفريقين انهزم فيهـا الغزاة بعـد قتـال عنيف ، وقتـل منهم نحـو الف، واسر اكثر من اربعمائـة واحرق من سفنهم ثـلاثـون سفينة، ثم ارتـد الغزاة ببقيـة سفنهم الى الجنوب، فعـادوا الى لشبونـة ثم غـادروا الانـدلس عائدين، واهتم بعد ذلك عبد الرحمن بتحصين مدينـة اشبيليـة وسورهـا ، وانشـأ بهـا داراً عظيمة لبناء السفن ، فكانت نواة الاسطول العربي الكبير في الاندلس والـذي بلغ في عهـد عبد الرحمن الناصر زهاء مائتي سفينة ، ثم عمد النورمانيون الى طلب المهادنـة والصلح مع امير الاندلس بعد هذه الهزيمة التي حلت بهم، وقد كابتهم امير الاندلس بذلك .(٥٤)

ولما اتجهت انظار عبد الرحمن الثـاني الى خطر البحر، بعث قوة بحريـة سنـة ٢٣٤ هـ الى جزر البليار (الجزائر الشرقية) في البحر المتوسط لغزوها ومعاقبة اهلها لتعرضهم لسفن المسلمين المجاهدين والاضرار بها، فاخضعهم المسلمون واصابوا منهم سبياً كثيراً، وبعث اهلها الى عبد الرحمن يطلبون الامان ويدفعون الجزية ، ويتعهدون بالولاء والطاعـة فـاجـابهم الى ماطلبوا، وصار البحر المتوسـط مركزاً للحملات العربيـة البحريـة المتجهـة نحو الشمال الشرق التي بلغت الى سردينا وكورسيكا، ثم سار الاسطول العربي الانـدلسي شرقـاً وشمالاً

حتى بلغ سواحل فرنسا الجنوبية، وهاجم المسلمون ثغر مرسيليا وما حوله من الاراضي واوقعوا باهله، وتوغلوا في داخل الاراضي الفرنسية من هناك .(٥٥)

حكم عبد الرحمن الثاني واحداً وثلاثين عاماً، كان اسمر اللون طويل القامة، وسيم المحيا، اسود العينين، بهي الطلعة، بهيج الزي، كبير اللحية، يكني ابا المظرف، ويعرف بعبد الرحمن الاوسط وعبد الرحمن الثاني، كان وافر البأس رفيع الخلال، وصل البلاط في عصره درجة عالية من البهاء والروعة، اتبع رسوم الخلفاء في الزينة والنظام والخدمة، ووضع خطة الوزراء المنظمة، وكان يحسن الاختيار لوظائف حكومته وقادتها، واجتمعت في عهده جمهرة من الفقهاء والعلماء والقضاة رحل معظمهم الى المشرق لطلب العلم، واصطفى الموالي والصقالية، واستكثر عبد الرحمن من اقتناء الجواري الحسان، واجتمعت لديه نخبة منهن بارعة في الحسن والخلال · مثل طروب ام ولده عبد الله · ومؤمرة أم ولده المنذر، وشفاء ام ولده المطرف، وفخر، ومتعة، وغيرهن، وانجب من الولد مائة وخمسين من الذكور، ومثلهم من الاناث، وقيل ان الاولاد اربعون سماهم بنفسه، والبنات ثلاث واربعون .(٥٦).

كما اعتنى عبد الرحمن بالمنشآت العامة اعظم عناية، فزاد في مسجد قرطبة الجامع جناحين جديدين من جانب القبلة، ومازال هذا الجامع الشهير قائماً الى اليوم بجميع عقودة الاسلامية، وازوقتة ومحاريبه، لكنه حول منذ القرن السادس عشر الى كنيسة قرطبة العظمى، واقيم في وسطه مصلى على شكل صليب، ومع ذلك فانه رغم تحويراته لصالح الكنيسة، ظل يحمل باللغة الاسبانية، اسمه الاسلامي القديم ((المسجد الجامع)) وظلت محاريبه الفخمة تحتفظ بنقوشها الاسلامية واياتها القرآنية ، ويقع هذا الجامع في طرف قرطبة الجنوبي وسط مجموعة من الدور الاندلسية القديمة على مقربة من القنطرة الرومانية العربية القائمة على نهر الوادي الكبير، ويبلغ طوله (١٨٥) متراً ، وعرضه (١٣٥) متراً وله عدة ابواب كبيرة مازالت تحتفظ بنقوشها الاسلامية ويسمى بابه الرئيسي ((باب النخيل)) ويقع صحنه في ناحيته الشمالية ويعرف بـ (ساحة النارنج)) وهو صحن مستطيل شاسع يزدان باشجار البرتقال (او النارنج) ، وهو الان صحن الكنيسة، وقد هدمت منارة الجامع واقيم مكانها برج الاجراس· وانشأ عبد الرحمن ايضا مسجد اشبيلية الجامع، وابتنى سورها القديم، ووضع نظاماً جديداً للسكة وجعلها اندلسية مستقلة، وانشأ اجنحة ومشارف جديدة لقصر الامارة ، وجلب الماء العذب من الجبال، وانشأ على النهر العظيم رصيفاً، وانشأ بقرطبة عدداً كبيراً من الحدائق الغناء، وكانت ايامه ايام سكينة وامن ورخاء، وفيها ازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة (٥٧)

وكان عبد الرحمن الثاني، اديباً حسن الثقافة حافظاً للعلوم، مجيداً لنظم الشعر ، يحنو على اقاربه، وذوي رحمه، وكان يعشق الفلك والتنجيم ، وفيما يلي بعض ما قاله من الشعر في الغزل :ـ

قتلتني بهواكا — وما احب سواكا
من لي بسحر جفون — تديره عيناكا
وحمرة في بياض — تكسى به وجنتاكا
اعطف علي قليلا — واحيني برضاك
فقد قنعت وحسبي — ان ارى من رآكا

وفي عهد عبد الرحمن الثاني، صارت دولة العرب في الاندلس ، ذات هيبة ونفوذ دولي كبير، وصارت مركز للدبلوماسية الاسلامية في الغرب ، فقد حاولت الدولة البيزنطينية التقرب من قرطبة فبعث القيصر البيزنطي سنة ٢٢٥ هـ/ سنة ٨٤٠ م ، سفيراً ومعه كتاب وهدية فخمة ، فاستقبله عبد الرحمن بحفاوة ، وجاء في الكتاب تذكير بالصداقة بين الخلفاء الامويين الاوائل بدمشق وبين قياصرة بيزنطة ، ويشكو معها من اعمال الخليفة المأمون واخيه المعتصم واعتدائها على اراضيه، فرد عليه عبد الرحمن بسفارة مماثلة مع هدية فسار السفير وهو الغزال بصحبة السفير البيزنطي الى مرسية ومنها بالبحر حتى بلغوا القسطنطينية بعد رحلة شاقة، وقدم الغزال الى القيصر الكتاب والهدية من عبد الرحمن. توفي بعد ذلك عبد الرحمن بن الحكم في ربيع الثاني سنة ٢٣٨ هـ/ سنة ٨٥٢م وهو في الثانية والستين من عمره .(٥٨)

٤ ـ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢٣٨-٢٧٣ هـ:

تولى محمد بن عبد الرحمن الثاني (الاوسط) الحكم بالاندلس بعد وفاة ابيه مباشرة في شهر ربيع الاخر من سنة ٢٣٨ هـ ، ودخل القصر وابوه مسجى وجلس على سرير الامارة ، واخذ له حاجبه البيعة، وكان عمره وقتها ثلاثين عاماً ، وامه ام ولد تدعى ((بيصر)) وكان ابوه قد اعتمد عليه كثيراً في اثناء حملاته ضد الثائرين وانابه عنه في كثير من الاحيان، ولذلك اختاره ابوه لولاية العهد وفضله على اخوانه الكثيرين لما امتاز به من الفطنة والذكاء ومعرفة بامور الدولة والسياسة.(٥٩)

غير ان عصر محمد بن عبد الرحمن بالاندلس، كان بداية لمرحلة خطيرة من حياة الدولة الاموية في الاندلس، كادت تودي بحكم بني امية هناك بشكل نهائي، فقد عمت الاضطرابات البلاد طيلة حكمه الذي امتد خمسة وثلاثين عاماً، ذلك ان طليطلة شهدت اضطرابات عنيفة ضده، ولم تمض الا ايام قلائل على توليه السلطة، ووقعت معارك عنيفة بين قواته والمتمردين ولحقت بجنده خلالها خسائر فادحة، وذلك سنة ٢٣٩ هـ، لكنه سار اليهم ثانية سنة ٢٤٠ هـ ووقعت بين الفريقين موقعة شديدة انتصر فيها الامير عليهم ومزق جموعهم التي كان عمادها المولدون والنصارى من الاسبان، وقتل منهم احد عشر الف رجل وقيل بل عشرون الفا .(٦٠)

ولما نجح الامير محمد من اخماد حركة المولدين والاسبان في طليطلة بعد ان اخذت وقتاً وجهداً كبيرين منه، لانها كانت مركز دولة القوط السابقة وملجأ الاسبان وتياراتهم المعادية للدولة العربية هناك· سير الجيوش الى الثغر الاعلى من البلاد لمقاتلة الخارجين على الدولة والمتعاونين مع الفرنجة، لكنه لم يلبث ان تعرضت بلاده من جديد لخطر النورمانيين الذين انحدروا في سفنهم سنة ٢٤٥ هـ / سنة ٨٥٩ م، الى ساحل جيليقية، غير ان اسطول المسلمين هناك تصدى لهم وهزمهم رغم وصولهم الى باجة والوادي الكبير، بل انهم انحدروا جنوباً حتى بلغوا مياه الجزيرة الخضراء .(٦١)

لكن الحوادث في الثغر الاعلى تطورت كثيراً ضد حكومة قرطبة، وعاد التمرد من جديد في طليطلة ، وكذلك الحال في شمال الاندلس، وانشغلت الحكومة بمعالجة كل ذلك اعواماً طويلة، ونشطت المعارضة والتمرد في جنوب البلاد ووسطها وفي ظل هذه الظروف، كان ظهور بني ذي النون في الجبال الجنوبية، يقودهم عمر بن حفصون، اعظم الخارجين بالاندلس، وهو من المولدين من اصل اسباني قوطي، كان جده الرابع المدعو جعفراً، اول من اعتنق الاسلام من اسرته، وكان عمر، سيئ السيرة عنيفاً جمع حوله الكثير من العصاة والخارجين، وامتنع في قلاعه الحصينة، وفشلت جميع محاولات الامير محمد للقضاء عليه حتى كان اخرها ان سار اليه المنذر بن الامير محمد سنة ٢٧٣ هـ ، واشتبك معه في معركة عنيفة جرح فيها ابن حفصون وانسحب الا انه لم يتمكن من القضاء عليه، وبينما هما على ذلك اذ جاءت الانباء بوفاة الامير محمد، فارتد المنذر الى قرطبة، وقد اتاح ذلك الفرصة لابن حفصون للعودة ثانية الى العصيان والاستيلاء على الكثير من المناطق المجاورة لقلاعه وحصونه هناك.(٦٢)

وكان الامير محمد، من خيرة امراء بني امية في الاندلس، فقد اعتنى بمصالح المسلمين، واهتم بضبط الثغور بالاطراف البرية والبحرية، بذل جهوداً واموالاً كثيرة من اجل الحفاظ على سلطان بني امية هناك، وكان يحب الجهاد وقيادة الجيوش بنفسه، اهتم

بالجيش والقوة البحرية، وانشأ فرق الفرسان في جيشه، ومع ذلك فقد خفف الامير محمد الضرائب عن كاهل الشعب، وسار البلاط في عهده سيرة معتدلة في النفقات، وضعف في عهده دور الجواري والصقالبه في القصر، واعتمد على عدد من الوزراء والقادة العرب المشهورين. ثم حسن علاقات الاندلس مع بني رستم وامراء تاهرت، وبني مدرار امراء سجلماسة وغيرها من بلاد المغرب العربي واقام علاقات ودية مع ملك فرنسا (شارل الاصلع) وتبادلا المراسلة والهدايا، ثم قام الامير بعدد من الاعمال العمرانية ، وفي مقدمتها بناء الكثير من المساجد واصلاح جامع قرطبة الكبير وتوسيعه، وانشا زيادات كثيرة بقصر الامارة وزينه بالاشجار والورود النادرة واخيرا انشا له ضيعة خاصة جنوب غرب قرطبة وكان عطوفا على اهله واقربائه اكرمهم واعطاهم وولاهم ،وكان مكرما لذوى العلم والادب والفكر ، ويكثر رعايتهم ووصلهم ،وصار للفقهاء في عصره نفوذ كبير ومع ذلك فقد اتبع سياسة التسامح مع النصارى على كثرة خروجهم عليه.(٦٣)

توفي الامير محمد في شهر صفر سنة ٢٧٣هـ / سنة ٨٨٦م ، وكان ربعة في القوام ، ابيض مشرب ، ترك من الولد ثلاثة وثلاثين ، ومن البنات احدى وعشرين.(٦٤)

٥- المنذر بن محمد سنة ٢٧٣ - سنة ٢٧٥هـ :

عاد المنذر من مقاتلة ابن حفصون الى قرطبة بعد وفاة ابيه الامير محمد بايام ،فاعلنت بيعته في ربيع الاول سنة ٢٧٣هـ ،وكان عمره اربعة واربعين عاما، كان ابوه يفضله منذ البداية على اخوانه الاخرين وعهد اليه قيادة الجيش ضد الثائرين الخطيرين في اثناء حياته ،فلما تولى المنذر الامر ،كانت الفتنة قد عمت الاندلس، وكان عليه ان يعيد الامن والنظام وان يصون عرش الدولة.

وكان من بين اهم المشاكل التي واجهت المنذر، القضاء على ابن حفصون الذي ظل يقود العصيان في الجنوب منذ عهد ابيه، وكان ابن حفصون قد مد نفوذه الى مناطق كثيرة من البلاد، واجتمع له الكثير من الخارجين على سلطة الدولة من جميع انحاء الاندلس، واكثر من ذلك اعلن الدعوة لبني العباس وكاتب ابن الاغلب امير افريقية في ذلك وطلب تعاونه معه ضد الامويين بالاندلس فكانت حركته خطيرة لانها تمثل المولدين، وهم الاسبان الذين اسلموا منذ الفتح وقد احيا ذلك العصبية الاسبانية من جديد ضد العرب الفاتحين، فلما اشتد امر ابن حفصون واستولى على الكثير من الاقاليم والحصون، خرج اليه، المنذر بنفسه سنة ٢٧٤ هـ على راس جيش كبير وزحف نحو الجنوب ، فاستولى على الكثير من القلاع والحصون من المتردين وطوق ابن حفصون في قلاعه الخاصة، فلما ضاق الحصار على ابن حفصون، مال الى الخديعة وعرض على المنذر

التسليم والخضوع وطلب الصلح والامان، فاجابه المنذر الى ذلك ورفع الحصار عنه، ورجع الى قرطبة، غير ان ابن حفصون عاد الى العصيان وتنكر لهذا الصلح ، فعاد المنذر ثانية لحصاره الذي دام اكثر من اربعين يوماً، وذلك سنة ٢٧٥ هـ ، ومرض خلالها المنذر ، واستقدم اخاه عبد الله لينوب عنه في متابعة الحصار، ولم يلبث المنذر ان توفي في شهر صفر من هذه السنة وقيل ان اخاه عبد الله دبر له من قتله وهو مريض ليتولى العرش مكانه، ورفع الحصار عن ابن حفصون مرة اخرى بسبب ذلك، وعاد عبد الله الى قرطبة .(٦٥)

٦ ـ عبد الله بن محمد سنة ٢٧٥ سنة ٣٠٠ هـ :ـ

تولى عبد الله بن محمد امارة الاندلس بعد وفاة اخيه المنذر وبايعه الجيش في اليوم الذي توفي فيه المنذر، وهو يحاصر ابن حفصون ، سنة ٢٧٥ هـ، وكان مولده بقرطبة، وامه ام ولد تدعى ((بهار)) وعلى اثر بيعته عاد بجيشه الى قرطبة ومعه جثمان اخيه المنذر ودفنه بمقبرة القصر، ولم يعارضه احد من اخوته بالامارة.

لقد كان عهد عبد الله، مليئاً بالفتن والاضطرابات التي استفحلت في كل مكان من ارجاء الاندلس ، ولم تقتصر الحال على حركة ابن حفصون، ولم تبق قاصرة على المولدين في طليطلة التي تحدت حكومة قرطبة من زمن، بل امتدت الحركة لتشمل زعماء القبائل العربية الذين راوا الفرصة مناسبة للاستقلال كلا بما لديه من اراضي واقاليم وحصون في الجبال القضية، وبذلك لم يبق لحكومة قرطبة من سلطان حقيقي الا على العاصمة قرطبة وماجاورها .(٦٦)

كانت مهمة عبد الله شاقة، وقرر ان يبدأ بابن حفصون فراسله ابن حفصون بالصلح اول الامر واجابه عبد الله، الا ان ابن حفصون مالبث ان نكث الصلح وعاد الى العبث في البلاد والاستيلاء عليها حتى قارب قرطبة العاصمة ، فخرج اليه الامير عبد الله بنفسه سنة ٢٧٦ هـ، واجتاح بلاده، لكنه لم يظفر به، ثم سار اليه مرة اخرى والتقى معه عند معقل ((بلاي)) جنوبي قرطبة ، وكانت قوات ابن حفصون في هذه الموقعة ثلاثين الف مقاتل ، في حين كانت قوات الامير قرابة ثمانية عشر الفا، ووقع اللقاء بين الفريقين على ضفاف احد فروع نهر الوادي الكبير سنة ٢٧٨ هـ، فحلت الهزيمة بقوات ابن حفصون وقتل منهم الكثير في حين فر ابن حفصون نفسه الى الجبال ، وقد اصيب بهزيمة نكراء لم يصب بها من قبل .(٦٧)

هـذا في جنـوب الانـدلس حيث حركـة المولــدين مـع ابن حفصـون، امــا في شرق الاندلس فقد قاد المعارضة، العرب هناك، فكانت المعارضة العربية ضد الحكومة الامويـة في ظل هـذه الظروف، وتغلب العرب على كور البيرة، ونشبت بينهم وبين ابن حفصـون وقائع كثيرة، واتسع نطـاق العصيـان بين القبـائل العربيـة والمولـدين فخرج المولـدون في شمال الاندلس، وخرج العرب في شرق الاندلس، واستفحل امرهم فسير لهم الامير عبد الله الجيوش بقيادة عمه هشام بن عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢٨٣ هـ، فـاخترقت ولايـة تـدمير وعـاثـت فيهـا، غير ان حركات العرب هـذه كانت اقـل خطـورة من حركات المولــدين هناك، ثم امتدت الاضطرابات الى اشبيلية، وهي ثـاني اهم مـدن الانـدلس، وكان سكانها مزيجاً من العرب والمولدين والاسباب وغيرهم وثار فيها عدد من الزعماء العرب، فعنـدما اضطرب الحال فيها، ارسل عبد الله حملة اليهـا سنـة ٢٨٢ هـ بقيـادة ابنـة المطرف الـذي نجح في اخماد الفتنة في اشبيلية واذعن اهلها لمطالبه وسلموا له الخراج المطلوب .(٦٨)

استمرت حركة ابن حفصون تهدد دولة العرب بالانـدلس، وقـد عـاد ابن حفصون الى المسيحيه سنة ٢٨٦ هـ، هو وسائر افراد اسرته، واتخذ لـه اسماً نصرانيـاً هو ((صمويل)) ومـا اخلص ابن حفصون قـط للاسلام من قبل، وكـذلـك كان ابوه، وتحـالف مع بعض زعمـاء اشبيلية ضد الامير ، غير ان المسلمين هناك انكروا على ابن حفصون نكوصه عن الاسلام، ورأوا في قتاله نوعاً من الجهاد ، فجهز الامير عبد الله الجيوش لقتـالـه واوقعوا بـه هزيمـة شديدة سنة ٢٨٩ هـ/ سنة ٩٠٢ م. لكن ابن حفصون رغم هذه الهزائم ، ظل يهدد الـدولـة ويشغلها دون ان تتمكن من القضاء عليه بصورة كاملة، كان اخرها هزيمتـه سنـة ٢٩٩ هـ في معاقله، لكنه ظل يقاوم زهاء ثلاثين عاما دون ان يقض على حركته.

اما بنو ذي النون الذين استولوا على طليطلـة منـذ عهـد المنـذر، وهم من اكابر عرب المغرب وينتمون الى قبيلة هوارة، فقد تزعمهم موسى بن ذي النون وصار لاولاده من بعده حكم المناطق الواقعة شرق قرطبـة، وكثرت الاضطرابـات في كل مكان وصـار عهـد الامير عبدالله يدنو من نهايته بعـد ان انكمش سلطـان الـدولـة الامويـة في الانـدلس، واشرفت دولتهم على الزوال لولا ان قيض الله لها الامير عبدالرحمن الثالث الملقب ((النـاصر))، لان جميع هؤلاء الخارجين اجمعوا على مخالفة الامير عبدالله وكراهته والاستهانة بسلطانه.(٦٩)

حكم الامير عبد الله بن محمد خمسـة وعشرين عـامـا ، وتوفي في شهر ربيع الاول سنـة ٣٠٠ هـ، وهو في الثـانيـة والسبعين من عمره، كان اميرا ورعـا جوادا محبـا للخير كثير البر بالفقراء وذوي الحاجة وكان اديباً ينظم الشعر، وكان حريصاً على اقامة العدل بين الناس ، قمع الظلم والبغي، وكان يجلس للفقراء يوماً في الاسبوع بباب انشأه في ركن القصر سماه ((باب العدل)) وكان قوياً شـديـد الوطـأة على الخـارجين والطغـاة واهل السلطـان، كان

محتشما ومتقشفا في حياته الخاصة، وعده المؤرخون من خلفاء بني امية الصالحين، وكان يؤثر مجالس العلماء والشعرا، وكان اصهب، ابيض مشرباً بحمرة، ازرق العينين طويلاً، جميل الطلعة فخماً مهيباً، نبيلاً له من الولد احد عشر ولداً احدهم محمد المقتول. وهو والد عبد الرحمن الناصر، قتله اخوه المطرف بغية الانفراد بالامارة ، وكان عبد الله يجيد نظم الشعر، ومن ذلك قوله: (٧٠)

يامهجة المشتاق مااوجعك	ويأسير الحب ما اخشعك
ويارسول العين من لحظها	بالرد والتبليغ ما اسرعك
تذهب بالسر فتأتي به	في مجلس يخفي على من معك
كم حاجة انجزت ابرازها	تبارك الرحمن ما اطوعك

وبوفاة الامير عبد الله بن محمد، تنتهي مرحلة من مراحل تطور الدولة العربية في الاندلس ويبدأ عصر جديد لبني امية هناك.

الفصل الرابع

عصر الخلافة الاموية في الاندلس

اولا : عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ:

تولى عبد الرحمن بن محمد الملقب (بالناصر) امارة الاندلس سنة ٣٠٠ هـ: بعد وفاة جده الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، وجلس على العرش في اليوم نفسه، وكان له من العمر ثلاثة وعشرون عاما، وقد تجاوز اعمامه واعمام ابيه في تولي هذا المنصب ، وذلك ان جده الامير عبد الله قد توسم فيه الخير واسند له كثيراً من المهام، لما ظهر عليه من تفوق في العلوم والمعارف فضلا عن مهارته في فنون الحرب والفروسية منذ حداثة سنه.

ولد عبد الرحمن الناصر في رمضان سنة ٢٧٧ هـ قبيل مقتل ابيه باسابيع قليلة، فقد كان ابوه اكبر اخوته، فاختاره ابوهم الامير عبد الله لولاية العهد، فحسده اخوه المطرف بن الامير عبد الله وقتله غيلة ، لكن الامير عبد الله لما علم الامر، قتل ابنه المطرف عقاباً لعمله المشين هذا، ولذلك كان عبد الرحمن الناصر يتيماً منذ الطفولة ، فنشأ في كفالة جده الامير عبد الله واولاه عين العطف والرعاية اما امه ، فهي جارية اسبانية تدعى ((ماريا)).

جلس عبد الرحمن الناصر للبيعة في قاعة المجلس الكامل بقصر قرطبة ، فكان اول من بايعه اعمامه واعمام ابيه ، اي اخوة جده الامير عبد الله ، وباركوا له هذه البيعة واثنوا عليه، ثم تتابع الناس للبيعة من وجوه الدولة والموالي ، ثم الفقهاء والاعيان من اهل قرطبة ، ومازالوا على ذلك حتى الظهر ، ثم قام الامير عبد الرحمن ، فصلى على جثمان جده ثم واراه في مدفنه بالروضة ، ومعه الوزراء ورجال الدولة ، وجلس بعد ذلك وزيره موسى بن محمد في المسجد الجامع لتلقي البيعة العامة له ومعه القاضي وصاحب الشرطة وصاحب احكام السوق، فساد البشر في القصر والمدينة، وتوسم الجميع في الامير الشاب الخير والبركة ، وعلقوا على امارته الامال الكبيرة، وفي ذلك قال شاعر العصر، ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد يوم تولى عبد الرحمن الناصر الملك هذه الابيات :(٧١)

بدا الهلال جديداً	والملك غض جديد
يانعمة الله زيدى	ماكان فيك مزيد
ان كان للصوم فطر	فانت للدهر عيد
امام عدل عليه	تاجان : بأس وجود
يوم الخميس تبدي	لنا الهلال السعيد
فكل يوم خميس	يكون للناس عيد

وجد عبد الرحمن الناصر ، دولة العرب بالاندلس، تضطرم بسلسلة من الاضطرابات والفتن حتى اشرفت الدولة على الانهيار ،وكانت الاندلس اشد ماتكون حاجة الى الاستقرار والسكينة بعد ان هزتها الاضطرابات الى الاعماق ،وكان عليه ان يسحق التمرد وعناصره ،بقوة ،اينما كانوا ،ومن كانوا ،فبادر بارسال الحملات الى مواقع المتمردين ،ثم عزم على الخروج بنفسه يقود الجيوش ليفرض الامن والاستقرار في البلاد.

خرج عبد الرحمن الناصر بغزوته الاولى سنة ٣٠٠هـ ، وهي السنة التي ولي فيها الامارة ،فسار الى الجنوب الشرقي من البلاد حيث كان ابن حفصون قد استبد بكثير من الحصون والقلاع عن الدولة ثم اتجه صوب كورة جيان وسط الاندلس، حيث كانت الاضطرابات على اشدها ،ثم ارسل بعض قواته الى مالقة والى بعض حصون المولدين المتمردين هناك. واذ عن له جميع هؤلاء الخارجين، وسار بعد ذلك الى كورة رية، واستولى على حصونها من انصار ابن حفصون ،ومازال عبد الرحمن يجول في تلك الانحاء حتى قضى على كل عناصر التمرد ، وبلغ ماستولى عليه في تلك الغزوة من الحصون حوالي (٧٠) سبعين حصنا من اهم معاقلهم ،ثم عاد عبد الرحمن الناصر الى قرطبة في يوم عيد الاضحى بعد ان استغرقت هذه الغزوة ثلاثة اشهر.(٧٢)

غير ان عناصر التمرد الخارجة على الدولة الاموية ،عادت تتجمع مرة اخرى ، فقد نشط ابن حفصون ، ورفعت اشبيلية لواء العصيان بقيادة بني الحجاج ،فاقاموا امارة مستقلة فيها ،ورغم انهم من اصل عربي الا انهم ينتمون الى المولدين من ناحية الام ،لذلك خرج الامير عبد الرحمن الناصر في غزوته الثانية سنة ٣٠١هـ ،وقصد كورة رية والجزيرة ، وكان ابن حفصون قد عاد وبسط نفوذه على تلك الانحاء ،وهو يتزعم المولدين ، والتقى الفريقان في معركة حاسمة انهزم فيها ابن حصفون وحلفاؤه الاسبان واتجه صوب الغرب .وسار بعد ذلك عبد الرحمن الى شذونة ثم الى قرمونة ،واخمد الخارجين فيها ثم عاد الى قرطبة بعد ان اوقع بالمتمردين ضربة شديدة ،لكن عوامل التمرد مازالت تهدد الدولة في

كل مكان رغم استئناف عبد الرحمن الناصر عزواته ضد خصومه من العرب والاسبان والمولدين، ورغم ايقاعه بقلاعهم وحصونهم وقواتهم الخسائر الجسيمة حتى سنة ٣٠٦هـ حيث تعرضت قوى التمرد لنسكة كبيرة ،بوفاة عمر بن حفصون زعيم المولدين الكبير ومشعل حركاتهم في غرب الاندلس ،وكان ابن حفصون هذا اخطر متمرد عرفته الاندلس منذ الفتح ،وكان تمرده يمثل اخطر العناصر التي لاتدين بالولاء للحكومة العربية في قرطبة ،وفي مقدمة هذه العناصر ،المولدون الذين ينتمي اليهم ابن حفصون نفسه ،وهم سلالة القوط والاسبان الذين اسلموا منذ الفتح ،وكان هؤلاء المولدون رغم الرعاية والتسامح الذي منحتهم اياه الدولة العربية الاسلامية هناك ،يضمرون الخصومة والكيد وينتهزون الفرص للايقاق بهذه الدولة ،وكانوا يتلقون العون دائما من زملائهم الاسبان المعاهدين رعايا الحكومة والدولة العربية بالاندلس ،فكانت وفاة هذا المتمرد ،وهو من اصل اسباني اسلم ثم عاد عن الاسلام ،ضربة شديدة لحركة المعارضة بالاندلس بعد ان شغلت الدولة زهاء ثلاثين عاما.(٧٣)

حاول ابناء عمر بن حفصون الاربعة واختهم، الاستقلال عن الدولة بحصونهم وقلاعهم ،فجهزلهم عبد الرحمن الناصر الجيوش، قاد بعضها بنفسه لمهاجمة هذه الحصون ،وكان اخطرها معقل «بريشتر» وذلك خلال الفترة سنة ٣٠٦هـ، وحتى سنة ٣١٥هـ ،حيث تمكن من اخضاعها جميعا، واستسلم زعماؤها واخذهم واهلهم اسرى الى قرطبة ،واحسن اليهم وعفا عنهم ،ثم سار عبد الرحمن سنة ٣١٦هـ الى حصن بريشتر لتنظيم اموره وتطهيره من اثار ابن حفصون ،فصلى في مسجدها المهجور وامر باخراج جثة عمر ابن حفصون، فتبين انه دفن على دين النصرانية، فامر بحملها الى قرطبة حيث علقت مصلوبة على باب السدة ،ثم امر عبد الرحمن ،باعمار سائر مساجد بريشتر بعد ان استولى على سائر معاقلها وحصونها.(٧٤)

وفي الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن الناصر يعمل على اجتثاث حركة ابن حفصون وابنائه في جنوب الاندلس ،نجح في قمع التمرد في طليطلة التي قادها المولدون هناك ،وقد استمر هذا التمرد من سنة ٣٠٨هـ ،وحتى سنة ٣١٧هـ، تمكن خلالها عبد الرحمن الناصر القضاء عليهم ،وطهر انحاء ولاية الغرب من اثار الخروج والعصيان ثم عاد الى قرطبة ،وطارد المتمردين شرق الاندلس واستولى على معاقلهم وحصونهم ،وهكذا نجح عبد الرحمن الناصر من اخماد التمرد في سائر النواحي بعد ان استمرت زهاء نصف قرن تستنفذ قوى الاندلس ومواردها وتقعدها عن الكفاح ضد عدوها الحقيقي تلك هي الحركة الاسبانية في الشمال.

كان الاسبان قد انشأوا مملكة صغيرة فيا وراء الجبال الشمالية الغربية للاندلس عقب افتتاح المسلمين لهذه البلاد ،وقد نمت هذه المملكة الصغيرة ،تدريجيا وغفل عنها امراء العرب بالاندلس او شغلوا عنها ،حتى صارت فيا بعد قوة تهدد دولة الاسلام في قرطبة ،وبدات غزواتها على اراضي المسلمين هناك ،فلما جاء عبد الرحمن الناصر الى الحكم بالاندلس ،كانت هذه المملكة تسير قدما في طريق القوة والتقدم ،وكانت تنقسم وقتها على مملكتين متحالفتين :هما :مملكة ليون او مملكة جيليقية ،في الشمال الغربي من البلاد ،ومملكة نافار (نبره او بلاد البشكنس) .وكان عبد الرحمن قد شغل في بداية حكمه باخماد الاضطرابات والفتن الداخلية وتطهير الاندلس من عناصر الفتنة ،وقد استغل هؤلاء الاسبان انشغاله ،فهاجموا البلاد الاسلامية ،وغزوا مقاطعة ماردة وعاثوا بها ،وقد دفع ذلك عبد الرحمن لارسال الجيوش للايقاع بالغزاة والثأر لماردة وقلاع المسلمين سنة ٣٠٤هـ ،ثم سير عبد الرحمن جيشا ثانيا الى مملكة ليون واستولى على امنع قلاعهم واهمها ،لكن المسلمين ارتدوا امام جموع الاسبان اخر الامر ،وخسر المسلمون الكثير.(٧٥)

تشجع الاسبان بعد هذه الانتصارات ،وواصلوا عدوانهم على اراضي المسلمين واستمر القتال سجالا بين الطرفين وكثر العبث والاذى في مناطق الحدود بين المسلمين والاسبان في هذه البلاد ، وقد اضطر ذلك الامير عبد الرحمن الناصر الى الخروج بنفسه لقتال هؤلاء الغزاة ،فخرج من قرطبة سنة ٣٠٨هـ في جيش ضخم ، وانضم اليه كثير من اهل الثغور ،فاحترق الثغر الاوسط حتى بلغ قشتالة ،ففر الاسبان من امامه الى الجبال ،واجتاح مناطقهم وقلاعهم ،وانتقم منهم لما اصابوه من المسلمين في السابق ،ثم اجتمع ملكا الاسبان (ليون ، نافار) لحرب المسلمين في حلف ، والتقوا مع جيش عبد الرحمن في معركة حاسمة عند مدينة «بنبلونة» فهزمهم المسلمون واوقعوا بهم خسائر جسيمة ، وانهارت كل مقاومة ضد المسلمين وهدم عبد الرحمن حصونهم ، ثم رجع الى قرطبة مع الغنائم والاسرى.(٧٦)

وعندما عاد التمرد في الشمال الشرقي لبلاد الاندلس ضد حكومة عبد الرحمن الناصر ،وتحالف ملك ناقار مع ملك ليون يؤيدهما معظم الخارجين على قرطبة سار عبد الرحمن بنفسه الى مقاتلة اعدائه في جيش ضخم الى سرقسطة ،واخضعها ثم دخل بقية الجيش بنبلونة عاصمة ناقار ومزق جموع البشكنس وسحق جميع المقاومة هناك ، واعلن كثير من العصاة ، الطاعة للامير عبد الرحمن ،وهكذا تمكن عبد الرحمن مرة اخرى من تمزيق هذا التحالف الخطر واخضاع الشمال الشرقي من شبه الجزيرة كله لسلطانه ونفوذه ،ولم يبق له سوى تحطيم خصمه العنيد صاحب مملكة ليون . فحشد عبد الرحمن جيشا عظيما بلغ عدده زهاء (١٠٠) مائة الف رجل واسند قيادته الى نجدة الصقلي ،ثم سار عبد الرحمن على

رأس هذا الجيش سنة ٣٢٧هـ ،الى ليون وعبر نهر التاجة قرب طليطلة ،والتقى الجيشان في موقعة سميت «غزاة القدرة» ،او موقعة «الخندق» تنويها باهميتها في سحق المملكة الاسبانية وكانت الموقعة عند اسوار مدينة سمورة وبين خنادقها ،كانت معركة عنيفة على المسلمين تراجعوا بعدها ،وعاد الامير الى قرطبة وقبض على عدد من الفرسان العرب وقتلهم لما ابدوه من عدم حماس وقتال في هذه المعركة وقد يكون السبب في ذلك انهم ماكانوا يرغبون بتقدم الصقالية في القيادة والادارة في ظل حكم عبد الرحمن الناصر ،وكان لذلك اثر كبير في عدم اخلاص الجند ،وبخاصة القادة في القتال العزوم .وبذلك يمكن اعتبار هذه الموقعة اخر الاعمال الحربية لعبد الرحمن الناصر وانصرف بعدها الى اصلاح شؤون المملكة وتنظيم امورها.(٧٧)

ثانيا: عبد الرحمن الناصر يعلن الخلافة الاموية:

اتجهت انظار عبد الرحمن الناصر ،الى الشمال الافريقي ،رغم انشغاله باخماد الاضطرابات في داخل الاندلس ،وعلى حدودها الشمالية ،وعني بمقاومة الدولة الفاطمية التي اجتاحت المغرب العربي واخذت تهدد شواطئ الاندلس ، مع العلم ان عدوة المغرب تعد دائما قاعدة لغزو الاندلس ،فضلا عن ان متمردي الاندلس كانوا على اتصال بالفاطميين للعمل سوية ضد دولة بني امية بالاندلس ، ولذلك سير عبد الرحمن الجيوش عبر البحر الى سبتة واستولى عليها من ولاتها حلفاء الفاطميين وذلك سنة ٣١٩هـ ، وجازت جيوش الناصر بعد ذلك مرارا الى المغرب لمحاربة الفاطميين وحلفائهم الادارسة،ودعي لعبد الرحمن على منابر المغرب.

لكن نفوذ الفاطميين قوى كثيرا عندما ولي امرهم المعز لدين الله الفاطمي الذي تطلع الى غزو الاندلس وجنوب ايطالية عبر البحر ، وسارت فعلا بعض سفن الفاطميين سنة ٣٤٤هـ ،وهاجمت ثغر المرية جنوب شرق الاندلس وعاثت فيها، فارسل عبد الرحمن حملة بحرية للرد على هذه الغزوة، وهاجمت تونس وعاثت بها ايضا.(٧٨)

فلما اجتاحت الدولة الفاطمية شمالي المغرب كله حتى المحيط ،وصارت دعوتها على مقربة من شواطئ الاندلس ، واعلنت هذه الدولة الجديدة احقيتها بالخلافة على المسلمين دون اكتراث بالخلافة العباسية ،كان ذلك في مقدمة العوامل التي دفعت عبد الرحمن الناصر الى العمل على احياء تراث الخلافة الاموي الروحي خاصة وقد توطدت دولته بالاندلس ،فضلا عما آلت اليه الدولة العباسية من الضعف والانهيار، وماحدث فيها من استبداد موالي الترك بالامر ،ولكل ذلك رأى عبد الرحمن الناصر، ان يتسم بلقب الخلافة

، وان يسترد بذلك تراث اسرته العظيم ،وانه يستحق هذا اللقب لما بذله من جهود من اجل دولة العرب الاسلامية في هذه الديار ،فاعلن نفسه خلفية واميرا للمؤمنين في مستهل شهر ذي الحجة من سنة ٣١٦هـ ،واصدر وثيقة رسمية بهذا الشأن هذا نصها:ـ(٧٩)

«بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على نبيه محمد الكريم . اما بعد/ فانا احق من استوفى حقه ، واجدر من استكمل حظه ، وليس من كرامة الله تعالى ماالبسه ،فنحن للذي فضلنا الله به ،واظهر اثر تنافيه ، ورفع سلطاننا اليه ، ويسر على ايدينا دركه ، وسهل بدولتنا مرامه ، والذي اشاد في الافاق من ذكرنا ، واعلى في البلاد من امرنا ، واعلن من رجال العالمين بنا ، واعاد من انحرافهم الينا ،واستبشارهم بما اظلهم من دولتنا ان شاء الله ، فالحمد لله ولي الانعام بما انعم به ، واهل الفضل بما تفضل علينا فيه ، وقد رأينا ان تكون الدعوة لنا بامير المؤمنين ،وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ،اذ كل موعو بهذا الاسم غيرنا ، منتحل له ،ودخيل فيه ،ومتسم بما لا يستحقه منه ، وعلمنا التادى على ترك الواجب لنا من ذلك حق اضعناه ، واسم ثابت اسقطناه ، فمر الخطيب بموضعك ،ان يقول به ، واجر مخاطبتك لنا عليه ، ان شاء الله ، والله المستعان ».

كتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذى الجة سنة ٣١٦هـ .

وبذلك اتخذ عبد الرحمن الناصر لقب خليفة ، وتسمى بامير المؤمنين الناصر لدين الله ، فكان اول امير من بني امية بالاندلس يكتسب هذا اللقب ،وبدأت الدعوة من ذلك الحين لامراء بني امية بالقاب الخلافة بالاندلس والمغرب الاقصى ، ونقشت القابهم على السكة.

ثالثا : اصلاحات عبد الرحمن الناصر:

كان عصر عبد الرحمن الناصر من اعظم عصور الاسلام بالاندلس ،ولاسيا في جانبيه المعنوى والحضاري ،فضلا عن بلوغ الدولة في عهده ذروة القوة والبهاء ، وقد اطنب المؤرخون العرب والاجانب في مدح الامير عبد الرحمن الناصر ،فكان سلطانه اعظم سلطان ،واعز ماكان الاسلام بملكه ،وحكي انه وجد بخطه رحمه الله مايلي «ان ايام السرور التي صفت لي دون تكدير خلال حكمي ،كانت اربعة عشر يوما فقط» فاعجب ايها العاقل لهذه الدنيا، لعدم صفائها ،وبخلها في كال الاحوال لاوليائها ، هذا الخليفة العظيم الناصر ،المضروب به المثل في الارتقاء في الدنيا والصعود ،ملك خمسين عاما وستة او سبعة اشهر وثلاثة ايام ،ولم تصف له الدنيا الا اربعة عشر يوما ،فسبحان ذي العزة القائمة ،والمملكة الدائمة ،لا اله الا هو.(٨٠)

ولما عظم ملك الناصر ،واستقر امره ،انصرف الى العمل والبناء ،فكان في مقدمة اعماله العمرانية العظيمة ،انشاؤة مدينة الزهراء اعظم قواعد الاندلس في ضاحية العاصمة قرطبة التي بلغت اوج عظمتها وازدهارها ، وكادت تفوق بغداد بهاءا وفخامة ،وبنى فيها القصر الزاهر ، وهو مقام الملك ،وبنى الى جانبه قصرا جديدا اسماه دار الروضة جلب اليه الماء من اعالي الجبال المجاورة ،وانشا الى جوار ذلك المتنزهات العظيمة وسقاها بالمياه الوفيرة المنظمة .وكان البدء في بناء الزهراء سنة ٣٢٥هـ على بعد خمسة اميال شمال غربي قرطبة ،وجلب لها المهندسين والفنانيين من بغداد والقسطنطينية وسائر الانحاد ،وجلب لها الرخام المختلف الالوان من اقاليم الاندلس ،والشمال الافريقي ،وبلاد الشام وغيرها ،وصار يعمل فيها كل يوم من العمال عشرة الاف رجل ، ومن الدواب (١٥٠٠) الف وخمسائة واستمر العمل فيها خمسة وعشرين عاماً من حياة الناصر صرفت عليها الاموال الوفيرة عدا ما انفقه عليها الحكم ابن الناصر الذي اكمل بناءها ،وابتنى الناصر فيها قصرا عظيما في جانب من جوانبه ثمانية ابواب مزينة بالذهب والجوهر ،واقيمت في باحاته وممراته ،التماثيل الجميلة للطيور وبعض الحيوانات ،وهي تقذف المياه من افواهها في احواض خاصة لذلك ،وقد اجمعت الروايات على انه لم يشيد قصر في الاسلام مثل قصر الناصر في الروعة والجمال والدقة والنظام.(٨١)

وانشأ الناصر بمدينة الزهراء ايضا ،مسجدا عظيما ،زوده بالعمد والقبب الفاخرة وانشئت بهذه المدينة الساحات الفسيحة للحيوانات ،ومسارح للطيور مظللة، ودار عظيم لصناعة الاسلحة ، واخرى لصناعة السفن ،وقد استمر العمل في منشأت هذه المدينة التي سميت باسم جارية الناصر «الزهراء» زهاء اربعين سنة خلال حكم الناصر وابنه الحكم ،وصارت منزل الملك والخلافة للناصر وابنه الحكم فقط ، فقد نزل بها الناصر بعد اكتمال بناء القصر والجامع سنة ٣٢٩هـ ، وظلت حتى نهاية حكم الحكم ابن الناصر الذي توفي سنة ٣٦٦هـ ، حيث انتقل مقر الخلافة الى ضاحية الزاهرة التي بناها الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر بعد ان تغلب على الدولة وحجب هشام المؤيدابن الحكم ، ونقل الى الزاهرة من الزهراء ،خزائن الاموال والاسلحة ودور الحكومة ، واتخذ لنفسه سمة الملك وتسمى بالحاجب المنصور ،وانشأ الدولة العامرية.(٨٢)

وقد نسب الى المنصور قوله في العمران مايأتي:

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان
او ماترى الهرمين قد بقيا وكم ... ملك محاه حوادث الا زمان
ان البناء اذا تعاظم شأنه ... اضحى يدل على عظيم الشان

ولما خربت الزهراء فيا بعد ،وجدت على بعض جدرانها هذه الابيات التي ترثي هذه المدينة الشهيرة:

ديار باكناف الملاعب تلمع — وما ان بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب — فيصمت احيانا وحينا يرجع
فخاطبت منها طيرا متغردا — له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي — فقال على دهر مضى ليس يرجع

واهتم الناصر بالمسجد الجامع العظيم في قرطبة اسوة باسلافه ،من بني امية ،فأمر بتجديد واجهته وزاد فيها كثيرا وذلك سنة ٣٤٦هـ ،وهدم منارته القديمة وانشأ اخرى جديدة امتازت بارتفاعها الشاهق وفخامتها النادرة ،وكانت مربعة الواجهات فيها سلمان للصعود والنزول ،ووضع في قمتها ثلاث تفاحات من الذهب والفضة ،غير ان الاسبان ازالوا تلك المنارة واقاموا مكانها برج الاجراس الحالي ، ومازالت اللوحة التي تشيد بهذا البناء تحمل اسم الناصر في الجانب الايمن من باب الجامع الرئيس المسمى «باب النخيل» وقد كتبت بخط جميل كما يأتي:
«بسم الله الرحمن الرحيم ، امر عبد الله عبد الرحمن امير المؤمنين الناصر لدين الله ، اطال الله بقاءه ،ببنيان هذا الوجه ،واحكام اتقانه ،تعظيما لشعائر الله ،ومحافظة على حرمة بيوته ،التي اذن اللّه ان ترفع ويذكر فيها اسمه ،ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الاجر ،وجزيل الذخر ،مع بقاء شرف الاثر ،وحسن الذكر فتم ذلك بعون الله ، في شهر ذى الحجة سنة ٣٤٦هـ على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر، عمل سعيد بن أيوب».(٨٣)

واولى عبد الرحمن الناصر عنايته للجيش منذ البداية ،فعمل على اصلاحه فحشد الجند ،واستكثر من الاسلحة والذخائر ،ودربه بعد ان صقلته الحروب وزوده بامهر القادة والفرسان ،وعنى في الوقت نفسه بالاسطول ،وبنى له دار لبناء السفن في المرية التي صارت مركز الاسطول الاندلسي الرئيس ،فبلغ الاسطول في عهده اكثر من مائتي سفينة من مختلف الانواع والاحجام ،وصار عهد الناصر ،عهد خير ورخاء ،فكثرت الاموال بخزائن الدولة ،وزاد الخراج والدخل وازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة ،كما ازدهرت العلوم والفنون والاداب ورخصت كلفة العيش في البلاد.

غير ان الخطر الذي نشط في دولة الناصر ،كان باتباع سياسة ابعاد العرب عن مناصب الدولة والجيش بصورة عامة وادخال عنصر جديد ذلك هو الصقالبة الذين عهد

اليهم الناصر الكثير من شؤون الدولة العامة والخاصة بعد ان استراب من اخوته وابناء عمومته وابناء امته العربية ،فاصطنع الموالي والمولدين والاجانب ووثق بهم ،وولاهم السلطان والنفوذ ،فكانوا عامل قوة لصالحه من جهة لكنهم استأثروا وخربوا فيا بعد فضلا عن خسرانه ابناء امته وانصاره الحقيقيين ، والصقالبة كلمة تطلق على الاسرى والخصيان من العنصر السلافي في بداية الامر ،ثم اطلقت على جميع الاجانب من النصارى الاسبان والالمان والفرنسيين والايطاليين وغيرهم ،وكان معظمهم يؤتى بهم اطفالا عن طريق قراصنة البحر وتجار الرقيق ،ويربون منذ صغرهم تربية عربية حسنة ويلقنون مبادئ الاسلام فينبغ بعضهم وقد استولوا على المناصب الكبرى في القصر والادارة والجيش.(٨٤)

لقد تبوأت الاندلس في عهد الناصر ،مركز الصدارة بين الدول الاسلامية، فقد تدهورت احوال الدولة العباسية في بغداد واطرافها، ومازالت الدولة الفاطمية بالمغرب ناشئة ،وبذلك صارت قرطبة مركز النشاط الدبلوماسي في العالم الاسلامي واتجهت اليها القسطنطينية لتحسين العلاقات معها ، وعمدت الى ارسال الوفود الى قرطبة سنة ٣٣٦هـ ،فاستقبلهم الناصر بقصر قرطبة بمراسيم بديعة وفريدة من نوعها ،وقدموا له الهدايا من القيصر مع كتاب مليْ بالمديح والثناء على الخليفة الناصر بالاندلس ، فلما انصرف رسل القيصر ،بعث الناصر معهم سفيرا من عنده ليؤكد المودة والتحالف بين الجانبين ، وقد اختلفت الروايات التأريخية في تفصيلات هذه السفارات ومحتوياتها واهدافها.(٨٥)

كان عبد الرحمن الناصر ، اديبا وعالما ، يهوى الشعر ويقوله ،وكان سمحا وافر الجود ،ويوصف بانه :ابيض ، اشهل ، حسن الوجه ، عظيم الجسم ، قصير الساقين ،ترك من الولد احد عشر ولدا منهم ولي عهده وخليفته الحكم المستنصر بالله ،توفي سنة ٣٥٠هـ وقام بعده ابنه الحكم بالخلافة.(٨٦)

ومما قاله ابن عبد ربه من شعر في وصف عصر عبد الرحمن الناصر واعتزاز الاسلام بدولته هذه الابيات من قصيدة طويلة :

قد اوضح الله للاسلام منهاجاً ... والناس قد دخلوا في الدين افواجاً
وقد تزينت الدنيا لساكنها ... كأنها البست وشيا وديباجاً
ياابن الخلائف ان المزن لو علمت ... نداك ما كان منها الماء ثجاجاً
والحرب لو علمت بأساً تصول به ... ماهيجت من حمياك الذي اهتاجاً
ادخلت في قبة الاسلام بارقة ... اخرجتها من ديار الشرك اخراجا
ان الخلافة لن ترضى ولا رضيت ... حتى عقدت لها في راسك التاجا

رابعا : خلفاء عبد الرحمن الناصر :

فيما يأتي خلفاء بني امية في الانـدلس بعـد الخليفـة عبـد الرحمن النـاصر وحتى نهـايـة دولتهم هناك :

١ ـ الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ :

تولي الحكم الثاني، بن عبد الرحمن الناصر الخلافه بالاندلس بعد وفاة ابيـه بعهـد منـه، وكان اكبر اخوته، وبويع الحكم بالخلافة في اليوم التالي لوفـاتـه، وذلـك في رمضـان سنـة ٣٥٠ هـ / سنة ٩٦١م وقد بلغ من العمر وقتها، الثـامنـة والاربعين، وتلقب ((بـالمستنصر)) وقد وجد الدولة تقوم على اسس ثابتة بعـد ان سحق ابوه ثورات المولـدين والعرب، ورد الاسبان الى عقر دارهم في اقصى شمال البلاد.

لقد كان الحكم بطبيعته، ميـالاً الى السلم والـدعـة، ولـذلـك ابتـدأ عهـده بـالعمل على توسيع المسجد الجامع في قرطبة، لازدياد عدد المصلين فيـه ووسعـه من النـاحيـة الشرقيـة حتى بلغت الزيادة فيـه بمقـدار حجم الجـامع الاصلي، وعمل لـه قبـة بـديعـة ، وابتنى الى جانب المسجد دار للصدقة واخرى للوعاظ وعمال المسجد.

غير ان الدولة الاموية في الاندلس ، لم تلبث ان تعرضت الى خطر امراء الاسبان في الشمال (ليون وقشتـالـة) في عهـد الحـكم الثـاني ، ونقضـوا مـاكان بينهم وبين المسلمين من مواثيق واخذوا يغيرون من جديد على اراضيهم ، فندب الخليفة الجيوش للحرب ، وخرج سنـة ٣٥٢ هـ معلنـا الجهـاد ، فـاجتمعت لـه الجيـوش في طليطلـة ، وسـار الى قشتـالـة ، واجتاحها ، فاضطر حاكمها الى طلب الصلح ، لكنه نكث ، ثم ارسل الحكم جيشاً اخر الى سرقسطة باتجاه نافار ، واوقعت هـذه الغزوة بـالاعـداء ، فجـاءت الوفود الى قرطبـة من ملوك الاسبان وامرائهم، وهم يعلنون الطاعة ويطلبون الصداقة والعون ، فوفد اليهـا امير جيليقية ، وامير اشتوريش ، ووفـدت رسل ملـك نـافـار ، وسفـارة من امير برشلونـة ، والراهبة الوصية على عرش ليون ، ووفدت سفـارة من امير قشتـالـة ، ووردت الى الحـاكم رسالة ودية من قيصر القسطنطينية واخرى من امبراطور المانيـا ، وقـد استقبلت قرطبـة هؤلاء الرسـل والسفراء بـالمودة والترحـاب واجـزلت لهم العطـاء والتكريم بعـد ان بلغت الخلافة الاندلسية اوج روعتها واستقرارها .(٩٠)

يعـد عصر الحكم المستنصر بـالانـدلس، من احسن عصور الـدولـة العربيـة هنـاك من ناحية ازدهار العلم والادب، ويرجع ذلك الى شخصية الحكم وشغفه العظيم بالعلوم والاداب وجمع الكتب، فضلاً عن معرفته الممتازة بالعلوم الشرعية وعلم الانساب والقبـائل وايثـاره

مجالس العلم على غيرها، وجمع لها الكتب من جميع انحاء العالم حتى قيل انه لم يكن في الاسلام خليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين، وبنى لها مكتبة عظيمة على مقربة من القصر تفنن المهندسون في ترتيبها وتنسيقها وانارتها ، وعهد بادارتها الى اخيه عبد العزيز، وعهد بالاشراف على جامعة قرطبة واساتذتها الى اخيه المنذر ، ولذلك قيل: ان دولة الحكم بالاندلس كانت دولة الاداب والحضارة، في حين كانت دولة ابيه عبد الرحمن الناصر دولة العظمة والبهاء.

توفي الحكم في صفر سنة ٣٦٦ هـ بعد ان اخذ البيعة لولى عهده الصغير هشام المؤيد وامه حطية نافاربة تدعي ((صبح)) .(٩١)

٢ ـ هشام المؤيد بن الحكم سنة ٣٦٦ ـ سنة ٣٩٩ هـ:

عندما توفي الحكم سنة ٣٦٦هـ ، حاول الصقالبة الموجودون بالقصر ، عزل ولي العهد هشام الصبي ، واختيار عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر للخلافة في حين عارضهم الحاجب جعفر بن عثمان ومحمد بن ابي عامر، وكل فريق يكيد للاخر ، لكنهما اتفقا اخيراً على ان يتولى هشام الامر على عهد ابيه له بذلك ، واخذت له البيعة في صبيحة اليوم التالي لوفاة ابيه الحكم، واجلس على كرسي الخلافة وله من العمر اثنا عشر عاماً تقريباً ، وبذلك قضي على معارضة الصقالبة واجتمعت السلطة بيد الحاجب جعفر بن عثمان ومحمد ابن ابي عامر، وهو يومئذ مدير الشرطة بقرطبة وشاركهما السلطه ام الخليفة الطفل السيدة ((صبح)) من وراء الستار ·واصبحت ذات نفوذ واسع في القصر(٩٢)

كان محمد بن ابي عامر، من اصل عربي عريق ، يرجع نسبه الى جده عبد الملك بن عامر المعافري ، اول من دخل الاندلس مع موسى وطارق، واشتهر بشجاعته وحسن بلائه ، ونزلت اسرة بني عامر بالجزيرة الخضراء، واشتهرت عائلتهم بالعلم والوجاهة، فلما ولد محمد وفد على قرطبة للدراسة ، فبرع بالادب والشريعة ثم عينه الخليفة الحكم مشرفاً لادارة املاك ولده عبد الرحمن بن صبح ، فلما توفي عبد الرحمن طفلاً وجاء اخوه هشام المؤيد ، عين مشرفاً لاملاكه ايضا ، وقد اعجبت صبح بذكائه وحسن تدبيره ثم تقدم محمد بن ابي عامر بمناصب القصر والدولة حتى صار مديرا للشرطة، فلما توفي الحكم ، رقي الى رتبة وزير ، وبذلك شارك الحاجب جعفر بن عثمان بصلاحياته ، وابتدأ بذلك الصراع بين الرجلين : الحاجب والوزير ، غير ان ابن ابي عامر كان الاقوى، وصار هو السيد المطلق بالدولة ، وفوضته السيدة صبح الوصية على ابنها كل امور الدولة .(٩٣)

لقد عمل محمد بن ابي عامر على الانفراد بالسطلة الكاملة ، ولذلك صرف الخليفة الفتى هشام المؤيد بالله الى اللهو والترف، وحجره في القصر ومنع اتصاله باحد بشكل كامل،

وعمل على التخلص من نفوذ الصقالبة بالقصر وقد بلغ عددهم اكثر من الف، لأنهم كانوا يضمرون له الشر لتعاونه مع الحاجب لافشال خطتهم بخلع هشام منذ البداية ، فنجح في القضاء عليهم واخرجهم من القصر وفرقهم في النواحي ، وهلك الكثير منهم ، ثم تقلد الحاجب جعفر امر القصر بدلا عنهم ، ثم عمد ابن ابي عامر على مد سلطته الى الجيش ، فاستغل فرصة اعتداء القشتاليين على بلاد المسلمين وعرض على الحاجب جعفر ارسال الجيوش لصدهم، فاستجاب الحاجب لهذا الطلب وسير الجيش واسند قيادته الى محمد ابن ابي عامر وخرج من قرطبة سنة ٣٦٦ هـ واوقع بالمعتدين ثم عاد الى قرطبة محملاً بالغنائم والاسرى، وقد حقق ذلك لابن ابي عامر المحبة والاحترام لدى الجند هناك وعامة الشعب في قرطبة ، ثم ازداد امره عندما خرج في غزوته الثانية الى الثغر حيث منحه الخليفة لقب ((ذي الرياستين)) فاخترق اراضي قشتالة، واستولى على كثير من الحصون والقلاع وعاد الى قرطبة بالغنائم الكثيرة والسبي، وتمكنت منزلته لدى الخليفة والجند والشعب على حساب الحاجب جعفر بن عثمان وخاصة عندما عزل الخليفة محمد بن الحاجب من ولاية قرطبة واسندها الى ابن ابي عامر، وبذلك تم لابن ابي عامر السيطرة على حكم المدينة والجيش ، فضبط الامن وقمع الاضطراب والفتنة ، واصدر الخليفة امراً بعزل الحاجب جعفر بن عثمان وقبض عليه وعلى ولده سنة ٣٦٧ هـ ووضعت اليد على اموالها ، ونكل بها وباصحابها ابن ابي عامر ، وظل جعفر سجيناً في قرطبة حتى توفي سنة ٣٧٢ هـ وقيل بل قتل بتدبير من ابن ابي عامر .(٩٤)

هكذا تمكن محمد بن ابي عامر من الانفراد بالسلطة الكاملة على الدولة الاموية بالاندلس ، بعد ان تخلص من خصومة ومنافسيه واحداً بعد الاخر ، وجعل الخليفة هشام المؤيد بالله ، محجوزاً لديه طيلة حكمه ، كما انه جد في مطاردة كل من يخشى بأسه من بني امية او غيرهم من زعماء العرب ، وقضى على كل من يراه يصلح للولاية او الرياسة ، كل ذلك كان تحت حماية الخليفة هشام وبمساندة امه ((صبح)) وفي ذلك قال بعض الشعراء هناك :

ابني امية اين اقمار الدجى ... منكم واين نجومها والكوكب

غابت اسود منكم عن غابها ... فلذاك حاز الملك هذا الثعلب

اهتم بعد ذلك ابن ابي عامر بتنظيم الجيش، وانشأ فيه فرقاً جديدة من المرتزقة وبذل لهم الاجور السخية، وغير انظمة الجيش، وقدم رجالاً من المغرب العربي وأخر زعماء العرب من المشرق واقصاهم عن مناصبهم، وفرق جند القبيلة الواحدة وكان العرب يعملون منذ الفتح بنظام جند القبيلة الواحدة، ولم يبق للخليفة سوى الاسم ، ومازال الامر على ذلك خلال حكم ابناء الحاجب المنصور حتى خلع الخليفة هشاماً المؤيد سنة ٣٩٩ هـ .(٩٥).

الفصل الخامس

الدولة العامرية وزوال الخلافة الاموية في الاندلس

اولا : الدولة العامرية :

١ ـ محمد بن ابي عامر :

تطلع محمد بن ابي عامر الذي استأثر بالسلطة الفعلية على الخلافة الاموية بالاندلس، الى ممارسة رسوم الخلافة الشرعية، ورغب في ان يتشح بحلل الملك وثيابه ويتوج سلطانه الفعلي بمظاهر العظمة والكبرياء، واراد ان يتخذ له داراً ومكاناً مستقراً ليمارس فيه سلطاته وهيبته بعيداً عن قصر الخلافة، وليضمن الابتعاد عن خصومه وحساده ، لذلك كله قرر ان يؤسس له مدينة جديدة ، فاختار مكانها الى الجنوب الشرقي من العاصمة قرطبة على ضفة نهر الوادي الكبير واختطها سنة ٣٦٨ هـ وسماها : ((الزاهرة)) وبنى فيها قصراً ملكياً فاخراً ، ومسجداً رائعاً ، ودواوين كثيرة للدولة ، والادارة والحكم ، وكذلك مساكن للحراس والخدم ، ونقل اليها خزائن المال والسلاح، وادارات الحكم، وبني حول المدينة سوراً منيعاً، وكان العمل قد استمر فيها زهاء عامين ، ثم اقطع الوزراء وكبار رجال الدولة الاراضي حولها ليبنوا فيها دورهم ومنازلهم، واقيمت فيها الشوارع والاسواق الفسيحة ،حتى اتصلت مبانيها وشوارعها بمدينة قرطبة ، ثم انتقل ابن ابي عامر اليها سنة ٣٧٠ هـ في حين بقي الخليفة هشام المؤيد محجوراً عليه في قصر قرطبة ومنع اتصال الناس به ومنع المسؤلين من ذلك ايضا، وادعى ابن ابي عامر، ان الخليفة فوضه امور المملكة وانصرف الخليفة لشؤن العبادة والاعتكاف ، وبذلك اهمل الناس الخليفة واهملت الخلافة وتحولت الانظار الى الزاهرة وقائدها محمد بن ابي عامر .(٩٦)

غير ان السيدة صبح، استاءت من انفراد ابن ابي عامر بالسلطة وحجره لابنها الخليفة هشام المؤيد، فعمدت الى اثارة الحماس في نفس ولدها الخليفة ليثور لكرامة الخلافة وينفرد بالامور، وعمدت الى تجميع خصوم ابن ابي عامر حولها محاولة اسقاط ابن ابي عامر وعزله عن السلطة، مستغلة بذلك سوء علاقة ابن ابي عامر بصهره غالب بن عبد

الرحمن صاحب مـدينـة سـالم ومـا كان من نشوب الحرب بينهما والتي قتل خلالها غـالب ومعه عدد من حلفائـه الاسبـان في الثغر الاعلى من البلاد ، وذلـك سنـة ٣٧١ هـ (٩٧) ٠ وكان ابن ابي عامر لما قتل غالباً، صلبه على باب القصر بقرطبـة وصلب راسـه على بـاب الزاهرة ولبث ذلك دهراً حتى سنة ٣٩٩ هـ حيث انزل يوم هدم الزاهرة٠

ثم قام ابن ابي عامر بعد القضاء على صهره غالب صاحب مدينة سـالم ، بسلسلـة من الغزوات الشهيرة نحو بلاد الفرنجة من الممالك الاسبانيـة النصرانيـة فغزا مملكـة ليون سنـة ٣٧١ هـ وامعن في قراهـا وضيـاعهـا ٠ وفتـح من بـلاد الاعـداء الكثير ، فـامتـلأت بـلاد الاندلس بالغنائم والرقيق منهم٠ وقد بلغ عدد غزواته اثنين وخمسين غزوة مـابين صـائفـة وشاتية٠

ولما تحققت لابن ابي عامر هذه الانتصارات ، اتخذ سمة الملك، وسمى نفسه ((الحـاجب المنصور)) وامر بالدعاء لـه على المنـابر، ونقش اسمـه على السكـة، واخـذ الوزراء ورجـال الدولة يقبلون يديه عند المثول امامه، وكتب الكتب والاوامر بـاسمـه ((الحـاجب المنصور ابي عامر محمد بن ابي عامر)) ٠ ولم يبق للخلافة الاموية سوى الاسم ٠(٩٩)

وصـادف في هـذه الفترة، ان سـاءت الاحوال في مملكـة ليـون الاسبـانيـة واضطربت الامور فيها ، ونشطت الثورة في كثير من اقاليمها ضد ملكها الاسباني فـاضطره الامر الى طلب المسـاعـدة من الحـاجب المنصور العـامري المتغلب على امور الانـدلس الاسـلاميـة، وعرض عليه ان يعترف بطاعته ان هو ساعـده ضـد الثوار ، فقبل المنصور عرضـه وامـده بالجيوش التي مكنته من اخضاع سائر الانحاء في مملكة ليون ويوطد حكمه فيها ، وبذلك صارت مملكة ليون الاسبانية لاول مرة تـابعـة لحكومـة قرطبـة تؤدي لهـا الجزيـة وتـأتمر بأوامرها، وابقى الحاجب المنصور فيها حامية كبيرة من المسلمين ٠(١٠٠)

ثم وجه الحاجب المنصور اهتمامه نحو شرق الاندلس ، فقاد جيشاً بنفسـه سنـة ٣٧٤ هـ وسار باتجاه غرناطة، ثم اتجه شرقاً الى تدمير ومرسيـة ، ثم سـار المنصور بعـد ذلـك شمالاً حيث قصـد برشلونـة ، وكانت اعظم ثغور الانـدلس الشماليـة الشرقيـة، وكان الفرنج قـد استردودها من المسلمين منذ سنة ١٨٥ هـ ايام الحكم بن هشام، واقاموا بها امـارة قطلونيـة، فاخترق المنصور بجيشـه قطلونيـة وهزم قوات اميرهـا الفرنجي، واقتحم برشلونـة ودخلهـا صيف سنـة ٣٧٥ هـ، وغنم واسر الكثير من اهلهـا ثم عـاد الى قرطبـة بعـد ان دمر قـوى الاسبان هناك٠

وما ان فرغ الحاجب المنصور من حروبه مع الممالك الاسبانية بالاندلس ، حتى وجـه اهتمامه الى المغرب العربي لان العزيز بالله الفاطمي عاود الاهتمام بهذه البلاد وسار عامله على تونس بقواتـه الى المغرب فـاستـولى على مـدينـة فـاس سنـة ٣٦٩ هـ ، وفر معـارضـو

الفاطميين في تلك البلاد الى الشمال واعتصموا بمدينة سبتة وبعثوا الى الحاجب المنصور يطلبون المساعدة، فارسل لهم جيشاً حاول عبثاً صد تقدم قوات الفاطميين الذين استولوا على المغرب كله، ولم يبق بيد خصومهم انصار بني امية بالاندلس سوى بعض الاقسام الشمالية من هذه البلاد. ثم ارسل المنصور جيشاً الى المغرب لمحاربة الحسن بن كنون زعيم الادارسة الذي جاء الى هذه البلاد بدعم من الخليفة الفاطمي سنة ٣٧٣ هـ، فعبر جيشه البحر الى سبتة، ودارت معارك عنيفة بين الجانبين اضطر بعدها زعيم الادارسة الى طلب الصلح والامان فاجيب الى طلبه ونقل الى قرطبة ، لكنه قتل في الطريق بتدبير من الحاجب المنصور وجيء براسه الى قرطبة سنة ٣٧٥ هـ، وبذلك انهارت دعوة الادارسة في المغرب الاقصى بعد ذلك . وندب المنصور لحكم المغرب الوزير الحسن بن احمد بن عبد الودود السلمي ومنحه سلطة مطلقة هناك، فسار الوزير الى المغرب سنة ٣٧٦ هـ ونزل مدينة فاس وضبط شؤن البلاد .(١٠١).

ثم عاود المنصور سياسته في غزو الممالك الاسبانية في شمال الاندلس، فغزا مملكة ليون ، ثم سار الى شمال البرتغال ، ثم سار الى مدينة بنبلونة عاصمة مملكة ناڤار، ثم سار الى برشلونة وذلك في الاعوام ٣٧٧ ، ٣٧٨ هـ، ثم غزا الثغر الاعلى في العام التالي لذلك، وقاعدته سرقسطة ، وكان يحكمها بنو هشام التجيبي، وقد تحالف اميرهم عبد الرحمن بن مطرف التجيبي مع جيرانه الحكام الاسبان في ناقار وقشتالة، ثم تحالف اخيراً مع عبد الله ابن الحاجب المنصور بن ابي عامر، الذي كان ناقماً على ابيه لانه يفضل عليه اخاه عبد الملك ويقدمه عليه، وكان عبد الله قد ذهب الى سرقسطة ونزل عند صاحبها عبد الرحمن وهو متغير النفس على ابيه، فاتفق عبد الله وعبد الرحمن التجيبي على الايقاع بالحاجب المنصور، واقتسام الاندلس بينهما ، فيكون الثغر الاعلى لعبد الرحمن وما جاوره، وتكون قرطبة لعبد الله، وايدهم كثير من خصوم الحاجب المنصور، ولما علم المنصور بهذه المؤامرة خرج غازياً الى اراضي قشتالة، وعمل الحيلة في استدعاء ولده عبد الله، وصاحب سرقسطة عبد الرحمن التجيبي ، فقبض على عبد الرحمن وامر بقتله واستدعى ولده عبد الله الى معسكره ، غير ان عبد الله مالبث ان فر والتجأ الى معسكر الاعداء وانحاز الى جانب امير قشتالة الاسباني فلما هزم جيش قشتالة وطلب اميرهم الصلح ، اعيد عبد الله بن الحاجب المنصور فضرب عنقه سنة ٣٨٠ هـ، وبعث المنصور برأس ولده عبد الله مع كتاب الفتح الى الخليفة، وكان عمر عبد الله يوم اعدامه ثلاثة وعشرين عاماً .(١٠٢)

لم يكتف الحاجب المنصور بما ال اليه من النفوذ والسلطان واتخاذه لقب الحاجب المنصور، وتلقب بالقاب الملك بصورة رسمية وخطب له على المنابر وغيرها ،بل اراد ان يحقق المزيد في سبيل تدعيم صفته الملوكية، فقرر سنة ٣٨١ هـ ان يرشح ولده عبد الملك لولاية العهد من بعده، ولم يتجاوز عمره الثامنة عشرة ، واسند له صفة الحجابة والقيادة العليا، واقتصر هو على اسم ((المنصور)) وقلد ولده وظيفة الوزارة، ثم اصدر سنة ٣٨٦ هـ امره بان يخص بلقب السيادة دون غيره في المخاطبات ، وابلغ ذلك الى سائر اهل الدولة، وخوطب المنصور بعد ذلك ((بالملك الكريم)) وكان المنصور يهدف من وراء ذلك، ان ينتزع الخلافة بصورة رسمية بعد ان مارس سماتها بصورة فعلية، وان يؤسس لنفسه ولاولاده من بعده دولة جديدة تكون ((الدولة العامرية)) بدل الدولة الاموية، كل ذلك كان يجري والخليفة محجور والشعب طائع .(١٠٣)

وعندما استشار المنصور اصحابه فيما ينوي القيام به من اعلان الخلافة له ولدولة بني عامر، عارضه بعضهم واشاروا اليه بمخاطر ذلك، وانه لايحتاج الى مثل هذا الاجراء مادام هو المسيطر الحقيقي على الدولة. ولذلك تريث المنصور وتحوط لهذه القضية، وقد علم بنية السيدة صبح ومحاولتها التآمر مع اعدائه عليه وتحريض ولدها لاستعادة سلطانه على الدولة، فعمل المنصور على اضاعة الفرصة عليها بان نقل خزائن القصر والدولة، وتركها دون اموال، ثم سار بموكب عظيم الى القصر حيث يقيم الخليفة هشام المؤيد وابلغه بما كانت امه تدبر، فتبرأ الخليفة من هذه المؤامرة، وقبل المنصور عذره، فعمل المنصور للخليفة موكباً مهيباً داخل قرطبة وهو في سمة الخلافة العظيمة وركب الى جانبه وامامه ولده عبد الملك، وسار خلفه الوزراء والامراء والجند والحرس وغيرهم. وخرج الموكب في شوارع قرطبة والشعب مستبشر بذلك، فكان يوماً مشهوداً،وبذلك افشل المنصور خطط السيدة صبح، وانزوت بعيداً عن السياسة حتى وفاتها حوالي سنة ٣٩٠ هـ/ سنة ١٠٠٠م .(١٠٤)

وكانت اخر غزوة خرج بها المنصور الى قشتالة سنة ٣٩٢ هـ/ سنة ١٠٠٢ م، والتقى مع الاعداء في ((قلعة النسور)) ووقعت بينهما مناوشات، ثم اشتبك الفريقان بمعركة حاسمة، اصيب المنصور خلالها بجراح عديدة، وامر قواته بالانسحاب ليلا حتى لايطارده الاعداء ثم اشتد به الالم، فحمل الى مدينة سالم، وهي معقل الثغر المنيع، وكان المنصور

يتمنى ان يموت خلال الغزوات مجاهدا في سبيل الله، وكان دائماً يحمل معه كفنه كلما خرج غازيا، وهو مصنوع من غزل بناته اشتراه من خالص ماله الموروت، فاستجاب الله لدعوته، فما كاد يحل بمدينة سالم حتى شعر بدنو اجله، فاستدعى ولده عبد الملك ، والقي اليه نصائحه الاخيرة وتوفي في رمضان ليلة السابع والعشرين من سنة ٣٩٢ هـ، ودفن في صحن قصر مدينة سالم بناء على وصيته، بعد حكم دام سبعة وعشرين عاماً ، وكان وعمره اربعة وستين عاماً، ونقش على قبره مايأتي (١٠٥)

اثاره تنبيك عن اخباره	حتى كانك بالعيان تراه
تا لله لايأتي الزمان بمثله	ابدا ولايحمي الثغور سواه

وقد وصف المنصور، بانه عبقري فذ، وطموح نابغ ، شق طريقه الى الرياسة والسلطان بروية وحكمة، بدأ حياته بالدراسة والمعرفة بالعلم، ثم برز في الادارة والسياسة، شغف بالجهاد في سبيل الاسلام، وكان يتولى قيادة جيوشه بنفسه، واشترك شخصياً في معظم المعارك، واعتمد في ادارة الدولة على اقدر الرجال واكفأهم في عصره، وكان على صرامته وقوته، كريماً وافر الجود والبذل، يصل الفقراء وذوى الحاجات، وكان متواضعاً ورعاً شديد الايمان واليقين، يخشى ربه ويخاف عقابه،وكان من اخص جلسائه الادباء والعلماء.

٢ - عبد الملك بن الحاجب المنصور سنة ٣٩٢ هـ :

لما توفي الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر بمدينة سالم سنة ٣٩٢، ولي بعده ابنه عبد الملك الملقب بالملك المظفر، وكان معه في غزوته تلك، فبادر عبد الملك بالعودة الى العاصمة قرطبة، وترك اخاه الاصغر عبد الرحمن ليقوم بمراسم دفن ابيهما بمدينة سالم، ثم يعود بعد ذلك مع الجيش الى قرطبة، فلما وصل عبد الملك الى قرطبة، سار الى قصر الخلافة حيث يقيم الخليفة المحجور هشام المؤيد واستصدر منه المرسوم بتوليته الحجابة مكان ابيه، وجلس للحكم بمدينة الزاهرة وامر بقراءة المرسوم بالمسجد الجامع في قرطبة، ثم انفذ الكتب الى مختلف الاقاليم بالاندلس والمغرب، واستتب الامر له، واستقبله الناس بالرضى، وسار كسيرة ابيه في الحكم .(١٠٦)

وكان عمر عبد الملك لما ولي امر الدولة العامرية بالاندلس ثمانية وعشرين عاماً ويكنى ابا مروان، ويلقب: سيف الدولة ، والمظفر بالله، وكانت له خبرة في السياسة والادارة حيث كان قد اشترك مع ابيه في كثير من غزواته، وفي ادارة كثير من امور

الدولة نيابة عنه، وكان عفيفاً متواضعاً وشجاعاً. قام عبد الملك بالعديد من الاعمال الحيدة التي اكسبته حب المواطنين، كان من بينها اقدامه على تخفيض الجباية المقررة على سائر الناس، وفي سائر بلاد الاندلس، واصل سياسة ابيه الحاجب المنصور تجاه المغرب والابقاء على ولائهم للدولة العربية بالاندلس، ولدولتهم العامرية بشكل خاص، ودعي له على منابر المغرب بعد ابيه، وحملت الاموال والهدايا من هناك الى قرطبة .(١٠٧)

ثم عاود عبد الملك العمل بسياسة ابيه تجاه الممالك الاسبانية بالاندلس، فخرج سنة ٣٩٣ هـ على راس جيش من مدينة الزاهرة، حتى بلغ طليطلة ومنها الى مدينة سالم حيث وافته الوفود والقوات الحليفة ، ثم سار نحو الثغر الاعلى فاقام في سرقسطة للراحة، ثم غادرها الى الثغر الاسباني قاصدا امارة برشلونة واستولى على كثير من القلاع والحصون فيها واستولى على كثير من الغنائم والاسرى، ثم عاد عن طريق ماردة الى قرطبة، فاستقبله وجهاؤها واكابر العلماء فيها وعامة الناس بالترحاب والاستبشار. وسار الى قصر الخليفة هشام المؤيد، الذي استقبله احسن استقبال وخلع عليه فشكره عبد الملك المظفر وقبل يده، ثم جلس في اليوم التالي بقصره بالزاهرة، واستقبل الوفود والناس لهذا النصر العظيم .(١٠٨)

ثم غزا الملك المظفر ليون سنة ٣٩٥ هـ فقتل وسبى وعاث في بلادهم كثيراً، وواصل زحفه حتى بلغ جيليقية واستولى على كثير من الغنائم، ثم خرج مرة اخرى سنة ٣٩٦ هـ الى بنيلونة عاصمة ناڤار، فصار الى سرقسطة ثم دخل ارض العدو باتجاه جبال البرنية، واوقع بالعدو خسائر كبيرة، لكنه عاد الى قرطبة بعد ان ساءت الظروف المناخية وقتها وخشي ان يهلك جنده من جراء ذلك ثم خرج مرة اخرى سنة ٣٩٧ هـ من قرطبة غازيا للمرة الخامسة قاصداً امير قشتالة وسميت هذه الغزوة (غزوة النصر) لأن عبد الملك واجه جميع ملوك دول الاسبان متحالفين ضده في هذه المعركة، واشتبك معهم في معركة عظيمة عند مدينة (قلونية) وهزمهم، وعاد بجيشه الى قرطبة فاستبشر الناس بذلك كثيراً لما ساورهم من خوف من اجتماع جيوش الاسبان ضد المسلمين في هذه المعركة واتخذ بعد ذلك لقب (المظفر بالله) .(١٠٩).

لما عاد عبد الملك من عزوة النصر هذه، دخل على الخليفة هشام المؤيد والتمس منه ان يمنحه لقب (المظفر) وان ينعم على ابنه الصغير محمد لقب (ذي الوزارتين) وان يكني ابا عامر لقب جده وكان الخليفة يقيم وقتها عند الحاجب بقصر الزاهرة، فاجاب الخليفة طلبه واصدر المرسوم الذي اراده عبد الملك وذلك سنة ٣٩٨ هـ، فاذاع عبد الملك المرسوم على الاقاليم وامرهم بالعمل بموجبه، وقيل انه كان بخط الخليفة هشام المؤيد، وفيما يلي بعض نصوصه :(١١٠)

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من الخليفة هشام بن الحكم المؤيد، اتم الله عليك نعمه والبسك عفوه وعافيته، ... من صنع الله الجسيم، وفضله العظيم، ... ان سمينـاك المظفر، فنسأل الله تعالى ... ان يعرفنا اياك بركة هذا الاسم، وكذلك اجناك التكني في مجالسنا ومحافلنا، وفي الكتب الجارية منك واليك، في اعمال سلطاتنا، ... وكذلك ماشرفنا ولدك الفتى محمد بالانهاض الى خطة الوزارتين ... انه ولي قادر عزيز قاهر).

ثم خرج عبد الملك بجيشه سنة ٣٩٩ هـ/ سنة ١٠٠٨ م في غزوته الاخيرة، فلما بلغ مدينة سالم اشتد به المرض، ودب الاضطراب في جيشه، فاضطر الى العودة الى قرطبة وهو مريض حيث وافاه الاجل عد ذلك بقليل، ولذلك سميت هذه الغزوة، بـ (غزوة العلة) لما اصاب عبد الملك خلالها من مرض وعلة، وقيل انه توفي مسموماً بشراب دسه له اخوه عبد الرحمن (١١١) . وكان حاضراً وفاته مع كبار القادة والدولة.

وكان عبد الملك، قد اعتمد في تدبير الدولة على خاصته من اكابر الفتيان من بني عامر، ومنحهم ثقته وكثيراً من سلطاته، في حين ظل الخليفة هشام المؤيد محجوزاً عن ممارسته سلطاته لكن حاله صار احسن مما كان عليه في عهد الحاجب المنصور وقد ساءت احوال الدولة في عهد عبد الملك الاخير وكذلك احوال العامة وبخاصة انه كان بعيداً عن العلم والمعرفة والادب، وجمع حوله الصقالبة والاعاجم وغيرهم وابعد العرب، وقد اضطر ذلك بعض اعوانه. الى تدبير محاولة لانهاء حكم بني عامر وعزل الخليفة هشام لكن هذه المحاولة احبطت من قبل عبد الملك قبل تنفيذها.

٣ ـ عبد الرحمن بن الحاجب المنصور، ونهاية الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ :

تولى عبد الرحمن امر الدولة العامرية بعد وفاة اخيه عبد الملك وجلس على العرش سنة ٣٩٩ هـ، بقصر الزاهرة، ومثل امام الخليفة هشام المؤيد الذي خلع عليه وقلده الحجابة ويكنى عبد الرحمن (ابو المطرف) وكان عمره حينذاك خمسة وعشرين عاماً، وامه اميرة من نافار اسلمت بعد ان تزوجها الحاجب المنصور، وقد انصرف عبد الرحمن الى اللهو والمجون، وصرف ذلك الناس عنه، وسار على سياسة اخيه . وابيه في الحجر على الخليفة هشام المؤيد، واستصدر امرا من الخليفة ان يسمى (الحاجب المأمون ناصر الدولة ابو المطرف حفظه الله) وابلغ ذلك الى جميع انحاء الدولة، وكان عبد الرحمن يخطط بهذه الاعمال الى انتزاع الخلافة من هشام المؤيد ويقضي نهائياً على تراث بني امية في تلك الديار وينقل رسوم الخلافة الى اسرة بني عامر، ولذلك عمد عبد الرحمن الى التقرب من الخليفة هشام المؤيد والتودد له وعرض عليه ان يوليه العهد بالخلافة من بعده، فاستجاب الخليفة هشام لطلب عبد الرحمن ووافقه على ان يكون ولياً للعهد رضاءاً اوكراها، وجرى

في اليوم التالي لذلك اليوم احتفال اعلان ولاية العهد بحضور الخليفة هشام وعبد الرحمن نفسه وصدر المرسوم بذلك وشهد الشهود عليه .(١١٢).

لقد فجر حصول عبد الرحمن على ولاية العهد، ماكان يختبئ من عوامل الثورة والتمرد ضد بني عامر ودولتهم الذين استبدوا بالامور، وحكموا العامة والخاصة على هواهم، حتى تطاولوا باعناقهم الى الخلافة، خاصة ، وقد استند حكمهم القاهر، على الصقالبة وغيرهم من العناصر غير العربية، ولذلك عم الاستياء الدولة، وتمهد السبيل للقيام بالثورة، فتوحدت قوى المعارضة ضد عبد الرحمن بن الحاجب المنصور تقودها: الذلفاء والدة عبد الملك بن الحاجب المنصور، وكانت تعتقد بشكل اكيد ان ولدها عبد الملك قتل مسموما بتدبير اخيه عبد الرحمن، وتعاونت مع احد زعماء بني امية هناك هو : محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، فلما نشطت هذه الحركة، واجتمع بنو امية ورائها، بايعوا محمد بن هشام سرا بالخلافة وايدهم معظم العرب في هذه البيعة وقد استغل الثوار فرصة خروج عبد الرحمن بن الحاجب المنصور للغزو، فهاجموا قصر قرطبة وقتلوا صاحب المدينة عبد الله بن ابي عامر وذلك في شهر جمادي الاول سنة ٣٩٩ هـ، ثم اقتحموا سجن العامرية واخرجوا من فيه، ثم دخل محمد بن هشام القصر، وبعث الى الخليفة هشام المؤيد وطلب منه ان يخلع نفسه، فاستجاب هشام المؤيد لطلبه وخلع نفسه، واعلن محمد بن هشام خلافته وتمت له البيعة وتلقب (بالمهدي) وكان ذلك صبيحة يوم ١٧ جماد الاخر سنة ٣٩٩ هـ / سنة ١٠٠٩ .(١١٣)

ولما وصلت الاخبار الى عبد الرحمن بن الحاجب المنصور، وهو في طليطلة في غزوته، وهي تفيد باستيلاء المهدي على قرطبة والزاهرة بما فيها من الاموال والذخائر فضلا عن هدم اسوارها، عاد الى قرطبة، واعلن في الحال تنازله عن ولاية العهد، وناشد الناس نصرة الخليفة هشام المؤيد، ويدعوهم الى رفض خلافة المهدي، ولما اقترب عبد ارحمن من قرطبة تفرق عنه اكثر جنده، وعندما حاول الفرار، تبعه اصحاب الخليفة المهدي والقوا القبض عليه وقتلوه وحملوا راسه الى المهدي، وحمل جسده معروضا على بغل، ثم صلبت الجثة والراس على خشبة طويلة عند باب القصر، وذلك في رجب من سنة ٣٩٩ هـ. وبذلك انهارت الدولة العامرية في السنة التي تولى فيها الامر عبد الرحمن وبسرعة غير متوقعة.

ثانيا : نهاية الخلافة الاموية في الاندلس وقيام دولة بني حمود

لم يبق للدولة والخلافة الاموية في الاندلس من سلطان او نفوذ، في ظل الدولة العامرية، سوى الاسم، فقد ظل الخليفة هشام المؤيد محجوراً مدة تزيد على ثلاثة وثلاثين عاماً، ثم كانت الفتنة والفوضى التي سادت الدولة الاموية والعامرية بوجه

خاص، والاندلس بوجه عام خلال حكم عبد الرحمن بن الحاجب المنصور الذي لم يبلغ السنة، وقد دفع ذلك البلاد الى الوقوف على حافة الانهيار والضياع بعد ان انهارت الحكومة المركزية وتمزقت وحدة الجيش والشعب هناك، وواجهت الاندلس المحنة الكبرى، محنة سقوط الدولة العربية الموحدة، وقيام دول الطوائف وبداية التراجع العربي الشامل من ارض الاندلس الجميلة

وفيما يأتي خلفاء بني امية في ايام دولتهم الاخيرة في الاندلس:

١ - محمد بن هشام الملقب (بالمهدي) سنة ٣٩٩ هـ :

جلس محمد بن هشام الملقب بالمهدي، على كرسي الخلافة الاموية بالاندلس سنة ٣٩٩ هـ بعد انقلابه المدبر على الدولة العامرية والخليفة هشام المؤيد، وقضى بذلك على ازدواجيه السلطة بين الخليفة وسلطة الحاجب، وسارعت القوى المؤثرة هناك للاستئثار بالنفوذ، ومنها : عرب المشرق والامويون، وعرب المغرب وفتيان بني عامر والصقالبة والمولدون وغيرهم . في حين كانت العامة مع الخليفة الجديد، الذي كان شخصية مغامرة تحركه النزعات والاهواء، وبالغ في تلبية رغباته وشهواته والمجاهرة بها الى الحد الذي اثار الكثيرين عليه من اصدقائه بعد اعدائه وخصومه، واكثر من ذلك انه حجر الخليفة هشاماً المؤيد، ثم اعلن وفاته، ودفن شخصاً مكانه باحتفال رسمي في شعبان من سنة ٣٩٩ هـ .(١١٤)

ولما اساء محمد المهدي السيرة، واوقع بالكثيرين من الناس الذين لم يوافقوه على سلوكه الماجن، اعتقلهم وعاقبهم ومن جملتهم ولي عهده سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، فاستوحش اهل الاندلس منه وقصدوا هشام بن سليمان بن عبد الرحمن **الناصر**. عم ولي العهد، وبايعوه بالخلافة ولقبوه (بالرشيد) وذلك في شوال سنة ٣٩٩ هـ، وسار الثوار الى القصر وحاصروا الخليفة محمداً المهدي ، فخرج اليهم بقواته وجرت معارك بين الفريقين يومين متتاليين انتصر فيها محمد المهدي وقبض على هشام الرشيد وعدد من اصحابه وقتلهم جميعاً .(١١٥)

غير ان سليمان بن الحكم، ولي عهد محمد المهدي، استطاع ان يهرب من معتقله بعد هزيمة هشام بن سليمان، فاجتمع حوله مؤيده وخاصة عرب المغرب، ورشحوه للخلافة بدل محمد المهدي، ولقبوه (بالمستعين بالله) سنة ٤٠٠ هـ ، وطلب مساعدة امير قشتالة واوقعوا بقوات وانصار المهدي، ثم سارت قوات المستعين بالله الى قرطبة، وجرى قتال بين قواته وقوات الخليفة المهدي هناك، فحلت الهزيمة بقوات الخليفة المهدي، وقد اضطر ذلك الى استخدام الخداع ضد قوات المستعين فبادر الى اظهار الخليفة الحقيقي هشام

المؤيد الذي كان محجوراً لديه وادعى انه لم يمت وان الذي دفن مكانـه كان رجلاً يهوديـاً او نصرانياً، واخرجه واجلسه في واجهة القصر، واعلن ان المؤيد هو الخليفـة الشرعي، وان المهدي نائبه فقـط، غير ان الثوار تمسكوا بخلافـة سليـمان المستعين بـاللـه، ولم يقبلوا هـذه الحيلة، فاضطر المهـدي عنـدهـا الى مغـادرة القصر سراً الى طليطلـة، في حين تمكن الثوار وسليمان المستعين بـاللـه من دخول القصر وذلـك في ١٥ ربيع الاول سنـة ٤٠٠ هـ، وصـار خليفة ، واحتجز هشام المؤيد في القصر ايضا.(١١٦) .

جمع محمد المهدي اعوانه بطليطلة، ومعهم حلفاؤهم من النصـارى، وسـاروا الى قرطبـة، فخرج اليهم سليمان المستعين بالله، واقتتل الفريقان قتالا شديداً، فانهزم سليـمان، وفر الى شاطبة، ودخل محمد المهدي قرطبة وجدد البيعة لنفسـه، ثم دبر بعض الغلمـان العـامريين بـالقصر مؤامرة، فقتلوا محمـداً المهـدي وطـافوا برأسـه في قرطبـة، واخرجوا هشـام المـؤيـد المحجور واجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه، وبذلـك استرد هشـام المؤيـد الخلافـة بعـد مضي اربع وثلاثين عاما من الحجر والاضطراب والفوضى .

٢ ـ هشام المؤيد يعود الى الخلافة سنة ٤٠٠ هـ :

عاد هشام المؤيد بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر الى الخلافة ثانية سنة ٤٠٠ هـ وصار الحكم في دولتـه الجـديـدة الى واضح العـامري، واستقر الامر لـه، غير ان سليـمان المستعين بالله واعوانه نازلوا قرطبة والزهراء وحصروهما، ودخلوا الزهراء واوقعوا باهلها وخربوها، وراسل واضح العـامري سليـمان وتودد لـه فلمـا بلغ خبره الى المـؤيـد قبض عليـه وقتلـه، وعظم الخطب على قرطبة بعد ان ضيق سليمان الحصار عليهـا ومعـه عرب المغرب، لكنهم فارقوها دون ان يتمكنوا من دخولها، ثم عاود محاصرتها واشتـد القتـال عليهـا حتى ملكهـا سليمان عنوة، واخرج المؤيد من القصر وحمل الى سليمان، ودخل سليمان قرطبـة سنـة ٤٠٣ هـ وبويع له بها بالخلافة .(١١٧)

٣ ـ سليمان بن الحكم سليمان بن عبد الرحمن الناصر سنة ٤٠٣ ـ ٤٠٧ هـ :

ملك سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين ، العرش الاموي بالاندلس سنـة ٤٠٣ هـ للمرة الثانية بعد الاولى سنة ٤٠٠ هـ، وبايعه الناس وخرج اهل قرطبة يسلمون عليه، فلما راى جموعهم انشد البيتين التاليين :(١١٨)

اذا ماراوني طالعاً من ثنية	يقولون : من هذا وقد عرفوني
يقولون لى اهلا وسهلا ومرحباً	ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

وكان سليمان اديبا وشاعراً، غير ان عرب المغرب تحكموا في دولتـه ولم يكن يقـدر على خلافهم لانهم كانوا عامة جنده، ولهم الفضل الاكبر في توليته، وقد ال امر الدولة الامو يـة الى الزوال، بعـد ان افترق شمـل الجمـاعـة، واستقـل في الاطراف كثير من الامراء، مثـل : بـاديس بن حبـوس في غرنـاطـة، والبرزالي في قرمـونـة، واليفرني في رنـدة، وهرزون في شريش، والفتى خيران العامرى في شرق الاندلس حيث ملك المرية واجتمع اليـه كثير من الاجنـاد وكان الفتى خيران لايؤيـد سليمـان بل كان من انصـار المؤيـد، وصـار الملـك في الاندلس في طوائف لاخرين من اهل الدولة مثل : ابن عباد باشبيلية، وابن الافطس في بطليوس،وابن ذي النون بطليطلـة وابن عـامر ببلنسيـة، وابن هود بسرقسطـة، ومجـاهـد العامري بدانية الجزائر .(١١٩)

وبذلك، حددت المرحلة الاخيرة من حياة الدولة الامو يـة بـالانـدلس وال امرهـا الى الزوال رغم المحاولات اليائسة لاستعادة مجدها من هؤلاء الخلفاء ، والله وارث الارض ومن عليها .(١٢٠)

٤ ـ دولة بني حمود العلوية ومقتل سليمان سنة ٤٠٧ هـ :

لما اضطربت احوال الاندلس على ماتقدم، كان علي بن حمود المنسوب الى الامـام علي بن ابي طالب، يقيم بمدينة سبتة، وكان اخوه القـاسم بن حمود بـالجزيرة الخضراء مستوليـا عليها ، وكان سليمـان قـد ولاهـا على سبتـة والجزيرة الخضراء، فطمع علي بن حمود بملـك الاندلس ، وراسل الفتى خيران يطلب مؤازرته ، ويقول له : ان المؤيد كان قد كتب له بولاية العهد والاخذ بثأره ان هو قتل ، فدعا الفتى خيران لعلى ابن حمود وحرض النـاس للخروج على سليمـان، واجتمع لخيران الكثير من المؤيـدين وكاتبوا علي بن حمـود بـالعبـور اليهم من سبتـة، فعبر ابن حمود سنـة ٤٠٥ هـ، ونزل مـالقـه، فجمعوا الجيوش وسـاروا الى قرطبة سنة ٤٠٦ هـ، وبايعوا علي بن حمود على طاعة المؤيد الاموي، فخرج اليهم سليمـان وعرب المغرب ونشب القتال على مقربة من قرطبة، فانهزم سليمان واصحـابـه واخـذ اسيراً الى علي بن حمود العلوي ودخل علي بن حمـود قرطبـة والقصر ودخـل معـه الفتى خيران، ومعهم سليمـان وابوه واخوه سنـة ٤٠٧ هـ ، فقتلهم ابن حمود، واستـولى علي بن حمـود على قرطبة، وبايعه الناس، واجتمع له الملك، ولقب المتوكل على الله، ولما لم يجدوا المؤيد حيـا خرج الفتى خيران من قرطبة واظهر الخلاف لابن حمود .(١٢١)

٥ ـ هشام المعتمد اخر خلفاء بني امية في الاندلس :

لما ملك بنو حمود قرطبة سنة ٤٠٧ هـ ، وقتلوا سليمان الاموي، كانوا قد ازالوا ملك بني امية من تلك الديار، غير ان بعض افراد البيت الاموى عادوا خلال حكم بني حمود الذي دام بالاندلس قرابة اربعين عاما، الى الحكم لمدد قصيرة، في الاوقات التي تشتد فيها المنافسة بين الزعماء العرب، من المشرق والمغرب ، وبين الصقالبة والاسبان خاصة بهدف الاستقلال بما لديهم من البلاد، وكان اخر هؤلاء الخلفاء الامويين هشام المعتمد بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ٠

فلما قطعت الدعوة بقرطبة عن يحيى بن علي بن حمود العلوي سنة ٤١٧ هـ، اجمع اهل قرطبة على خلع العلويين من حكم البلاد، لميلهم الى عرب المغرب دون عرب المشرق، وقرروا العمل على اعادة الخلافة للامويين بالاندلس، وكان راس هذه الدعوة، جهور بن محمد بن جهور، وراسلوا اهل الثغور والمتغلبين في البلاد، فاتفقوا معهم. وبايعوا ابا بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الاموي، في الثالث من ذي الحجة من سنة ٤١٨ هـ، ولقبوه (المعتمد بالله) وكان يقيم وقتها خارج قرطبة، ثم سار الى قرطبة فدخلها ثامن ذي الحجة سنة ٤٢٠ هـ ٠ لكنه مالبث ان خلع من الخلافة سنة ٤٢٢ هـ، فلما خلع هشام قام امية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، ودعا لنفسه بالخلافة، وبايعه كثير من العامة، في حين قال له بعض اهالي قرطبة: نخشى عليك ان تقتل في هذه الفتنة ، فان السعادة ولت عنكم بني امية٠

فقال امية : بايعوني اليوم واقتلوني غداً ٠ لكن اعيان قرطبة بعثوا له والي المعتمد بالله ، يأمرونهم بالخروج عن قرطبة، فودع المعتمد اهله وخرج الى حصن بجبل عند قرطبة، ثم اخرج منه، وحبس في حصن اخر، فاحتال في الخروج ليلا وسار الى سليمان بن هود الجذامي، فاكرمه وبقي عنده حتى مات في صفر سنة ٤٢٨ هـ، ودفن بناحية لاردة، وكان اخر ملوك بني امية بالاندلس ٠(١٢٢)

واما امية بن عبد الرحمن، فقد اختفى بقرطبة، فنادى اهل قرطبة بالاسواق والارباض: (ان لايبقى احد من بني امية بها، ولايتركهم عنده احد) فخرج امية فيمن خرج، وانقطع خبره مدة، ثم اراد العودة الى قرطبة، فعاد اليها طمعاً في ان يسكنها ويستقر بها، فارسل اليه اهل قرطبة وشيوخها من منعه عنها، وقيل : قتل وغيب ، وذلك في جمادى الاخر سنة ٤٢٤ هـ ، ثم انحل عقد الجماعة وانتشر، وافترقت البلاد بين اصحاب الاطراف والرؤساء، وتغلب كل انسان على شيء ، وصاروا مثل ملوك الطوائف ٠(١٢٣)

وعندما خلع هشام المعتمد من الخلافة علىٰ ماتقدم وزال حكم بني امية، اسقط ملوك الاندلس الدعوة للخلافة الاموية واستبدوا بالبلاد .(١٢٤)

ثالثا : اهمية الدولة الاموية في الاندلس :

لقد تميزت الدولة الاموية في الاندلس باهمية كبرى لاتجاريها اهمية في تلك الديار ولا بالعالم الاسلامي اجمع. فلقد اشاد كثير من المؤرخين بهذه الدولة واهميتها ومكانتها بالنسبة للعرب والمسلمين على حد سواء، ومنهم ابن حزم الذي قال : (ان دولة بني اميه في الاندلس ، كانت انبل دول الاسلام، وانكاها في العدو، وقد بلغت من العز والنصر مالا مزيد عليه) .(١٢٥)

هذه الدولة هي التي اقامها واحد من امراء بني امية، هو عبد الرحمن الداخل ابن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقب (صقر قريش) بمفرده بعد ان خلص الى الغرب، وجاز البحر بعد ان جاز القفر، وبلغ الاندلس سنة ١٣٨ هـ اثناء خلافة ابي جعفر المنصور، ونزل بساحل المنكب واجتمع اليه القوم حتى اقام الدولة الاموية هناك .(١٢٦)

وقد ترك الامويون بالاندلس، تراثا خالداً واثارا عظيمة، مازالت بقاياها شامخة تتحدى العدى. وهي تعبر عن ارادة العرب وعزمهم وعزمهم وحسن تدبيرهم وقوة ومضاء سياستهم، لتفتح الطريق امام امه العرب اليوم لتسلك ذات الطريق وتستعيد ذلك المجد العظيم .

غير ان انهيار دعائم الخلافة الاموية بالاندلس، وسقوط الدولة العامرية هناك، دفع الاندلس الى معترك مروع من التمزق والفوضى، واستحالت تلك البلاد، بعد ان كانت كتلة موحدة، الى اشلاء ممزقة، وولايات مدن متباعدة ومتخاصمة يسيطر على كل منها حاكم او امير او متغلب من الفتيان والصقالية ومن الاسر العربية في المشرق والمغرب. ونشأت امارات وممالك عدة مالبثت ان دخلت مرحلة الصراعات الداخلية، وهكذا قامت على انقاض الدولة العربية الكبرى بالاندلس، دول عديدة سميت (دول الطوائف) دامت زهاء سبعين عاما، حتى الفتح المرابطي، قضتها جميعها في سلسلة لانهاية لها من المنازعات الصغيرة والحروب الاهلية الانتحارية، ومهدت الطريق لسقوط الاندلس النهائي بيد الامارات النصرانية التي نشطت هناك، لولا ان تتجه الاندلس العربية المسلمة الى عرب المغرب تستدعيهم لنصرتها، فتدفقت جيوش المرابطين وانقذت ، دولة العرب المسلمين في الاندلس من السقوط والضياع .

هوامش الباب الثاني

١ ـ اليعقوبي تاريخ البعقوبي، ج ٣، ص ٨١ ـ ٨٢.
ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٤.
٢ ـ اليعقوبي، تاريخه، ج٣ ص ٨٢ـ٨٣
٣ ـ اليعقوبي، تاريخه، ج ٣، ص ٨٥ـ٨٦
٤ ـ الرفاعي، عصر المأمون، ص ٢٩٢
٥ ـ الطبري، تاريخه، ج٧، ص ٤٣٢ـ٤٣٣
المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٤٥.
٦ ـ فاروق عمر فوزي، طبيعة الدعوة العباسية، ص ٢١١
٧ ـ الطبري، تاريخه، ج٧، ص ٤٣٥
ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص ٣٢٧ , ٣٢٨.
٨ ـ البلاذري، انساب الاشراف، ص ٧٨٦.
فارق عمر فوزي، طبيعة الدعوة العباسية، ص ٢١١
٩ ـ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٢٤٥.
١٠ ـ اليعقوبي، تاريخه، ج٣، ص ٨٦
١١ ـ اليعقوبي، المصدر السابق، ج٣ ص ٩٠
١٢ ـ اليعقوبي، تاريخه، ج٣، ص ٩٦
١٣ ـ الطبرى، تاريخه، ج٧، ص ٤٤١ـ٤٤٢
١٤ ـ المسعودي، مروج الذهب، ج٣ ص ٢٥٧
اليعقوبي، تاريخه، ج٣، ص ٨٦
ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص ٣٣٠
١٥ ـ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٢٤٨
١٦ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص ٣٣٢
١٧ ـ الطبري، تأريخه، ج٧، ص ٤٤٢
١٨ ـ اليعقوبي، تأريخه، ج٣، ص ٨٧ـ٨٨
١٩ ـ اليعقوبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٧
٢٠ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص ٣٣٣

٢١ ـابن خلدون، تاريخه، ج٤، ص ١٢٠
ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص ٣٦٢ (
٢٢ ـ ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ١٩٨
حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج٢، ص ٢٠٠ـ٢٠١
٢٣ ـ ابن عبد ربة ، العقد الفريد، ج٣، ص ٢٠١ـ٢٠٢
٢٤ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ١٩٨
حسن ابراهيم، تأريخ الاسلام، ج١، ص ٣٢٣.
٢٥ ـ المقرى، نفح الطيب ، ج١ ، ص ١٥٦، ج٢، ص٢٢
٢٦ ـ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ١٥٠ـ١٥١.
٢٧ ـ الطبري، تأريخه، ج٧، ص ٥٠٠
ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص٢
٢٨ ـ ابن خلدون، تأريخه، ج٤، ص ١٢١
٢٩ ـ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٦٧.
ابن غذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ١٥١.
٣٠ ـ ابن خلدون، تأريخه، ج٤، ص ١٢٢ـ١٢٤.
المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٥٦.
ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ص ٥٤.
حسن ابراهيم، تأريخ الاسلام، ج٢، ص ٢٠١
٣١ ـ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ١٦٣ـ١٦٥
٣٢ ـ عبد الله عنان، المصدر السابق، ص ١٦٦ ومابعدها.
٣٣ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص ٢٠، ٢٢
ابن خلدون، تأريخه، ج٦، ص ١١١
٣٤ ـ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٧٢ـ٧٣
٣٥ ـ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٦٧
٣٦ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص ٢٧
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٦٠
المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٥٦.
٣٧ ـ ابن خلدون، تأريخه، ج٤، ص ١٢٢
المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٥٥، ج٢، ص٧٤

٣٨ ـ عبد الله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. ص ١٩٧ـ٩٨
٣٩ ـ ابن عذاري. البيان المغرب. ج٢. ص٦٠ ، ٦٢
القري. نفح الطيب. ج٢. ص ١٨، ٦٨ـ٧٠
ابن خلدون. تأريخه. ج٤. ص ١٢٢، ١٢٤
٤٠ ـ ابن عبد ربه. العقد الفريه. ج٣. ص ٢٠١ـ٢٠٢ .
٤١ ـ المقري . نفح الطيب . ج١ . ص ١٥٦
٤٢ ـ ابن عذاري. البيان المغرب. ج٢ . ص ٦٢، ٦٧
٤٣ ـ ابن عذاري . المصدر السابق . ٢. ص ٦٤، ٦٥
٤٤ ـ ابن الاثير. الكامل .ج٦. ص ٤٨
ابن خلدون. تأريخه. ج٤. ص ١٢٥
٤٥ ـ ابو الفداء. المختصر. ج٢. ص ١٤
ابن خلدون. تأريخه. ٤. ص ١٢٤ـ١٢٥
حسن ابراهيم. تأريخ الاسلام . ج٢. ص ٢٠٤
ابن عذاري. البيان المغرب. ج٢. ص ٦٨
٤٦ ـ عبد الله عنان . دولة الاسلام في الاندلس. ص٢٢٧ـ٢٢٩
٤٧ ـ عبد الله عنان . المصدر السابق . ص ٢٢٩ـ٢٣٠
٤٨ ـ ابن الاثير. الكامل . ج٦. ص ٥٥
٤٩ ـ ابن عذاري . البيان المغرب. ج٢. ص ٤٧.
٥٠ ـ ابن القوطية. تأريخ افتتاح الاندلس . ص ٥٠ـ٥١
ابن عذاري. البيان المغرب. ج٢. ص ٨٧
٥١ ـ ابو الفداء. المختصر. ج٢. ص ١٤
المقري. نفح الطيب. ج١. ص ١٥٩
٥٢ ـ ابن عذاري. البيان المغرب. ج٢. ص ٥٨
٥٣ ـ ابن الاثير. الكامل. ج٦ .ص١٦٧
ابن عذاري. المصدر السابق. ج٢. ص ٨٨ـ٨٩
٥٤ ـ عبد الله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. ص ٢٥٩ـ٢٦١.
٥٥ ـ عبد الله عنان. المصدر السابق، ص ٢٦٢ـ٢٦٣.
٥٦ ـ ابن خلدون. تأريخه . ج٤. ص ١٢٧
ابو الفداء. المختصر. ج٢. ص ٣٨ـ٣٩
ابن حزم. جمهرة انساب العرب. ص ٦٠

٥٧ ـ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ٢٧٥ـ٢٧٦.
٥٨ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٢٢
٥٩ ـ ابن الاثير، الكامل ج٧، ص١٤١
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٩٦
٦٠ ـ ابن خلدون، تأريخه، ج٤، ص ١٣٠
٦١ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص ٣٨
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٩
٦٢ ـ ابن خلدون، تأريخه، ج٤، ص ١٣٤
ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢ ص١٠٧ـ١٠٨
٦٣ ـ ابن الاثير، الكامل ، ج٧ ص١٤١
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٦، ١١، ١١٢ .
٦٤ ـ ابن خلدون، تأريخه ج٤ ، ص ١٣٠
ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢ ص٩٦
٦٥ ـ ابن خلدون، تأريخه، ص ١٣٢
ابن القوطية، تأريخ افتتاح الاندلس، ص ١٠٢
٦٦ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٧ ص ١٤٥
عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ٣١٨ـ٣١٩.
٦٧ ـ ابن خلدون، تأريخه، ج٤، ص ١٣٥
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٢٦ـ٢٢٧
٦٨ ـ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ٣٢٤ وما بعدها.
٦٩ ـ حسن ابراهيم حسن، تأريخ الاسلام، ج٣، ص ١٧٠ـ١٧١
٧٠ ـ ابن الاثير، الكامل ،ج٨ ص ٣٤
ابو الفداء، المختصر، ج٢ ص ٦٦ـ٦٧.
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢ ص ١٥٥، ١٥٩
٧١ ـ ابن خلدون، تأريخه، ج٤، ص ١٣٤
ابو الفداء، المختصر، ج٢ ص ٦٧
المقري، نفح الطيب، ج١ ص ١٦٧
٧٢ ـ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ٣٧٠ـ٣٧١
٧٣ ـ عبد الله عنان، المصدر السابق، ص ٣٧٢ـ٣٧٤
٧٤ ـ ابن خلدون، تأريخه ج٤ ص ١٣٥ـ١٣٧
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ١٩١، ١٩٤، ج٢، ص ٢٠٤، ٢٠٨ـ٢٠٩

٧٥ ـ ابن خلدون، تأريخه، ج٤ ص ١٤١
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٦، ١٧٨
٧٦ ـ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٨ـ١٧٩
٧٧ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٥٥
المسعودي، مروج الذهب، ج١ ص٧٨
ابن خلدون، تأريخه، ج٤، ص ١٤٠
المقري، نفح الطيب ، ج١ ص ١٦٥
٧٨ ـ ابو الفدا ـ المختصر، ج٢ ص١٠٠ـ١٠١
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢ ص ٢٦٧
جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية، ص ١٥٢
٧٩ ـ المقري، نفح الطيب ، ج١ ص ١٦٦
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢ ص ٢١٢
٨٠ ـ المقرى، نفح الطيب ج١ ص ١٧٩
٨١ ـ المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٥ـ٢٦٦
ابن عذارى ، البيان المغرب، ج٢ ص٢٤٦ـ٢٤٧
٨٢ ـ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ٣٩٩
٨٣ ـ عبد الله عنان، المصدر السابق، ص ٤٠٥ـ٤٠٦
٨٤ ـ ابن خلدون، تأريخه، ج٤، ص ١٣٨
المقرى، نفح الطيب ج١ ص ١٧١
ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ص ١٢٣
٨٥ ـ ابن خلدون، تأريخه ج٤ ص ١٤٢
المقرى، نفح الطيب، ج١ ص١٧١
٨٦ ـ ابو الفدا، المختصر، ج٢ ص ١٠٢
ابن الاثير، الكامل، ج٨ ص ١٧٧
٨٧ ـ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ص٢٤٩
٨٨ ـ ابن خلدون، تأريخه ج٤ ص١٤٤ـ١٤٥
٨٩ ـ ابن خلدون، تأريخه ج٤، ص ١٣٨ـ١٣٩
ابن عذارى، البيان المغرب ، ج٢ ص٢٥٢
٩٠ ـ عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ص ٤٤٧ـ٤٤٨
٩١ ـ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢ ص٢٤٩
٩٢ ـ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢ ص٢٧٨ـ٢٨٠
٩٣ ـ عبد الله عنان، دولة الاسلام، ص ٤٧٠ـ٤٧٤

٩٤ ـ عبد الله عنان. المصدر السابق. ص ٤٧٤ـ٤٧٩
٩٥ ـ ابو الفداء المختصر ج٢ ص ١٣٨ـ١٣٩
ابن خلدون. تأريخه ج٤ ص ١٤٧
٩٦ ـ ابن الاثير. الكامل ج٧ ص ٨٣
ابن خلدون. تأريخه ج٤ ص ١٤٧
٩٧ ـ ابن عذارى البيان المغرب. ج٢ ص٢٩٨ـ٢٩٩
٩٨ ـ ابن الاثير. الكامل. ج٧ ص٨٣
٩٩ ـ ابن خلدون. ج٤ ص ١٤٨
١٠٠ ـ عبد الله عنان. دولة الاسلام .ص ٤٩٠ـ٤٩١
١٠١ ـ عبد الله عنان. المصدر السابق. ص ٤٩٢ـ٤٩٤
١٠٢ ـ ابن عذارى. البيان المغرب. ج٢ ص ٢٠٤ـ٢٠٥
١٠٣ ـ المقرى. نفح الطيب ج١ ص٢٧٦
١٠٤ ـ المقرى. المصدر السابق. ج٢ ص ٩٥
١٠٥ ـ عبد الله عنان. دولة الاسلام. ص ٥١١ـ٥١٤
١٠٦ ـ ابن الاثير. الكامل . ج٧. ص٨٣
١٠٧ ـ المقرى. نفح الطيب. ج٢ ص ١٩٨
١٠٨ ـ ابن عذارى. البيان المغرب. ج٣ ص٥ـ٩
١٠٩ ـ ابن خلدون. تأريخه ج٤ ص١٤٨
١١٠ ـ عبد الله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. ص ٥٦١
١١١ ـ ابن الاثير. الكامل ج٧ ص ٨٣
المقري. نفح الطيب ج١ ص ١٩٨
١١٢ ـ ابن خلدون. تأريخه ص ١٤٩
المقرى. نفح الطيب ج١ ص ١٩٨
١١٣ ـ عبد الله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. ص٥٧٩ـ٥٨٠
١١٤ ـ ابن عذارى. البيان المغرب. ج٢ ص٧٧
١١٥ ـ ابن الاثير. الكامل. ج٧ ص ٨٤
١١٦ ـ ابن الاثير. الكامل. ج٧ ص ٨٤ـ٨٥
ابن عذارى. البيان المغرب. ج٣.ص ٨٩ـ٩٠
١١٧ ـ ابن الاثير. الكامل ج٧ ص ٢٤٨ـ٢٤٩
حسن ابراهيم حسن. تأريخ الاسلام ج٣ ص ١٨٢ـ١٨٣
١١٨ ابن الاثير. الكامل. ج٧ ص٢٦٨
١١٩ ـ حسن ابراهيم حسن. تأريخ الاسلام ج٣ ص ١٨٣

١٢٠ ـ ابن خلدون. تأريخه ج٤ ص ١٤٧
١٢١ ـ ابن الاثير. الكامل ج٧ ص ٢٨٤ـ ٢٨٥
١٢٢ ـ ابن الاثير. الكامل. ج٧ ص ٢٩٠
١٢٣ ـ المقرى. نفح الطيب. ج١ ص ١٤٠
١٢٤ ـ ابن الاثير. الكامل. ج٧ ص ٢٩٠
المقرى. نفح الطيب. ج١ ص ١٤٠ـ١٤١
١٢٥ ـ المقرى. نفح الطيب. ج١ ص ١٥٣
١٢٦ ـ حسن ابراهيم حسن. تأريخ الاسلام السياسي. ج٣. ص ١٩١

الباب الثالث

انحلال الدولة العربية في الانـدلس وزوالها

الفصل الاول : دول ملوك الطوائف .
الفصل الثاني : المرابطون في الاندلس .
الفصل الثالث : الموحدون في الاندلس .
الفصل الرابع : المقاومة الاسبانية ضد العرب في الاندلس
الفصل الخامس : تغلب العدو على الاندلس وزوال حكم العرب فيها.

الفصل الاول

دولة ملوك الطوائف

لما انقرضت دولة بني حمود في الاندلس، بعد ان كانوا يدعون الخلافة وانقطعت الدولة الاموية من الارض، وانتشر سلك الخلافة بالمغرب العربي، كان ابتداء امر ملوك الطوائف بالاندلس، فصار الملك في طوائف من الموالي والوزراء واعيان الخلافة، وكبار العرب المشارقة والمغاربة، واقتسموها، وقام كل واحد بامر ناحية منها، وتغلب بعض على بعض، حتى استقل منهم ملوك استفحل امرهم وعظم شأنهم، ولاذوا عن طاغية الاسبان في الشمال بالجزية والمداراه، وقاموا على ذلك مدة، وكان ذلك اضر شيً على المسلمين هناك، ومازالوا على ذلك حتى عبر البحر صاحب المغرب امير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني زعيم المرابطين، فخلعهم جميعاً واخلى منهم الارض .(١)

لقد اعطت الفتنة الكبرى بالاندلس ثمارها مع اطلالة القرن الخامس الهجري، بعد ان نعمت تلك البلاد بالهدوء والاستقرار والتقدم والرخاء، في ظل حكم الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر خاصة الذي دام زهاء خمسين عاماً، بذل الخليفة الناصر خلالها جهوداً كبيرة في الداخل والخارج لاستقرار الدولة وعمرانها. حتى قرن عصره بعصر الخليفة العباسي هارون الرشيد بالمشرق، لما بينهما من اوجه الشبه في سمات عدة، فلما كانت هذه الفتنة نشط الصراع على السلطة في بلاد الاندلس وفقدت قرطبة مركزها السياسي والثقافي والعمراني والاقتصادي .(٢)

على ان النتائج البارزة التي تمخضت عنها هذه الفتنة، هي حالة التمزق التي منيت بها الدولة العربية الاسلامية بالاندلس على الصعيد السياسي، وعمت الفوضى البلاد، وانقسمت الى دويلات في كل مدينة، وساء الحال في تلك الديار حتى قال الشاعر فيها ما يأتي :(٣)

مما يزهدني في ارض اندلس	اسماء معتضد فيها ومعتمد
القاب مملكة في غير موضعها	كالهر يحكي انتفاضاً صولة الاسد

وفيما يأتي اهم دول ملوك الطوائف :

اولا : بنو عباد ملوك اشبيلية وغربي الاندلس :(٤)

كان اولهم القاضي ابو القاسم محمد بن ذي الوزارتين ابي الوليد اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد اللخمي، وهومن ولد النعمان بن المنذر، وكان جدهم عطاف ابن نعيم اللخمي، اول من دخل الاندلس منهم في طوالع بني لخم، ونزل قرية بشرق الاندلس وتكاثر بنوه هناك ٠

ولي منهم اسماعيل بن محمد الوزارة باشبيلية سنة ٤١٣ هـ، وولي ابنه ابو القاسم محمد القضاء بها والوزارة سنة ٤١٤ هـ، وبقي على ذلك حتى هلك سنة ٤٣٣ هـ، وكان اصل هذه الرياسة لصلتهم بالقاسم بن حمود، وهو الذي احكم عقد هذه الولاية، ثم استبد ابو القاسم بها٠

ولما توفي ابو القاسم محمد سنة ٤٣٣ هـ، قام بالامر ابنه عباد، وتلقب ((المعتضد)) وصارت له حروب كثيرة مع بني الافطس ملوك بطليوس والبرزالي صاحب قرمونة، واتسعت مملكة ابن عباد كثيراً على حساب جيرانه المسلمين، وصارت له حروب مع باديس بن حبوس صاحب غرناطة الى ان هلك سنة ٤٦١ هـ ٠ وولي من بعده ابنه ((المعتمد)) وجرى على سنن ابيه، واستولى على دار الخلافة بقرطبة من يد ابن جهور وفرق ابناءه على قواعد الملك، واستفحل ملكه بغرب الاندلس، وعلت يده على ملوك الطوائف مثل : ابن باديس بن حبوس بغرناطة، وابن الافطس صاحب بطليوس، وابن صمادح صاحب المرية وغيرهم٠ وكانوا يطلبون مرضاته والسلم معه٠ ومازالوا على ذلك حتى ظهر امر يوسف بن تاشفين، وقتل ابن عباد اليهودي الذي كان يتردد عليه لاخذ الجزية بسبب اساءة وجهها اليهودي اليه، ثم جاز ابن عباد البحر الى يوسف يستنجد، فجاز يوسف المضيق واستولى على الاندلس بعد ان صد الفرنج وخلع ملوك الطوائف كلهم ونقلهم الى المغرب العربي، وصار ابن عباد في قبضته ونقله الى مراكش سنة ٤٨٤ هـ، واعتقله هناك الى ان توفي سنة ٤٨٨ هـ، وبذلك انتهت دولة بني عباد٠

وكانت هناك ثغور لم يستولِ عليها ابن عباد في غرب الاندلس منها : بلد السهلة استبد بها هذيل بن خلف بن رزين، ومنها بلد البونت واللج تغلب عليها عبد الله بن قاسم الفهري ايام الفتنة، ومازال بها الى ان اخذها المرابطون سنة ٤٨٥هـ ٠(٥)

ثانيا : بنو جهور في قرطبة:

هو ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله بن محمد بن المعمر بن يحي بن ابي المعارف بن ابي عبيدة الكلبي، وابو عبيدة هذا، هو الداخل الى الاندلس، وكان جهور من وزراء الدولة العامرية بقرطبة، قديم الرياسة، موصوفاً بالدهاء والعقل، ولم يدخل في الفتنة اول الامر، فلما سنحت الفرصة، وخلع الجند هشام المعتمد الاموي اخر خلفاء بني امية في الاندلس، استولى جهور على المملكة ورتب امورها واستبد بحكمها وذلك سنة ٤٢٢ هـ . لكنه لم يتحول عن قصره الى دار الخلافة، وكان الناس قد ارتضوه حاكماً لهم حتى يصار الى اختيار خليفة جديد. لكن ذلك لم يحدث، وانفرد جهور بالسلطة، ومازال بها حتى توفي سنة ٤٣٥ هـ.

وكان جهور مأمون الجانب، يدبر الامور تدبير الملوك حتى امن الناس في ايامه، وكان يشهد الجنائز ويعود المرضى، ويحضر الافراح على طريقة الصالحين.

ولما توفي جهور ولي الامر في قرطبة بعده ابنه ابو الوليد محمد بن جهور باتفاق الجميع، وصارت له حروب مع الممالك المجاورة وبخاصة بنو ذي النون الذين حاصروا قرطبة، فاستنجد ابن جهور بابن عباد، لكن جند ابن عباد اتفقوا واهل قرطبة على خلع ابن جهور وخلعوه سنة ٤٦١ هـ واخرجوه من قرطبة، واعتقل حتى هلك سنة ٤٧٢ هـ . وصارت قرطبة لابن عباد، وولى عليها ابنه سراج الدولة، وبقي بها حتى قتل مسموما فسار اليها ابن عباد سنة ٤٦٩ هـ فدخلها واستخلف عليها ابنه الثاني الفتح بن محمد الملقب ((المأمون)) فدبرها الى ان مات بها، وصار غرب الاندلس كله في ملكه الى ان دخل المرابطون الاندلس وغلبوا عليها سنة ٤٨٤ هـ وقتلوه.

ثالثاً : ابن الافطس في بطليوس غرب الاندلس :(٦)

هو ابو محمد عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الافطس، ملك بطليوس عندما قامت الفتنة واستبد بها سنة ٤٣٧ هـ، فلما توفي قام بعده ابنه المظفر ابو بكر واستفحل ملكه وصار من اعاظم ملوك الطوائف، واستقامت له الامور، وكان شاعراً اديباً وعالماً لبيباً، وبطلا شجاعاً، وقد اقام هذا الرجل ملكاً عظيماً في الثغر الجوفي ضاهي دولة ابن عباد وابن ذي النون، وكانت بينهم حروب وغارات ومهادنات.

وقد تعرضت بلاد بني الافطس لهجوم امير جيليقية الذي اخذ منهم الجزية وعاث كثيراً في بلادهم، ثم هلك المظفر سنة ٤٦٠ هـ وتولى بعده ابنه المتوكل ابو حفص عمر بن

محمد ولم يزل سلطانا بها الى ان قتله يوسف بن شفين امير المرابطين سنة ٤٨٩ هـ، وقتل معه جميع ابنائه يوم الاضحى.
وقد رثاه ابن عبدون بقصيدة جاء فيها:

الدهر يفجع بعد العين بالاثر فما البكاء على الاشباح والصور.

رابعاً : باديس بن حبوس ملك غرناطة والبيرة :(٧)

هو باديس بن حبوس بن ماكس بن زيرى عميد قبائل صنهاجة من عرب المغرب، عبروا الى الاندلس على عهد الحاجب المنصور فلما كانت الفتنة وانحل عقد الخلافة، ساروا الى البيرة ثم الى غرناطة واخذوها واتخذوها دار ملكهم، فلما سار اليهم العامريون سنة ٤٢٠ هـ، هزمهم ابن حبوس وغنم منهم الكثير، لكنه استوحش من قومه وارتحل الى القيروان، واستخلف على غرناطة ابنه باديس سنة ٤٢٩ هـ وكانت بينه وبين بني ذي الذنون وابن عباد حروب كثيرة، ولما توفي باديس سنة ٤٦٧ هـ، ولي الامر حفيده المظفر ابو محمد عبد الله بن بلكين بن باديس سنة ٤٦٧ هـ، وولى اخاه تميماً على مالقة بمهد من جده ومازالا على ذلك حتى خلعهما المرابطون سنة ٤٨٣ هـ،

خامساً : بنو ذي النون ملوك طليطلة والثغر الجوفي :(٨)

جدهم اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون من قبائل هوارة من عرب المغرب. كانت لهم الرياسة في شنتريه سنة ٤٠٩ هـ، فلما كانت الفتنة وهلك صاحب طليطلة يعيش بن محمد بن يعيش، استدعى جند طليطلة اسماعيل الظافر بن ذي النون، فمضى اليها وملكها، وامتد ملكه الى مرسية، ولم يزل اميراً بها حتى هلك سنة ٤٢٩ هـ وولي ابنه المأمون ابو الحسن يحي، واستفحل ملكه، وعظم امره بين ملوك الطوائف، وكانت بينه وبين الطاغية ملك الاسبان في الشمال موقعه مشهورة، ثم غزا بلنسية سنة ٤٣٥ هـ وتغلب على صاحبها، وهو من اولاد المنصور بن ابي عامر، ثم غلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد، وهلك الظافر مسموماً سنة ٤٦٧ هـ، وولي بعده على طليطلة حفيده القادر بن يحي بن اسماعيل بن المأمون، بن يحي بن ذي النون، وكان الطاغية ابن الفونس قد استفحل امره وتطاول على المسلمين بالاندلس، وضايق ابن ذي النون بطليطلة، حتى تمكن من التغلب على طليطلة واخرج القادر بن ذي النون منها

سنة ٤٧٨ هـ شريطة ان يساعده على اخذ بلنسية ، فخرج القادر الى بلنسية وعليها القاضي عثمان وهو من وزراء ابن ابي عامر، فخلعه اهل بلنسية خوفاً من القادر بن ذي النون الذي يعاونه الفونس في ذلك. فدخل القادر بلنسية واقام بها سنين حتى قتل سنة ٤٨١ هـ .

وقد ساس بنو ذي النون طليطلة، السياسة الحسنة، ورضي اهلها عنهم، واستعملوا قانون العدل واستقامت الطاعة لهم وعظم ملكهم.

سادساً : ابن ابي عامر صاحب شرق الاندلس (٩)

لما اقام عرب المغرب الفتنة بالاندلس بايع الموالي العامريون، المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر بشاطبة، ثم ثار عليه اهلها، فسار عنها الى بلنسية فاخذها وملكها، ثم بايعه صاحب مرسية واريولة، والمرية وجيان، ثم ثار عليه احد مواليه المدعو خيران واستبد بالمرية، ولما هلك خيران سنة ٤١٩ هـ بالمرية قام بعده بالامر عميد الدولة ابو القاسم زهير العامري، وزحف الى غرناطة، فبرز اليه صاحبها باديس بن حبوس وقتله بظاهر غرناطة سنة ٤٢٩ هـ، فصارت المرية للمنصور ثانية فضلاً عن بلنسية، ثم زحف القادر بن ذي النون الى بلنسية بمساعدة الفونس الاسباني، فسلمها اهلها له خوفاً من استيلاء الاسباني عليها وكان ذلك سنة ٤٧٨ هـ، غير ان النصاري تغلبوا على بلنسية سنة ٤٨٩ هـ، ثم اخذها المرابطون منهم لما تغلبوا على الاندلس.

سابعاً : بنو هود ملوك سرقسطة :(١٠)

واما سرقسطة والثغر الاعلى، فقد استبد بها منذر بن يحي التجيبي، وتلقب بالمنصور، وعقد معاهدة بينه وبين طاغية جيليقية وبرشلونة، ولما توفي سنة ٤١٤ هـ، ولي بعده ابنه يحي وتلقب بـ (المظفر يحي بن المنذر) ثم صارت بعده لسليمان بن احمد بن محمد بن هود الجذامي، وكان سليمان قبل ذلك مستبداً بمدينة تطيلة وجدهم هود الداخل الى الاندلس هو هود بن عبد الله بن موسى بن سالم، وتلقب سليمان بن هود: بالمستعين بالله بعد ان تغلب على المظفر يحي بن المنذر وقتله سنة ٤٣١ هـ، وملك بذلك سرقسطة والثغر الاعلى.

كان سليمان بن هود من كبار الجند بالثغر الاعلى الى حين وقوع الفتنة، فتغلب على مدينة لاردة وسائر اطرافها بعد ان قتل القائم بها، وهو ابو المطرف التجيبي، ثم اخذ سرقسطة ونزل دار الامارة فيها، وظل اميراً الى ان مات سنة ٤٣٨ هـ. وترك خمسة اولاد ذكور قسم عليهم في حياته بلاده التي كانت تحت سلطانه، فولي ابنه احمد مدينة

سرقسطة، وولى ابنه يوسف مدينة لاردة ، وولي ابنـه محمـد قلعة ايوب، وولى ابنـه لبـا مدينة وشقة، وولى ابنه المنذر مدينـة تطليلـة، واستبـد هؤلاء الاخوة كلهم بـاعمـالهم بعـد ابيهم، وقد تآمر بعضهم على بعض وكحل بعضهم البعض بالنار حيلـة وخـداعـاً للاستيلاء على الاملاك الخـاصـة بهم، ثم اتصل بعضهم بـالنصـارى وتحـالفوا معهم ضـد اخوتهم فسـار الاسبان الى سرقسطة واخذوها بعد ان قتلوا واسروا الكثير من المسلمين.

ومازال بنو هود يتعاقبون على ملكهـا الضعيف المجزأ حتى انقرضت دولتهم سنـة ٥٠١ هـ حيث صارت بلادهم جميعاً الى ابن تاشفين زعيم المرابطين وترك بعض اولادهم الاندلس وعادوا الى دمشق حيث ذكر ان بعضهم شوهـد فيهـا سنـة ٥٩٠ هـ وهو فقير جـداً، وكان من ممالك بني هود مدينة طرطوشة حيث كانوا قد ملكوها سنة ٤٣٣ هـ.

ثامناً : مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية :(١١)

لما صارت الفتنة بالاندلس سنة ٤٠٠ هـ وقتل الخليفة الاموي، كان مجاهـد بن يوسف ابن علي، وهو من موالي العـامريين البـارزين، مقـدمـاً على الجـزائر الشرقيـة (ميـورقـة، مينورقة، يابسـة) فلمـا كانت الفتنـة، خرج من قرطبـة الى طرطوشـة وملكهـا، ثم تركهـا وانتقل الى دانية واستقل بها وملك معهـا الجزائر الثلاثـة واستبـد بهـا سنـة ٤١٣ هـ، وكان المسلمون قد فتحوا هذه الجزر الثلاثة سنة ٢٩٠ هـ.

ثم صارت لمجاهد العامري حروب كثيرة مع خيران صاحب مرسيـة والمريـة، ومع ابن ابي عامر، صاحب بلنسية حتى سنة ٤٣٠ هـ حيث هلك مجاهـد، وكان مجـاهـد قـد تلقب (بالموفق بالله) وكان ذا نباهة وريـاسـة، زاد على نظرائـه من ملوك طوائف الانـدلس في العلم والمعرفة والادب خاصة، وكان مع ذلك من اصحاب الشجـاعـة والتـدبير والسيـاسـة، فقد حمى بلاده من الفرنج مدة، ثم غزا جزيرة سردينية وغلب على كثير منها.

وكان مجـاهـد، من اهـل العفـاف والعلم، لـذلـك قصـده العلمـاء والفقهـاء من المشرق والمغرب، واجزل صلاتهم، ومازال على ذلك حتى توفي في مدينة دانية.

ولما توفي مجـاهـد سنـة ٤٣٠ هـ ولي بعـده ابنـه علي وتسمى اقبـال الـدولـة واصهر الى المقتدر بن هود، ومازال علي يحكم بلاده حتى اخرجه منها ابن هود سنة ٤٦٨ هـ ونقله الى سرقسطة، ثم مات بها مسموماً سنة ٤٦٩ هـ، وبذلك انقرض ملك بني مجـاهـد العـامري في دانيـة والجـزائر وغيرهـا، وتـولى المقتـدر بن هـود امرهـا، في حين استـولى الاسبان على جزيرة ميورقة، ومازالوا بها حتى جاء المرابطون وطردوهم عنها.

تاسعاً : ابن رزين في السهلة :(١٢)

واما السهلة، فقد استبد بها عبود بن رزين، وهو من عرب المغرب ومولده بالاندلس، فلما مات قام بعده ابنه عبد الملك ، وكان اديباً شاعراً، ثم ولي بعده ابنه عز الدولة ومازل بها حتى ملكها منه المرابطون.

عاشراً : بنو حمود العلوي في مالقة :(١٣)

واما مالقه فملكها بنو علي بن حمود العلوي ولم تزل في مملكة العلويين يخطب لهم فيها الى ان اخذها منهم باديس بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة سنة ٤٤٧ هـ، حيث انقضى امر العلويين بالاندلس، ثم الت مالقه وغيرها من طوائف الاندلس الى المرابطين سنة ٤٨٤ هـ.

☆ ☆ ☆

ولما انقرض ملوك دول الطوائف بالاندلس وانقرضت ممالكهم جميعاً، وصارت للمرابطين واميرهم يوسف بن تاشفين، واتصلت مملكته من المغرب الاقصى الى اخر بلاد المسلمين بالاندلس، نظم الشعراء القصائد في وصف حال الاندلس في عصر ملوك الطوائف ومنهم ابو طالب عبد الجبار المعروف بالمثنى الاندلسي، وهو من اهل جزيرة شقر، حيث وصف في ارجوزته حالة التمزق والضياع التي عاشتها الاندلس في هذه الفترة. جاء فيها:(١٤)

لمّا راى اعلام اهل قرطبة   ان الامور عندهم مضطر
وعدمت شاكلة للطاعة   استعملت اراءها الجماعة
فقدموا الشيخ من ال جهور   المكتنى بالحزم والتدبر
والثغر الاعلى قام فيه منذر   ثم ابن هود بعد فيما يذكر
وابن يعيش ثار في طليطلة   ثم ابن ذي النون تصفى الملك
وفي بطليوس انتزا سابور   وبعده ابن الافطس المنصور
وثار في اشبيليه بنو عباد   والضعف والفتون في ازدياد
وثار في غرناطة حبوس   ثم ابنه من بعده باديس
وال معن ملكوا المرية   بسيرة محمودة مرضية
وثار في شرق البلاد الفتيان   العامريون ومنهم خيران
ثم زهير والفتى لبيب   ومنهم مجاهد اللبيب
سلطانة رسى بمرسى دانية   ثم غزا حتى الى سردانية
ثم اقامت هذه الصقالبة   لابن ابي عامرهم بشاطبة
وحل ماملكهم بلنسية   وثار ال طاهر بمرسية
وابن رزين جاره في السهلة   امهل ايضا ثم كل المهلة
ثم استمرت هذه الطوائف   تخلفهم من آلهم خوالف.

الفصل الثاني

المرابطون في الاندلس

اولاً: قيام دولة المرابطين بالمغرب:

المرابطون من عرب المغرب من قبيلة لمتونة من صنهاجة وقد سموا بالمرابطين، لانهم تتلمذوا على عبد الله بن ياسين في (رباطه) الذي انشأه للدرس والعبادة في صحراء المغرب الاقصى، حيث موطن قبيلة لمتونة هناك، وسمي المرابطون ايضا (بالملثمين) لانهم كانوا يضعون لثاماً على وجوههم، يقيهم هاجرة الصحراء وبردها، كما هو شان العرب بالجزيرة العربية والبوادي.

ويكاد المؤرخون يتفقون على ان صنهاجة، قبيلة عربية من حمير، وانهم ساروا من اليمن الى الشام، ومن هناك ساروا الى الساحل الافريقي، واتجهو صوب المحيط الاطلسي، واستوطنوا صحراء المغرب لمشابهتها صحراء العرب، وجاؤا في ذلك الوقت مع عقبة بن نافع، ثم تكاثر عددهم في عهد موسى بن نصير .(١٥)

قامت دولة المرابطين بالمغرب الاقصى سنة ٤٤٨ هـ، وشملت جزءاً من الجزائر وبلاد الاندلس فيما بعد، حتى كان سقوطها سنة ٥٤١ هـ في عهد اخر حكامها المدعو اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، على ايدي الموحدين.

وكان يوسف بن تاشفين، قد تولى امر المرابطين سنة ٤٥٣ هـ عندما تنازل له ابن عمه ابو بكر عمر اللمتوني امام شيوخ واعيان المرابطين، وكان يوسف، رجلا دينا خيراً، وحازماً، وبذلك يمكن اعتباره اول حاكم عربي مغربي حكم المغرب بسيرة حسنة في الرعية، وسار على السنة والشريعة، وكون جيشاً قوياً تمثلت فيه جميع القبائل المغربية بصفة عامة.

لقد كون يوسف بن تاشفين، اول دولة عربية مغربية في التأريخ، حيث امتد سلطانه من السودان جنوباً الى جبال البرتات بالاندلس شمالاً، ومن المحيط الاطلسي غرباً، الى حدود تونس شرقاً، بل لقد عد بعض المؤرخين يوسف من اعظم حكام المسلمين في عصره، حيث كانت الدولة الدولة العباسية قد ضعفت، واخذ نجم الدولة الفاطمية بالافول، واتخذ الصليبيون من هذه الظروف، الفرصة، لاخذ مدن بلاد الشام،

وشدد نصارى الاندلس الخناق على ملوك دول الطوائف وكاد حكم هذه البلاد، ان يخرج من ايدي المسلمين، لولا تلبية يوسف نداءهم ورد جيوش ملك الفرنج الفونس السادس عنهم .(١٦)

ثانياً : وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج سنة ٤٧٩ هـ :

لما اخذ ملك الفرنج طليطلة وامعن في ايذاء المسلمين في الاندلس واخذ منهم الجزية، واساء رسول ملك الفرنج الكلام الى المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية، وقتل ابن عباد هذا الرسول، وهو يهودي، وتوجه ابن عباد الى يوسف بن تاشفين بالمغرب الاقصى يطلب المساعدة، خاصة وقد ادرك عرب الاندلس قوة (الفونس) ملك الفرنج، وضعف المسلمين وانقسامهم في هذه الديار، فلما وصل رسول العرب بالاندلس الى امير المؤمنين يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين، وابلغه حال الاندلس، وكان الامير يوسف يقيم بمدينة سبتة، أمر في الحال التجهز والعبور الى الاندلس، وارسل الى مراكش وجميع انحاء دولته في طلب العساكر، فاقبلت اليه متوالية، فلما تكاملت عنده، عبر يوسف البحر وسار الى اشبيلية حيث اجتمع بالمعتمد بن عباد، وكان قد جمع العساكر من الاندلس، وخرج من اهل قرطبة عسكر كثير، واجتمع له المتطوعون من مختلف بلاد الاندلس، فلما بلغت اخبار هذه الجيوش الى الفونس ملك الاسبان خرج من طليطلة يريد لقاءهم، وكتب الى يوسف بن تاشفين كتاباً يهدده فيه ويتوعده، فلما قرأه يوسف كتب على ظهر الكتاب (الذي يكون ستراه) فلما عاد الكتاب الى الفونس، ارتاع من هذه اللهجة فزاد من استعداداته لمواجهة هذا الخطر العتيد، وسار امير المؤمنين يوسف ومعه المعتمد بن عباد وجموع المسلمين حتى اتوا مكاناً يقال له : (الزلاقة) من ارض بطليوس، وأتى الفونس (الادفونش) ونزل موقعاً قريباً منهم، وبينهم ثمانية عشر ميلاً، ثم اقتربا من بعضهما، ونزل الادفونش بجيشه في لحف الجبل، ونزل المعتمد بن عباد في سفح الجبل، وهم يترأون، ونزل امير المسلمين يوسف وراء الجبل، وظن ملك الفرنج ان جيوش المسلمين هي التي رآها على سفح الجبل فقط، وكان في خمسين الفا، فلما نشب القتال بين الفريقين، وكان عنيفاً، وقعت الهزيمة بالفرنج ووصل امير المسلمين الى خيامهم فنهبها وقتل من فيها بالسيف، ولم يفلت منهم احد، ونجا الادفونش نفسه في نفر يسير من اصحابه، وجعل المسلمون من رؤس القتلى كوماً كبيراً كانوا يؤذنون عليه الى ان جيفت فاحرقوها، وكانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الاول من شهر رمضان من سنة ٤٧٩ هـ. ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم سوى ثلثمائة فارس. وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك. وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع امير المسلمين يوسف ابن تاشفين الى الجزيرة الخضراء، وعبر الى سبتة وسار الى مراكش واقام بها الى العام القادم.(١٧)

لقد سميت هذه المعركة بموقعة الزلاقة نسبة الى المكان الـذي دارت فيـه بين الفريقين الاسلامي والفرنجي، فكانت من المواقع الحاسمة في تأريخ العرب المسلمين بالاندلس، ضمنت للاسلام عزته وكرامته وقوته في هذه البلاد، مدة اربعة قرون اخرى (١٨)

وقد علق بعض المؤرخين على اهمية هذه الموقعة بالنسبة للمسلمين والفرنج على حد سواء .(١٩)

غير ان هزيمة الزلاقة، زادت من حقد الفونس السادس هذا، وهو ملك الاسبان على المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية لانه هو الذي دعا امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى بلاد الاندلس واوقع بالفرنج الهزيمة، ولذلك، فقد ضيق الفونس الخناق على ابن عباد في اشبيلية، وهذا دفع ابن عباد، الى الاستنجاد مرة اخرى بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، الذي مالبث ان لبي الدعوة، وعبر البحر الى الاندلس، بعد ان كتب الى امراء المسلمين فيها لمعاونته في نجدة المعتمد بن عباد، فاجتمع يوسف مع المعتمد بن عباد في عسكره، وانضاف لهم عبد الله بن بلكين الصنهاجي صاحب غرناطة في عسكره، ولم يستجب لدعوته اكثر امراء الاندلس وقد خيب ذلك ظنه فيهم، وغير رأيه بهم، ثم سار يوسف وابن عباد وابن بلكين الى احد حصون الفرنج وحصروه، ولم يخرج اليهم احد من الفرنج للقتال لما اصابهم في العام الماضي بمعركة الزلاقة، فتفرق المسلمون دون قتال مع الفرنج، فعاد ابن عباد الى اشبيلية، وعاد امير المسلمين يوسف الى غرناطة، ومعه عبد الله ابن بلكين الصنهاجي صاحب غرناطة. فعزل يوسف، عبد الله بن بلكين واخذ غرناطة منه واخرجه منها، واخذه واخاه تميا ابني بلكين الى مراكش، ولذلك كانت غرناطة اول ماملكه امير المسلمين يوسف بن تاشفين من بلاد الاندلس، وخطب للخليفة العباسي المقتدي بامر الله ببغداد، واتاه الخلع والاعلام، والتقليد ولقب بامير المسلمين وناصر الدين،وصارت له بلاد المغرب الاقصى والاندلس .(٢٠)

ثالثاً : الامير يوسف يستولى على الاندلس من ملوك الطوائف:

اقام يوسف بن تاشفين بالمغرب بعد عودته الثانية من الاندلس وملكه لغرناطة، حتى سنة ٤٨٣ هـ/ سنة ١٠٩٠ م، حيث قرر اجتياز البحر الى الاندلس، للمرة الثالثة، وكان هدفه هذه المرة، الجهاد ضد العدو الفرنجي، واخذ الاندلس من ايدي الامراء المسلمين المنقسمين على انفسهم. وتوحيدها تحت حكمه مع بلاد المغرب.

سار امير المسلمين يوسف من مراكش الى سبته، واقام بها وسير العساكر الى الاندلس، فعبروا المضيق، واتو مدينة مرسية، فملكوها واعمالها، واخرجوا صاحبها ابا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة، ومدينة دانية فملكوها، ثم ساروا الى بلنسية

فاخذوها، وكان الفرنج قد استولوا عليها قبل ذلك ثم فارقوها سنة ٤٩٥ هـ حيث دخلها المرابطون دون قتال ، ثم سار المسلمون نحو اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد، فحاصروها، وحاول ابن عباد الدفاع عنها واعتصم باسوارها، فلما سمع الفرنج باستيلاء جيوش المرابطين على هذه البلاد، خافوا ان يتوسعوا نحوهم، فجمعوا العساكر وساروا لنجدة المعتمد بن عباد ومساعدته ضد جيوش يوسف زعيم المرابطين التي كان يقودها في هذه الفتوحات شير بن ابي بكر نيابة عن يوسف، فلما سمع بسيرهم شير بن ابي بكر، فارق إشبيلية، وتوجه للقاء الفرنج، واشتبك معهم في معارك كانت الغلبة له والهزيمة للفرنج، ثم عاد الى اشبيلية فحاصرها، ولم يزل يشدد الحصار عليها حتى دخلها، واخذ المعتمد واولاده واهله الى مدينة اغمات حيث حبسهم بها امير المسلمين يوسف، واغمات مدينة في سفح جبل بالقرب من مراكش، وظل المعتمد محبوساً بها حتى وفاته سنة ٤٨٨ هـ .(٢١)

ولما فرغ شير من اشبيلية، سار الى المرية، فنازلها، وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح، فلما اقترب منها، فارقها صاحبها وعبر بمراكبه الى بلاد حماد الذين احسنوا اليهم، ثم سار شير الى بطليوس وبها عمر بن الافطس فحاربه وغلبه واخذ البلد منه، واخذ ابن الافطس وولده الفضل اسيرين وقتلا، واستولى شير على اموالهم وذخائرهم، ولم يترك من ملوك الاندلس سوى بني هود، اذ لم يقصد بلادهم وهي شرق الاندلس، وكان صاحبها حينذاك المستعين بالله بن هود، وهو من الشجعان الذين يضرب بهم المثل، وكان ابن هود يراسل امير المسلمين ويتقرب منه، ولذلك لم يرغب الامير في ان تغزوه الجيوش، وفضلاً عن ذلك اوصى ولده علي بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بني هود، وقال له: اتركهم بينك وبين العدو فانهم شجعان، وكان عسكر امير المسلمين لما استقصى ملوك الاندلس، واخذ بلادهم، جمع ملوكهم وسيرهم الى بلاد الاندلس، وفرقهم فيها وهو يقول: (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة) .(٢٢)

رابعاً : حروب المرابطين مع الاسبان في الاندلس:

تواصلت الحروب دون انقطاع بين المرابطين الذين استولوا على الاندلس واخذوها من ملوك الطوائف، وبين الفرنج هناك، كادت ان تتكرر كل عام، آخذة صيغة الصراع الديني بين الجانبين ، ففي سنة ٤٨٥ هـ، جمع (الفونس) عساكره وغزا جيان فلقيه المسلمون وقاتلوه ، واشتدت الحرب ، فكانت الهزيمة من نصيب الفرنج وكثر القتل فيهم، ولم ينج منهم الا (الفونس) في نفر يسير من اصحابه، وكانت هذه المعركة من اشهر الوقائع بهم بعد معركة الزلاقة الشهيرة .(٢٣)

وفي سنة ٤٨٧ هـ حاصر جيش ضخم من المرتزقة الاسبان وبعض اعوانهم من المسلمين مدينة بلنسية، واستمر الحصار طويلا حتى ضاقت الاحوال فيها فاضطر اهلها الى التسليم لهؤلاء الغزاة الذين عاثوا فيها فسادا وزرعوا الرعب في نفوس اهلها بعد احتلالها، وشردوا الكثير من ابنائهم، ومازالت على ذلك حتى تمكن المرابطون من استعادتها بعد حصار طويل ومعارك دامية.(٢٤)

ثم كانت للمرابطين وقعتان حربيتان مع الاسبان في شمال الاندلس، عدتا من الوقائع المهمة في تأريخهم، احداهما موقعة اقليش التي قادها ابو طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين. احرز فيها المسلمون نصرا عظيماً على القشتاليين وقتل فيها شانجة بن الملك الفونس، وكثير من اقطاب الدولة القشتالية، واستولى المرابطون على حصن اقليش عنوة واخضعوا كثيراً من المدن والحصون القريبة منه، وقد عد المؤرخون هذه المعركة ذروة قوة المرابطين واكبر معاركهم بعد الزلاقة حتى سموها الزلاقة الثانية وذلك سنة ٥٠٢ هـ.(٢٥)

اما المعركة الثانية، فهي موقعة افراغه التي حدثنت سنة ٥٢٨ هـ بين المرابطين والاسبان في شمال الاندلس، حيث اوقع المرابطون بالاسبان فيها الهزيمة، واعادوا الى المرابطين هيبتهم العسكرية بعد ان اضعفتها الفتن الداخلية والاضطرابات المحلية الى جانب الاعتداءات الخارجية عليها باستمرار، وقد بلغ عدد الثورات المحلية ضدهم في الاندلس اكثر من عشرة اخطرها ثورات غرناطة للمدة من (سنة ٤٩٢ الى ٥٣٩ هـ)، والثورات في شرقي الاندلس التي دامت قوية ومؤثرة حتى سنة ٥٦٧ هـ.

خامساً : زوال دولة المرابطين:

حكم امير المسلمين يوسف ابن تاشفين المغرب العربي والاندلس خمسين عاماً، كان خلالها حسن السيرة عادلاً يميل الى الدين والعلم واهله كان يقدمهم ويكرمهم، ولما ملك الاندلس، جمع الفقهاء واحسن اليهم ، فاشاروا عليه ان يراسل الخليفة العباسي ويخطب له، ففعل ذلك وارسل رسولا الى الخليفة المستظهر بالله العباسي ومعه الهدايا الكثيرة ، ويذكر له مافتح الله له من بلاد الفرنج، وما اعتمده من نصرة الاسلام، ويطلب التقليد بولاية البلاد، فكتب اليه الخليفة بالتقليد من ديوان الخلافة ولقبه (امير المسلمين) وهو الذي بنى مدينة مراكش للمرابطين.(٢٧)

فلما توفي الامير يوسف سنة ٥٠٠ هـ ملك بعده البلاد ولده علي بن يوسف وتلقب ايضا (امير المسلمين) فازداد في اكرام العلماء والوقوف على ارائهم، غير ان دولة المرابطين اخذت بالضغف ، وساءت أحوال الاندلس الداخلية والخارجية واخذ الفونس يشن

الغارات على اطراف الولايات الاسلامية وحاول بنو هود الخروج عن طاعة المرابطين، فضلاً عن خطر الموحدين الذين ظهرت دولتهم في الشمال الافريقي وصار على الامير الجديد على بن يوسف بن تاشفين ان يواجه هذه الاخطار جميعاً .(٢٨)

ففي الاندلس كانت عدة معارك بين جيش المرابطين بقيادة تميم بن يوسف اخي الامير علي بن يوسف وبين الاسبان في الاندلس ، وخاصة في السنوات (٥٠٢، ٥٠٢، ٥٠٤هـ) اوقع المسلمون فيها بالاسبان، لكن العدو استطاع بعد ذلك ان يستولي على سرقسطة سنة ٥١٣ هـ، واستولى ايضا على قلعة ايوب شرق بلاد الاندلس، وكانت من امنع قلاع الاندلس الاسلامية في ذلك الوقت، واصبحت هذه الهزائم عاملاً حاسماً لاضعاف قوة المرابطين في الاندلس.

اما في شمال افريقية ، فقد ناوأ الموحدون، المرابطين منذ سنة ٥١٦ هـ وقد زاد الامر في ضعف هذه الدولة وعجزها عن مواصلة الدفاع عن الاندلس ضد العدو، وكان المرابطون قد عينوا اعداداً من الولاة على مدن الاندلس، ولم يولوا عليها شخصاً واحد الى ان انقرضت دولتهم هناك على يد المتوكل محمد بن هود من بني هود ملوك سرقسطة وجهاتها، وملك المتوكل معظم الاندلس من المرابطين واطلق على نفسه اسم السلطان، ولم ينازعه احد هنا، فلما قتله وزيره بالمرية اضطربت احوال البلاد وزاد الامر سوءا حتى ملك بنو الاحمر غرناطة، وبقي غرب الاندلس يخطب لصاحب افريقية الى ان زال حكم العرب نهائياً في الاندلس .(٢٩)

اما الموحدون، فقد اوقعوا بالمرابطين في عدة معارك بالمغرب كان اخرها سنة ٥٤٠ هـ التي قتل فيها تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين في وهران وولي مكانه ابنه اسحق الذي كان اخر ملوك المرابطين.

الفصل الثالث

الموحدون في الاندلس

اولا : قيام دولة الموحدين في المغرب :

بدأت دعوة الموحدين بالمغرب سنة ٥١٤ هـ عندما اعلن زعيمهم محمد بن عبد الله بن تومرت الثورة على المرابطين في قرية تينمل جنوب المغرب، وكانت حركته اول امرها، حركة دينية تدعو الى التوحيد وعلم الاعتقاد، في المغرب العربي ولذلك سمي اصحابها (الموحدون) ثم تحولت هذه الحركة الدينية فيا بعد الى حركة سياسية(٣٠)

ومحمد بن تومرت هذا، علوى حسيني من قبيلة المصامدة، بدأ حياته رحالة في طلب العلم والدين، رحل من بلاد المغرب الى الاندلس ومنها رحل الى الشرق، القاهرة ، ثم الى بغداد وتلقى هناك علومه ودراساته، فاتقن علم الاصول والعربية والفقه، وقد اتصف بالزهد والورع، فلما عاد الى المغرب استقر في قرية (تينمل) المذكورة، والتف حوله التلاميذ والمريدون، فلما كثروا، اعان ثورته وتمرده على الحكم القائم، واشتبك مع المرابطين في اول معركة سنة ٥١٧ هـ، سميت معركة البحيرة لكنه لم يحقق شيئا.

لقد قامت فكرة الموحدين على اساس الامانة الدينية ونظرية المهدي المنتظر، ولما كثر اصحاب ابن تومرت واتباعه، تلقب بالمهدي ، وبايعته القبائل هناك على انه (المهدي المنتظر) وحول حركته الدينية السلمية، الى حركة سياسية تعتمد طريق النضال والقوة من اجل التغيير، ولذلك جهز جيشاً كبيراً سنة ٥٢٤ هـ الى مراكش، بلغ تعداده اربعين الفا، وحاصر امير المسلمين ابن تاشفين زعيم المرابطين عشرين يوماً، لكنه لم يفلح في مهمته، حيث تصدى له ابن تاشفين، وهزم جيش الموحدين، فلما بلغ خبر هذه الهزيمة الى المهدي المنتظر، مرض وتوفي بعد ان اوصى اصحابه باطاعة عبد المؤمن ولقبه بـ (امير المؤمنين) .(٣١)

تولى عبد المؤمن بن علي الكومي امر الموحدين، وهو من تلامذة ابن تومرت والملازمين له منذ عودته من المشرق، وقد بايعه الموحدون بوصية استاذهم ابن تومرت لما لمسوه فيه من الفضل والعلم والدين والعزيمة والشجاعة ورجاحة العقل، فخرج عبد المؤمن

سنة ٥٢٨ هـ الى المرابطين واستولى على كثير من الجبال الخاضعة لنفوذهم ، ثم خرج سنة ٥٢٩ هـ الى تلمسان ووهران وقاتل جيوش علي بن يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين، فهزمه وقتله. ثم استولى عبد المؤمن على مدينة فاس، واخذ اغادير ، ثم سار الى مراكش حاضرة المرابطين . فاخذها بعد حروب كثيرة وطاحنة، فاستولى عليها وامسك بالامير اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وقد ولي امر المرابطين بعد مقتل ابيه وقتل اسحق مع عدد من امراء المرابطين، وذلك سنة ٥٤١ هـ. فكان اخر امراء المرابطين وبذلك انقرضت دولتهم بالمغرب ، وصار الامر لعبد المؤمن بتلك الديار دون منازع واتت القبائل من كل حدب وصوب ، ودخلت في طاعة الموحدين، واستوثق امر المغرب لهم، ثم فتح عبد المؤمن بلاد افريقية ومد نفوذه الى برقة، وخطب له على جميع المنابر في هذه البلاد .(٣٢)

ثانيا : الموحدون يستولون على الاندلس:

كانت الاندلس في هذه الفترة، تعيش حالة من الفرقة والانقسام بين الامراء والحكام العرب من جهة، في حين تداعى نفوذ المرابطين فيها وضعف من جهة اخرى. وتراجع العرب في هذه البلاد امام الممالك الاسبانية في الشمال التي استولت على كثير من بلاد العرب ومدنهم هناك من جهة ثالثة، ومع ذلك، انقسم العرب بالاندلس على ثلاثة اتجاهات، الاول يريد التمسك بالمرابطين والدفاع عنهم في هذه البلاد، والثاني يدعو الى وحدة الاندلس والقضاء على حالة الفرقة والانقسام، والثالث يدعو الى الاستنجاد بالموحدين الذين ظهروا في الشمال الافريقي بوصفهم قوة جديدة تهدف الى القضاء على حكم المرابطين المتداعي من جهة، ويمكنهم من الوقوف بوجه الخطر الذي يهددهم جميعاً من ممالك الاسبان في الشمال من جهة اخرى. وكان لهذا الاتجاه الغلبة اخيراً ودخل الموحدون الاندلس .(٣٣)

تطلع عبد المؤمن زعيم الموحدين الى الاندلس بعد ان خضعت له جميع بلاد المغرب العربي وقضى على دولة المرابطين هناك. وكان يهدف الى اعادة مجد العرب المسلمين بالاندلس على ماكان في عهد الامويين، واخذ يستعد للجهاد ضد الفرنجة في تلك الديار، وامر ببناء السفن لهذا الغرض، فلما كانت سنة ٥٤٦ هـ سير عبد المؤمن جيشاً كبيراً الى الاندلس بلغ تعداده نحو عشرين الف فارس بقيادة ابي حفص عمر بن يحيى، وسير معهم اهلهم ونساءهم، فلما عبروا المضيق ساروا الى غرناطة ، وبها جمع من المرابطين فحاصروهم وقبضوا عليهم، فاعلن صاحب وادى آش تأييده للموحدين وصاروا مع جيش ابي حفص

ثم سار جيش الموحدين الى شرق الاندلس بقصد مرسية، فاستنجد صاحبها بالفرنجة أصحاب برشلونة ، فعاد عسكر الموحدين عنها وحصروا المرية وهي للفرنج ايضا، ثم رحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية واقاموا بها، وكان صاحب جيان قد اعلن ولاءه ايضا للموحدين ودخل في طاعتهم، ثم تساقطت مدن الاندلس واحدة بعد الاخرى بايدي الموحدين، ولم تتأخر عن ذلك سوى مرسية وبلنسية وجزائر ميورقة ومينورقة ويابسة .(٣٥)

ولما اتسعت دولة الموحدين وشملت الاندلس الى جانب المغرب العربي استعمل زعيمهم عبد المؤمن، اولاده على البلاد، فاستعمل ولده ابا محمد عبد الله على بجاية واعمالها، واستعمل ابنه ابا الحسن عليا على قادس واعمالها، وولى ابنه ابا سعيد على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة، وكذلك غيرهم .(٣٦)

وعندما ولي ابو سعيد بن عبد المؤمن سبتة والجزيرة الخضراء ومالقه، عبر البحر الى الاندلس سنة ٥٥٢ هـ وبلغ مالقه واتخذها دار له، فكاتبه ميمون بن بدر اللمتوني المرابطي صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول في دعوة الموحدين وان يسلمه غرناطة، فقبل ابو سعيد بن عبد المؤمن ذلك منه وتسلم غرناطة، وسار ميمون الى مالقة باهله وولده، فتلقاه ابو سعيد واكرمه ووجهه الى مراكش حيث استقبله عبد المؤمن واكرمه، وبذلك انقرضت دولة المرابطين بالاندلس ايضا، ولم يبق لهم الا جزيرة ميورقة، اما ابو سعيد فانه لما ملك غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المرية، وهي بايدى الفرنج الذين اخذوها من المسلمين سنة ٥٤٢ هـ، فلما وافاها وجاءه الاسطول من سبتة، وحاصرها من البر والبحر، وضيق عليها الحصار مدة ثلاثة اشهر، وعجز الفونس واعوانه المسلمين من دفعهم عنها، اضطرت الى الاستلام بالامان، فتسلمها ابو سعيد ورحل الفرنج عنها في البحر عائدين الى بلادهم .(٣٧)

ثم عزم عبد المؤمن أن يخرج بنفسه الى الاندلس للجهاد ضد العدو الفرنجي فتجهز سنة ٥٥٨ هـ، واجتمع له جيش كبير بلغ عدده ثلثمائة الف مجاهد وثمانية الاف متطوع من الفرسان ومائة الف راجل، وكلهم من الموحدين من عرب المشرق وعرب المغرب والموالي وغيرهم، لكنه مالبث ان مرض وتوفي في هذه السنة دون ان يتمكن من تحقيق امنيتة في الجهاد .(٣٨)

ولما توفي عبد المؤمن سنة ٥٥٨ هـ، ولي امر الموحدين في بلاد المغرب وافريقية (تونس) والاندلس، ابنه يوسف وبايعه شيوخ الموحدين وعامتهم، ودعي (امير المؤمنين) واستقرت له قواعد الامور في هذه البلاد، وكان ابو يعقوب يوسف حسن السياسة

والتدبير محبا للجهاد، فلما ولي الخلافة على الموحدين سار على سياسة ابيه، فجمع الاموال، واكثر من شراء السلاح ودرب الجند .(٣٩)

وجه ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن اهتمامه لحرب الاسبان بالاندلس، فامر اخاه ابا حفص سنة ٥٦٥ هـ بالمسير اليهم، فسار ابو حفص على رأس جيش يتأبف من عشرين الف جندى سوى المتطوعين، وغزا طليطلة وغنم منها الكثير، ثم عاد ظافراً منتصراً

وفي سنة ٥٨٠ هـ عزم يوسف بن عبد المؤمن على حرب الاسبان في الاندلس بنفسه، وكان قد بلغه ان الفونس اغار على قرطبة، وغرناطة ورندة، ومالقة وغيرها، فجهز جيشاً جراراً من عرب افريقية وزناتة ومصمودة وغمارة وصنهاجة، وجاز المضيق الى بلاد الاندلس، ونزل بمرسى جبل الفتح (جبل طارق) ثم سار الى الجزيرة الخضراء ثم الى اشبيلية واستولى على مدينة شنترين غربي الاندلس هذه السنة ، ثم غزا مدينة لشبونة حاضرة البرتغال، ثم التقى جيش الموحدين جيش الاسبان في معركة حاسمة كادت تقع على جيش يوسف لولا ان صمد هؤلاء المسلمون واوقعوا بالعدو الهزيمة غير ان يوسف بن عبد المؤمن جرح في هذه المعركة، ولم يلبث ان مات من جرائها وهو عائد في طريقه الى الجزيرة الخضراء في ١٢ ربيع الاول من هذه السنة، وحمل جثمانه الى المغرب حيث دفن الى جوار ابيه في قرية تينمل .(٤٠)

ولما توفي يوسف، ولم يكن قد اوصى لاحد، اتفق راى قادة الموحدين واولاد عبد المؤمن، على تولية ابنه يعقوب، وتلقب (بالمنصور) وذلك سنة ٥٨٠ هـ حتى سنة ٥٩٥ هـ، فقام يعقوب في الامر احسن قيام، ورفع راية الجهاد، واحسن السيرة في الناس، وكان دينا مقيما للحدود في الخاص والعام، فاستقامت له الدولة، وانقادت اليه باسرها، ورتب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال، ثم عاد من الاندلس الى مراكش، ولم يزل كذلك في سياسته الى ان توفي .(٤١)

موقعـــة الارك :

كانت المشكلة التي واجهت يعقوب بن يوسف في الاندلس ، تطاول الاسبان على العرب وتعرضهم لمدنهم الكثيرة واحدة بعد اخرى. لذلك عبر يعقوب المنصور البحر الى الجزيرة الخضراء سنة ٥٨٥ هـ، وسار حتى نزل شنترين، واغار على لشبونة وما جاورها، وقتل وسبى من الاسبان الكثير من ثم عاد الى المغرب ومعه ثلاثة عشر الف اسير، وكان الفونس قد طلب منه الهدنة لمدة خمسة اعوام لما لاحظه من انتصار المسلمين على النصارى هناك، فاجابه يعقوب المنصور الى ماطلب، ولكن الفونس مالبث ان نقض الهدنة بعد

ان جمع قواته واستعد لحرب المسلمين، وكتب الى يعقوب المنصور كتاباً يطلب منه ان ينزل له عن بعض الحصون والمدن، ومما جاء في هذا الكتاب ما يأتي :(٤٢)

(اللهم باسمك فاطر السموات والارض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله، وكلمته الرسول الفصيح، اما بعد ، فانه لايخفى على ذي ذهن ثاقب، ولاذى عقل لاهب ، انك امير الملة الحنيفة، كما اني امير الملة النصرانية، وقد علمت الان ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال امر الرعية، واخلادهم الى الراحة، وانا اسومهم بحكم القهر واخلاء الديار، واسبي الذراري، وامثل بالرجال، ولاعذر لك في التخلف عن نصرتهم اذا امكنتك يد القدرة)

فلما تسلم يعقوب المنصور هذا الكتاب، رده الى الفونس بعد ان كتب على ظهره ما يأتي (ارجع اليه، فلتأينهم بجنود لاقبل لهم بها، ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون) ثم ختم هذه الاية الكريمة بقوله : (ماترى لا ماتسمع).

ثم جمع يعقوب الجيوش من الامصار وسار بهم من مراكش، ثم عبر المضيق الى الاندلس، ومعه شيوخ الموحدين، والفقهاء والزهاد، حتى بلغ موضع بنواحي بطليوس يسمى (الارك) حيث جمع الفونس الثامن ملك قشتالة حشوده هناك، وعقد يعقوب المنصور، اللواء لابي يحي بن ابي حفص وبقي هو على راس الجيش الموحدى، ثم دارت بين الفريقين معركة رهيبة في شهر شعبان من سنة ٥٩١ هـ، تجلت عن نصر ساحق للمسلمين وولى الاسبان الادبار، واعمل فيهم المسلمون السيف واسروا عددا كبيراً منهم، ودخل الموحدون حصن الارك ونجا الفونس ونحو ثلاثين فارساً من حرسه الخاص، في حين بلغ اسرى الارك اربعة وعشرين الفا، ثم اطلق يعقوب المنصور سراحهم، وكان عدد من قتل من الفرنج (١٤٦) الفاً، وغنم المسلمون منهم الكثير، واستشهد من المسلمين نحو عشرين الفا. ولما انهزم الفرنج اتبعهم ابو يوسف يعقوب المنصور فرآهم قد اخلوا قلعة رباح وساروا عنها من الرعب والخوف، فملكها وجعل فيها واليا وجنداً، يحفظونها وعاد الى اشبيلية ولما انهزم الفونس حلق راسه ونكس صليبه وركب حماراً واقسم ان لايركب فرساً ولابغلاً، حتى ينتصر، فجمع جموعاً عظيمة وقصد يعقوب المنصور في ربيع الاول سنة ٥٩٢ هـ، فخرج اليه يعقوب من اشبيلية بعد ان جمع الجموع من الاندلس ومراكش، ودارت بين الفريقين معركة عنيفة انهزم فيها الفرنج هزيمة كبيرة وغنم المسلمون اموالهم وسلاحهم، ثم توجه يعقوب الى طليطلة فحاصرها حصاراً شديداً، وفتح عدة حصون في اطرافها، الامر الذي اضعف الاسباب في هذه الديار، في حين عظم امر الاسلام فيها، ثم عاد بعد ذلك يعقوب الى اشبيلية واقام بها حتى دخلت سنة ٥٩٣ هـ، فخرج الى بلاد

الفرنج مرة اخرى فخافوه واجتمعوا على صلحه، فاجابهم الى ماطلبوا وصالحهم مدة خمس سنين وعاد الى مراكش اخر سنة ٥٩٣ هـ .(٤٣)

وفي هذا الوقت الذي انتصر فيه المسلمون على الاسبان بالاندلس، تأهب الصليبيون في المشرق لحرب صلاح الدين الايوبي الذي هزمهم في موقعه حطين سنة ٥٨٣ هـ، وحرر، بيت المقدس، ولما تتابعت اساطيل الصلبيين على الاسكندرية بهدف غزو مصر وبلاد الشام وايقاع الهزيمة بصلاح الدين، فكر صلاح الدين في طلب النجدة من يعقوب المنصور زعيم الموحدين بافريقية والاندلس وارسل له كتاباً وهدية ثمينة، فقبلها المنصور وجهز مائة وثمانين سفينة حالت دون استيلاء الصليبين على سواحل الشام اخذاً بنظر الاعتبار ان ملوك المغرب كانوا ينفوقون كثيراً على ملوك الشرق في انشاء السفن الحربية للجهاد، لحاجتهم الكبيرة اليها في اجتياز البحر من الاندلس والى الاندلس .(٤٤)

موقعة العقاب :

لما توفي يعقوب المنصور سنة ٥٩٥ هـ ودفن بقرية تينمل مع ابيه يوسف وجده عبد المؤمن، بويع ابنه محمد بالخلافة من بعده، ولقب بـ (الناصر لدين الله)· وفي عهده، اخذت دولة الموحدين بالاضمحلال والافول، وتردت الاوضاع في افريقية والاندلس، ولعبت بهم الاهواء، واشتدت الازمات الاقتصادية، وتطاول النصارى على ديار العرب بالاندلس واصبحت المناصب الحكومية تباع وتشترى، وازداد الصراع بين مسلمي الاندلس والاسبان في الشمال، فضلا عن انشغال الموحدين بحروبهم مع الثوار والخارجين عليهم في الشمال الافريقي·

فلما اغار ملك الاسبان الفونس ، على ثغور المسلمين بالاندلس، ونهبها وسبى نساءها واطفالها، قرر الناصر لدين الله، ان يخرج لحربه ويدفع خطره عن ديار الاسلام بالاندلس· وكتب الى رعاياه بافريقية والاندلس ، والمغرب يدعوهم الى الحرب وجهاد العدو، فأتته الجيوش الى مراكش من جميع البلاد، وخرج بهم من مراكش في شهر شعبان من سنة ٦٠٧ هـ واجتاز البحر بهذه الجيوش، ونزل بجزيرة طريف حيث استقبله فيها قواد الاندلس ورؤساؤها، ثم سار ونزل اشبيلية .(٤٥)

قسم الناصر جيشه الى خمس فرق، فجعل عرب المشرق فرقة، وزناتة وصنهاجه والمصامدة وغمارة فرقة، وسائر قبائل المغرب الاخرى فرقه، وجعل المتطوعة وجند الاندلس فرقة، والموحدين فرقة، وامر كل فرقة ان تنزل في ناحية من نواحي الاندلس، فاوقع بذلك الرعب في قلوب الاسبان هناك· فطلب ملك بملونة الامان واستسلم للناصر

لدين الله· وحاصرت جيوش الناصر، حصن سلبطرة المنيع مدة ثمانية اشهر فاخذته، بعد ان مل الجند وقلت الاقوات، فلما عرف الفونس ماآلت اليه حال جند المسلمين من التعب والضعف، ودعا الجيوش من سائر ممالك الاسبان وسار لقتال المسلمين، وكان قد استعان بالبابا ليوجه الدعوة لجميع شعوب اوربا النصرانية لمساعدة الفونس ملك قشتالة، في حربه هذه ضد الموحدين المسلمين بالاندلس، فالتقى الجيشان عند هضبة تولوسا او (العقاب) ودارت معركة حاسمة، حلت الهزيمة بالمسلمين وتفرق جيشهم الذي زاد على ستمائة الف مقاتل، وولى الناصر لدين الله الادبار تاركاً وراءه الوف الشهداء ، فكانت الفاجعه الكبرى على العرب المسلمين هناك والهزيمة الشنيعة التي لم تقم لهم بعدها قائمة، وكانت هذه الموقعة المشؤمة في ١٥ صفر من سنة ٦٠٩ هـ، وعدت نذيراً بقرب سقوط الدولة الموحدية، وهي في الوقت ذاته نذير بافول شمس المسلمين بالاندلس، وجرس الخطر الذي انتهى بمأساة الاندلس التأريخية وزوال الحكم العربي الاسلامي عنها ·(٤٦)

ثالثاً : زوال دولة الموحدين :

كانت هزيمة العقاب ، ضربة قاسية للناصر لدين الله ودولة الموحدين بالاندلس، فلقد مرض على اثرها ومات كمدا، وولى الامر بعده ابنه يوسف الثاني، وكان في السادسة عشرة من عمره ، فطمع البعض بالملك، وسير الوزراء والقواد الامور، وبلغ عدد الملوك منهم حتى سنة ٦٤٦ هـ سبعة ملوك هم : يوسف الثاني الملقب بالمنتصر سنة ٦١٠ـ٦٢٠ هـ، وعبد الواحد المستضي سنة ٦٢٠ـ٦٢١ هـ، وعبد الله العادل سنة ٦٢١ـ٦٢٤ هـ، ويحيى بن محمد الناصر سنة ٦٢٤ـ٦٢٤ هـ، وادريس المأمون بن يعقوب سنة ٦٢٤ـ٦٢٩ هـ، والرشيد بن المأمون سنة ٦٢٩ـ٦٤٠ هـ، والسعيد بن المأمون سنة ٦٤٠ـ٦٤٦ هـ، وعلى عهده زال حكم الموحدين من الاندلس وانحصر نفوذهم في المغرب حتى سنة ٦٦٨ هـ على يد بني مرين، وكان قد حكم الموحدين في الفترة الاخيرة بالمغرب عمر المرتضى بن ابراهيم سنة ٦٤٦ـ٦٦٥ هـ، وابو دبوس سنة ٦٦٥ـ٦٦٨ هـ ·(٤٧)

وخلال هذه الفترة من حكم الموحدين ساءت حال الاندلس، وصار اهلها وجها لوجه مع جيوش الافرنج وتدفق زحفهم على بلاد المسلمين بعد ان اخذ شكل حروب صليبية عنيفة، فانهارت المدن الاندلسية الواحدة بعد الاخرى، واستسلمت القلاع لهم تباعاً، فاستولى العدو على قرطبة سنة ٦٣٣ هـ بعد حصار دام عدة اشهر، كما استسلمت بلنسية صلحاً لملك اراجون سنة ٦٣٦ هـ · وسقطت جيان سنة ٦٤٦ هـ، وكذلك طرطوشة، وسقطت لاردة وشاطبة ايضا سنة ٦٤٥ هـ، ثم كان سقوط مدينة اشبيلية سنة ٦٤٦ هـ،

بعد حصار دام سبعة اشهر، واعتبر سقوطها بايدى القشتاليين ختام مرحلة من تاريخ الاندلس وبداية مرحلة جديدة من تأريخ المسلمين فيها. وبعد ان دخلها القشتاليون بمعاونة بني الاحمر، جعلوها عاصمة لهم بدل طليطلة، ثم استولى القشتاليون سنة ٦٤٨ هـ على مدن اخرى في شرق الاندلس وغربها، فاخضعوا كلا من شريش واستجة، وقادس وامتد ملكهم الى غربي الوادي الكبير وحتى اراضي البرتغال، في حين سيطر الفونس الثالث ملك البرتغال على شلب وشنترية الغرب.(٤٨)

الفصل الرابع

المناهضة الاسبانية ضد العرب في الاندلس

بدأت حركة المناهضة الاسبانية ضد العرب، منذ توقفت فتوحات المسلمين عند قلعة لـك والصخرة في اقصى الشمال من بلاد الانـدلس (جيليقيـة) ، ولم يتوغلوا فيما وراء تلـك الصخرة لاعتقادهم (اي العرب) بانهم اكملوا فتح البلاد من هـذه النواحي، وحولوا اهتمامهم وجيوشهم صوب الشمال الشرقي باتجاه جبال البرانس ومـا وراءهـا من بلاد غـالـة، وكانت بداية هذه المقاومة بشكل واضح منذ استدعي القـائـد موسى بن نصير وطـارق الى دمشق تلبية لامر الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك.

وقـد ظهرت حركـة المقـاومـة الاسبـانيـة هـذه، بقيـام عـدد من الـدويلات والممالـك الاسبـانيـة، كانت من بين العوامل الكثيرة التي انتهت بـاخراج العرب من الانـدلس ولـو بعد مئات السنين كما سنرى، وفيما يلي اهم هذه الممالك الاسبانية :ـ

اولاً : مملكة جيليقية :

لما تم للعرب فتح الاندلس على يد طـارق بن زيـاد وموسى بن نصير، تجمعت بقـايـا فلول القوط المهزومة في هضاب ووديان جيليقية البعيدة وكان من بين الهاربين عـدد من اهل لـذريق ونفر من كبـار القوط، وعـدد من القسـاوسـة ورجـال الـدين، واتخـذوا من صخرة بلاى في اقصى الشمال الغربي من البـلاد مقرا لهم، وكـونـوا بـذلـك بـدايـة حركـة المقاومة ضد العرب المسلمين في الاندلس، وكونوا اول دويلة في تلك المنطقة سميت مملكـة جيليقية، وملكوا عليهم بلاي، فاقام بهم حتى هلك سنة ١٣٣ هـ .(٤٩)

وقـد اختلفت الروايـات في موضوع بلاي، فقيل انـه ابن اخي لـذريق، اختلف مـع عمه لذريق فنفاه عن طليطلة قبيل دخول العرب الاندلس، فذهب الى اشتريش بالشمال، واقـام نفسـه اميرا هنـاك، وقيل انـه هرب الى اشتريش لمـا دخل العرب الانـدلس وقتلوا

لذريق، وتزعم القوط فيا بعد لمقاومة العرب المسلمين في تلك المناطق، وقيل انه كان من اهل اشتريش وجيليقية اصلا وليس قريباً من لذريق، لكنه انضم الى لذريق عندما وثب على غيطشه واعانه على ادراك العرش، فقربه لذريق وجعله حامل سيفه، واستمر بلاي مع لذريق حتى دخل العرب الاندلس وقتل لذريق، وصار بلاي من بين الاسرى لدى العرب الفاتحين الذين احتفظوا به رهينة في قرطبة، فلما كانت ولاية الحر عبد الرحمن الثقفي على الاندلس سنة ٩٧ هـ، تمكن بلاي ان يهرب من قرطبة واتجه الى شمال الاندلس حيث استقر في الصخرة من ارض جيليقية ، فالتف حوله عدد من القوط الهاربين امام المسلمين، واخذ يحرضهم على مقاومة العرب، ويعيب عليهم الاستسلام والتراجع امامهم، حتى استنهض هممهم لذلك، فثار معه النصارى وعملوا على اخراج المسلمين من البلاد .(٥٠)

وكان العرب المسلمون قد حاصروا بلاي واصحابه في الصخرة طويلا حتى مات اكثرهم جوعاً، ولم يبق سالماً منهم سوى بلاي وثلاثين رجلاً ونحو عشر نسوة، ولم يكن لهم من عيش سوى بعض عسل النحل يجمعونه من خروق الصخرة وهم محاصرون، ومازالوا على ذلك حتى تركهم المسلمون وفكوا الحصار عنهم وعادوا .(٥١)

وعلى هذا يمكن عد بلاي، اول من جمع الاسبان بالاندلس بعد ان فتحها العرب، وان الاسبان الذين تجمعوا معه وراء الصخرة من بلاد جيليقية هم الذين اختاروه ملكا عليهم، وشكلوا البداية على الطريق الطويل لاخراج العرب المسلمين، بعد ان وثب على بلادهم في ناحية الصخرة، ولعب دوراً مهماً في تأريخ اسبانيا النصرانية اللاحق، وكان الاسبان هناك قد جدوا في مدافعة المسلمين عما بايديهم من الاراضي فيا بعد .(٥٢)

وقد نشطت حركة بلاى في عهد ولاية عنبسة بن سحيم الكلبي على الاندلس (سنة ١٠٣ـ سنة ١٠٧ هـ)، واخذت حركته في النمو عندما وقعت فتنة ابي الخطار بالاندلس سنة ١٢٥ هـ، حيث انشغل المسلمون بنزاعاتهم الداخلية، وانصرفوا عن العدو الخارجي.

وكان قد سكن من المسلمين الفاتحين قرب الصخرة واطراف جيليقية، العرب المغاربة (البربر) وزعيمهم مونوسة، الذي كان من رؤساء الجند في جيش طارق بن زياد، ثم تركه موسى بن نصير قائداً للمسلمين في الركن الشمالي الغربي من الاندلس (جيليقية) وشمل نفوذه شمال شبه الجزيرة كله، وصارت له علاقات مصاهرة ومودة مع الامراء الاسبان هناك حيث تزوج عدداً من بناتهم، مع ذلك كان ذا نشاط وهمة في تلك البلاد، حتى وقع الخلاف بين العرب المشارقة انفسهم وبينهم وبين عرب المغرب (البربر) بالاندلس، بعد استكمال عملية الفتح خاصة وكثرت المنازعات بينهم وانشغل الجميع عن خطر العدو في الشمال، في هذه الظروف تشجع بلاي واخذ يتطاول على املاك المسلمين ويستولى

عليها، خاصة وقد تراجع الكثير من سكانها البربر الذين انسحبوا الى وسط الاندلس وجنوبها، واخليت معظم الاراضي هناك من سكانها، وصارت الثغور الاسلامية دون رقابة ولامدافعه وقد زاد ذلك من نشاط حركة المقاومة الاسبانية هذه، ونجحت في استرداد الكثير من الاراضي والمدن الحدودية الاسلامية، حتى سميت هذه الحركة عندهم بحركة الاسترداد .(٥٣)

وقد نشط بلاي بن ناقيلا هذا بعد مقتل مونوسة سنة ١١٣ هـ، حيث خلا له الجو ، فوسع املاكه على حساب المسلمين حتى شمل سلطانه منطقة جيليقية كلها واشتريش، وكانتبرية، غير ان هذه الدويلة تراجعت مرة اخرى، وانزوت وراء الصخرة عندما ولي الاندلس عقبة بن الحجاج السلولي الذي نجح في استرداد الكثير من الاراضي التي استولى عليها بلاى من قبل، وكادت هذه الدويلة ان تنهار لولا اضطراب الامور بالاندلس مرة اخرى بين اليمنية والقيسية، عقب وثوب عبد الملك بن قطن ومن ومعه من اليمنية على السلطة سنة ١٢٢ هـ، فتنفس بلاي الصعداء واتسعت املاكه مرة اخرى على حساب المسلمين وقوي امره، وثبت اقدام دولته الجديدة بالاندلس .(٥٤)

توفي بلاي سنة ١٣٣ هـ/ سنة ٧٥١م، في وقت صارت فيه الاندلس الاسلامية تلتهب بالثورة والاضطراب، والمنازعات، فخلفه ابنه فاقيلا الصغير الذي مالبث ان توفي سنة ١٣٥ هـ، فاختار الجلالقة (الفونس الاول) دوق كانتبرية ملكاً عليهم، وبذلك اتحدت مقاطعة كانبترية مع جيليقية وتكونت منها ملكة اسبانية واحدة، وبذلك يمكن اعتبار الفونس الاول مؤسس هذه المملكة، واقترن عصره باتساع مفاجي على حساب المسلمين الذي اخلوا تلك المناطق وانسحبوا الى الجنوب، وقد مكن ذلك الفونس الاول من اخراج المسلمين من جيليقية وماجاورها، واخذت حدود الدولة العربية الاسلامية بالاندلس تتراجع الى نهر دويرة، حيث ثبتوا عند قورية ومـاردة، مخلفين وراءهم مراكز هامة، مثل ليون وسمورة، وغيرهما. واصبحت حدود الاندلس الاسلامية الشمالية قبيل مجيء عبد الرحمن الداخل الى الاندلس، تبدأ من ناحية الشرق، عند بنبلونة في اقصى الشمال الشرقي، ثم تنحدر الى تطيلة عند نهر ابرة، ومنها الى وادى الحجارة الى الشمال من طليطلة بين حوض الابرة والتاجة ثم طليطلة وطلبيرة في حوض التاجة. ثم قورية، وتنتهي الحدود عند قلمرية على ساحل المحيط الاطلسي، وبذلك تكون الاندلس الاسلامسة قد فقدت ما يقرب من ربع شبه الجزيرة قبل مقدم عبد الرحمن الداخل الى الاندلس سنة ١٣٨ هـ .(٥٥)

ولما توفي الفونس الاول بن بطرة سنة ١٤٢ هـ خلال حكم عبد الرحمن الداخل، خلفه ابنه فرويلة حتى توفي سنة ١٥٢ هـ، فخلفه ابنه اورال حتى سنة ١٥٨ هـ، ثم شبلوما حتى

سنة ١٦٨ هـ، ثم مورقاط حتى سنة ١٧٥ هـ حيث ولي حكم مملكة جيليقية الفونس الثاني، ثم ولي منهم رذمير سنة ٣١٩ هـ، على عهد الناصر فحاربه الناصر في غزوة الخندق سنة ٣٢٧ هـ، ولما هلك رذمير خلفه اخوه سانجة سنة ٣٣٩ هـ ثم هلك سانجة، وقام بالامر ابنه رذمير الثاني سنة ٣٥١ هـ، فتطاول على اراضي المسلمين بعد موت الحكم المستنصر، فلما قام الحاجب المنصور بن ابي عامر بامر الدولة الاموية، واقام الدولة العامرية، اثخن في اعمال رذمير وحاصره في سمورة وليون، فلما هلك رذمير سنة ٣٧٤ قام مقامه بزمند الذي خرج عن الطاعة والمصالحة مع الحاجب المنصور، فارسل اليه المنصور الجيوش حتى اذعن سنة ٣٨٥ هـ، واستولى المسلمون على مدينة سمورة سنة ٣٨٩، ثم ملك المنصور اشبونة، وصار اهل جيليقية في طاعته.(٥٦)

فلما صارت الفتنة الكبرى بالاندلس سنة ٤٠٠ هـ قام الاسبان في الشمال، وتغلبوا على قشتالة وجيليقية سنة ٤٠٦ هـ، واعمالها، واستمر ملكهم في عهد ملوك الطوائف يتسع، حتى فرض ملك قشتالة الجزية على ملوك الطوائف سنة ٤٥٠ هـ، ومازالوا يدفعونها له ويتقربون اليه دفعاً لشره، حتى تغلب المرابطون على الاندلس واخذوها من ملوك الطوائف وكان الفونس ملك قشتالة قد استولى على طليطلة من ملوك الطوائف سنة ٤٧٨ هـ، ولقبه الاسبان ملك الملوك، لما احرزه من نصر على المسلمين، وهو يوم اعتزاز الاسبان بجزيرة الاندلس، وهو الذي لقي بوسف بن تاشفين زعيم المرابطين بموقعه الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ، وكانت الدائرة عليه، وهو الذي كان قد حاصر بني هود في سرقسطة، واستولى على بلنسية سنة ٤٨٩ هـ، غير ان المرابطين استعادوها منه بعد ان اخذوا الاندلس كلها من ملوك الطوائف.(٥٧)

ولما مات الفونس، قامت بالامر مكانه زوجته، ثم تعاقب الملوك بعدها حتى وليهم الفونس الثامن ايضا يوم معركة الارك سنة ٥٩١ هـ، مع المنصور، ثم معركة العقاب حيث تراجع فيها ربح الموحدين، واستولى الفونس الثامن على مدن المسلمين ومعاقلهم، ولما هلك الفونس الثامن ولى الامر ابنه هراندة، وكان احول، وهو الذي استرجع قرطبة من بني هود في حين زحف ملك اراكون واسترجع شرق الاندلس كله، وسائر الثغور والقواعد الشرقية وانحاز المسلمون الى ساحل البحر، وملكوا عليهم ابن الاحمر بعد بني هود، ثم هلك هراندة وخلفه كثيرون حتى اجاز بنو مرين الى الاندلس لنجدة بني الاحمر وسلطانهم يومئذ يعقوب بن عبد الحق زعيم بني مرين، فلقيتهم جموع النصارى عند وادي لك، فهزمهم يعقوب، وجاء بعض ملوك الاسبان يطلبون الصلح معه، فعقد معهم الصلح والسلم بعد ان وفدوا عليه بالجزيرة الخضراء.(٥٨)

وقد ظل خلفاء من القونس الاول، يدفعون حدودهم باتجاه الجنوب في قلب الدولة العربية الاسلامية بالاندلس حتى تم لهم القضاء عليها واخراج العرب من الاندلس عندما سقطت غرناطة اخر معاقل العرب بايدي الاسبان سنة ١٤٩٢ م/ سنة ٨٩٧ هـ .(٥٩)

وكان الجلالقة يدعون الانتساب الى القوط، ويسمون انفسهم قوطاً ولذلك سارت نظم الحكم في مملكتهم، على سياسة دولة القوط القديمة ونظمها، واستمرت خواص المجتمع وطبقاته عندهم كما كانت عليه قبل الفتح العربي للاندلس.

هكذا قامت دولة الجلالقة وامتدت حدودها من بلاد البشكنس شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ، ومن المحيط شمالاً الى ما بعد ضفاف نهر دويرة جنوباً .

ثانياً مملكة ليون:

لما كانت الفتنة الكبرى بالاندلس في اواخر القرن الثالث الهجري، وانصرفت قوى الاسلام ومواردهم الى نزاعاتهم الداخلية، اشتد ساعد الاسبان في الشمال، وتوطدت اقدامهم، ولم يمض وقت طويل حتى قامت مملكة ليون التي خلفت مملكة جيليقية، وبسطت المملكة الجديدة سلطانها على ولاية قشتالة في اواسط اسبانيا الشمالية، وبلغت مكانة كبيرة من القوة في مواجهة الدولة العربية بالاندلس، وقد بلغ الصراع بينهم وبين العرب ذروته في عهد الناصر، حيث حقق الاسبان نصراً كبيراً على المسلمين في موقعة شانت اثيان سنة ٩١٧م، وماتلاها من غزو للاراضي الاسلامية، كان نذيراً خطراً لحكومة قرطبة العربية غير ان احوال مملكة ليون اضطربت بعد ذلك، في ايام الفونس الرابع خاصة، ومع ذلك، اوقعت قواتهم الهزيمة بقوات الناصر سنة ٣٢٧ هـ/ سنة ٩٣٩م عند اسوار مدينة سمورة .(٦٠)

ثالثاً : مملكة قشتالة :

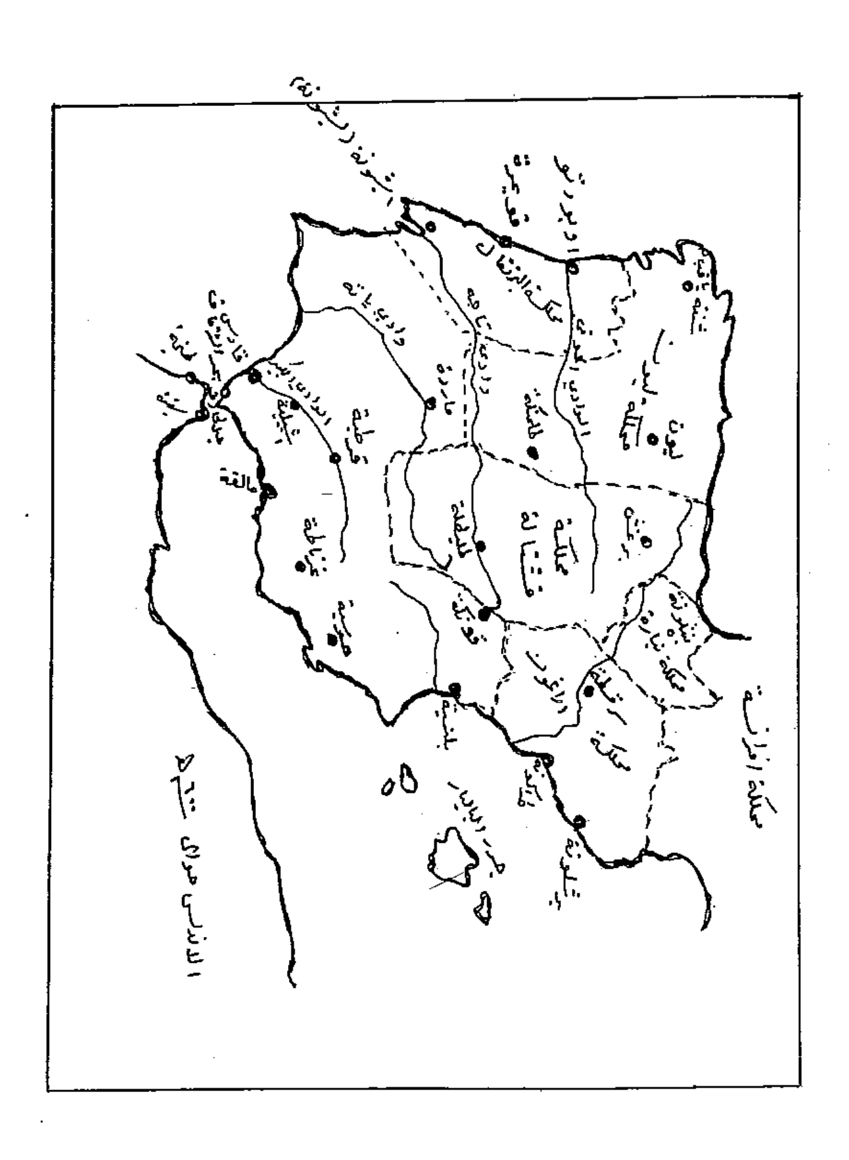
لما عمت الفوضى مملكة ليون، وانقسمت على نفسها من اجل ولاية العهد، وتعرضت لغزوات كثيرة من المسلمين، عندما حكمها الطاغية خاصة وابغضه الناس، وبشكل خاص اهالي قشتالة، عمل زعماء قشتالة على الانفصال عن مملكة ليون وكان اكثر سكانها من البشكنس وعاصمتهم القديمة برغش، وظلوا يعملون على الانفصال والاستقلال عن ليون، وقاموا اخيراً بثورة تحررية مكنتهم اخيراً من الاستقلال واقاموا مملكة خاصة لهم سموها (مملكة قشتالة) كان لها دور كبير في محاربة المسلمين. في حين اقتصرت مملكة ليون على جيليقية وليون وماجاورها .(٦١)

رابعاً : مملكة ناڤار (نبارة) :

نشأت هذه المملكة المستقلة في شمال شرق الانـدلس في اواخر القرن التـاسع الميلادي، وكانت عاصمتها بنبلونة، وخاضت حروباً كثيرة مع المسلمين بالاندلس وقد غزاهـا النـاصر سنة ٩٢٠م، وسنة ٩٢٤م ، ودخل عاصمتها بنبلونـة وخربهـا، غير ان امراء نـاڤـار، ارتبطوا بملوك قشتالة وليون بالمصاهرة، وقد تعاونوا جميعاً رغم خلافاتهم ونزاعـاتهم الكثيرة، للعمل ضد العرب، وعملوا سوياً على اخراجهم من الاندلس نهائياً، يعاونهم الاوربيون والبـابويـة اجمعون .(٦٢)

خامساً : مملكـة اراجـون :

نشـأت هـذه المملكـة الى جوار مملكـة نـاڤـار، وتمكن ملكهـا من الزحف على امـلاك المسلمين في شرقي الاندلس، واخذها كلها (شاطبة، دانية، بلنسبة، سرقسطة) وسـائر الثغور والقواعد الشرقية، من بني هود، وانحـاز المسلمون الى سـاحل البحر حيث ملكوا عليهم بني الاحمر، بعد بني هود .(٦٣)



مالقة
غرناطة
قرطبة

الفصل الخامس

تغلب العدو وعلى الاندلس وزوال حكم العرب فيها

كانت دولة الموحدين، اخر دولة عربية قوية بالاندلس، استظلت معظم شبه الجزيرة تحت رايتها، في عهد زعيمها عبد المؤمن بن علي خاصة الذي توفي سنة ٥٥٨ هـ، وعهد ابنه ابي يعقوب يوسف (سنة ٥٥٨ـ٥٨٠ هـ) حيث نعمت الاندلس في كنفهما بالهدوء والاستقرار ونشطت فيها حركة العمران وازدهرت آفاق الفن والعلم. غير ان دولة الموحدين مرت بمرحلة جديدة في عهد ابي يوسف يعقوب بن يوسف (سنة ٥٨٠ـ سنة ٥٦٥ هـ) الملقب بالمنصور، لما اجراه من تغيير في صلب عقيدة الموحدين حيث تبرأ من نظرية العصمة والامام المنتظر التي دعا اليها ابن تومرت عندما اقام دولتهم، ومع ذلك، يمكن عد ابي يوسف يعقوب من اعظم ملوك المغرب في سيرته واعماله وحروبه، فهو صاحب معركة الارك سنة ٥٩١ هـ مع الفونس الثامن ملك قشتالة، حيث حقق فيها نصراً ساحقاً للمسلمين.

فلما توفي ابو يوسف يعقوب المنصور سنة ٥٩٥ هـ، اخذت دولة الموحدين بالاضحلال والافول، ولاسيا بعد موقعه العقاب التي نشبت بين المسلمين سنة ٦٠٩ هـ بقيادة زعيم الموحدين ابي عبد الله محمد الناصر، وبين الاسبان بقيادة الفونس ملك قشتالة الذي استعان بالبابا وشعوب اوربا، فلما التقى الجيشان، دارت الحرب على المسلمين، وكانت هذه المعركة سبباً اساسياً في ضعف العرب النهائي في الاندلس والمغرب ضد العدو.

تجسمت مأساة الاندلس بشكل واضح بعد هذه المعركة، وخاصة بعد وفاة زعيم الموحدين الناصر خاصة سنة ٦١٠ هـ حزناً والماً عليها، واصبحت الاندلس بعد خروج الموحدين منها، وجهاً لوجه امام قدرها ومصيرها فالفوضى تعصف في البلاد، والرعب يسيطر على كل شيء وجيوش الافرنج تجوس البلاد وتنشر الدمار، وذهبت صرخات الاستنجاد ادراج الرياح، في حين تدفق الزحف الاوربي الذي اخذ شكل حرب صليبية عنيفة، فانهارت المدن الاندلسية الكبيرة الواحدة تلو الاخرى، واستسلمت القلاع والحصون وبعد مقاومات اختلفت من منطقة الى اخرى، فاستولى العدو عليها تباعاً، ولم يزل العدو على ذلك حتى تمكن من التغلب على جميع بلاد الاندلس، واخرج العرب المسلمين منها

بعد ان امضوا فيها ثمانية قرون واضطر من بقي منهم في بلاد الاندلس بعد ذلك، على التنصر او الموت.

وفيما يلي عملية استيلاء العدو على المدن العربية والقلاع واخذها من ايدي العرب المسلمين بالاندلس.

اولاً : العدو يستولي على المدن والقلاع العربية

بدأ استيلاء الاسبان على المدن العربية بالاندلس منذ النصف الثاني للقرن الخامس الهجري حيث خضعت البلاد لحكم ملوك دول الطوائف، وافترقت كلمة العرب هناك، في حين قويت كلمة الفرنج وتجمعت.

وفيما يأتي بعض هذه المدن التي اخذها العدو :

١ - طليطلــــة :

كانت طليطلة، اول مدن الاندلس العظيمة التي استردها العدو، حيث اخذها من بني ذى النون سنة ٤٧٥ هـ، وقيل سنة ٤٧٨ هـ بعد هجمات استمرت سبع سنين، فلما استولى الفرنج عليها، خرج ابن ذي النون منها على اقبح صورة، وفرض الكفر على المدينة واهلها، ولاقى المسلمون فيها من النصارى مالا يطاق، وشرع العدو سنة٤٩٦ هـ بتغيير الجامع الكبير الى كنيسة، وذكر، انه لما جاء خطيب الجامع الى الصلاة، وبدأ يقرأ القرآن دخل عليه عدد من النصاري، واهانوه بداخله، فبكى الخطيب على حال المسلمين هناك، وعلى الجامع، بكاءاً شديداً وخرج بعد صلاته، ولم يتعرض له احد .(٦٤)

وطليطلة مدينة قديمة بناها سكان الاندلس القدماء على ضفة النهر الكبير، ولها قصبة حصينة في غاية المنعة، وبها قنطرة عجيبة البنيان تقوم على قوس واحد، والماء يدخل تحته، بعنف وشدة جريان، وعلى اخر النهر ناعورة بلغ ارتفاعها تسعين ذراعاً، وكان ابن ذي النون قد بنى بها قصراً تأنق في بنائه، وانفق عليه المال الكثير، وجعل في القصر بحيرة، وبنى في وسطها قبة، وسيق الماء الى راس القبة بتدبير احكم المهندسون صنعه، فكانت القبة في ظلالة من ماء سكب لايتغير، والمأمون بن ذى النون جالس فيها، لايمسه من الماء شيء، وبينما هو جالس فيها اذ سمع منشداً ينشد هذه الابيان:

ابتني بنـاء الخالديـن وانمـا	بقاؤك فيها لو علمت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية	ان كل يوم يعتريـه جميـل

٢ ـ قرطبـــة :

لما ضعف امر المسلمين بالانـدلس في عصر ملوك الطوائف، صـارت قرطبـة لبنى عبـاد الذين اضطروا لدفع الجزية لملك قشتالة بعد ان حاصرها سنة ٥٤٥ هـ، الفونس صـاحب طليطلة، فلما بلغ خبر هـذا الحصـار الى امير الموحـدين بـالمغرب الامير عبـد المؤمن، عبر البحر الى الاندلس للدفاع عنها، فلما اقترب جيشه من جيش الفونس، رحل الفرنجـة عن قرطبة، وعـاد كل واحـد منهم الى بلـده، وبـذلـك انقـذت قرطبـة من السقوط ، ولو الى حين، بايدي الفرنجة(٦٥)

فلما تأخر ابن عبـاد بعـد ذلـك عن دفع الجزيـة المقررة للفونس، طلب الفونس منـه بعض الحصون، واراد ادخال زوجته في جامع قرطبة لتلـد فيـه بنـاءاً على مشورة القسس والاساقفة، وكان الاطبـاء والقسـاوسـة قـد اشـاروا على الفونس، ان تسكن هـذه المرأة في الزهراء غرب قرطبـة، وتتردد على الجـامـع المـذكـور، الـذي كان قـد بني على كنيسـة لهم هناك، ولتكون ولادتها، بين طيب نسيم الزهراء، وبين فضيلة موقع الكنيسـة من الجـامع، وكان سفير الفونس الى ابن عباد في هذه الطلبـات وزيره اليهودي، فلمـا امتنع ابن عبـاد من ذلك، الح عليه اليهودي في الطلب، واغلظ القول معه، فاستـاء ابن عبـاد من ذلـك، واخذ بيده محبرة كانت امامه، وضرب بها راس اليهودي، وانزل دماغه في حلقـه، وامر بـه فصلب منكوسا بقرطبة.

ولما تطاول ملك الفرنج مرة اخرى على بلاد المسلمين بـالانـدلس، وحـاصروا قرطبـة، عبر يعقوب بن عبد المؤمن امير الموحدين البحر سنة ٥٩١ هـ، واوقع بالفرنج عند قرطبـة في موقعة الارك الشهيرة، والتي انهزم فيها الفونس شر هزيمة وطلبوا الصلح، فاجـابهم زعيم الموحدين الى ماطلبوا سنة ٥٩٣ هـ، لكن الفرنج مـالبثوا ان حـاصروا قرطبـة مرة اخرى سنة ٦٣٣ هـ، فاخذوها بعد حصار دام بضعة اشهر، كلف اهالي قرطبة كثيراً من الضحايا دفاعاً عن الوطن والحرية .(٦٧)

٣ ـ اشبيليـــة :

كانت اشبيلية لابن عباد مع قرطبة، فلما قتل ابن عبـاد سفير الفونس اليهودي، وبلغ خبره الى الفونس، جهز جيشـاً كبيراً وسـار نحو ابن عبـاد في اشبيليـة، وبلـغ النهر الكبير وعسكر قبالة قصر ابن عبـاد، وتردد الرسل بين الجـانبين، واغلـظ احـدهمـا القول للاخر، وقـد دفع ابن عبـاد الى مراسلـة يـوسف بن تـاشفين امير المرابطين بـالمغرب، وقيـل سـار بنفسه اليـه، فجـاء المرابطون الى الانـدلس واجتمع لهم ملوك وامراء الطوائف بـالانـدلس،

وخرج الفونس لملاقاتهم، على ماتقدم، من طليطلة، وخرج جيش ابن عباد للحرب وعلى راسه ابنه عبد الله الذي سار وهو ينشد لنفسه متفائلاً :

لابد من فرج قريب	يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك	سيعود بالفتح القريب
لابد من يوم يكون	له اخا يوم القليب

ولما وافت جيوش المسلمين بطليوس، خرج اليهم صاحبها ابن الافطس لينضم اليهم، وكتب يوسف بن تاشفين الى الفونس يعرض عليه احدى الثلاث المأمور بها شرعاً (الدخول في الاسلام، او دفع الجزية، او الحرب) واستاء الفونس من ذلك، وهاجت الحرب، وحمي الوطيس في معركة سميت (الزلاقة) وانهزم فيها العدو وطعن الفونس في احدى ركبتيه، وانتصر المسلمون، وتشتت شمل الفرنج، وحصل المسلمون على غنائم كثيرة، فعاد ابن عباد الى اشبيلية،وعاد يوسف بن تاشفين الى المغرب، ثم خضعت اشبيلية وقرطبة لحكم المرابطين ومن بعدهم للموحدين حتى كانت موقعه العقاب مع الفرنج سنة ٦٠٩ هـ بين امير الموحدين محمد الناصر وبين الفرنج وانتصر فيها العدو على المسلمين، وتراجع امير الموحدين في هذه البلاد حتى تمكن العدو من الاستيلاء على اشبيلية سنة ٦٤٦ هـ، حيث عد سقوطها ختام مرحلة من تأريخ الاندلس وبداية مرحلة جديدة من تأريخ المسلمين فيها .(٦٨)

لم يكن الاستيلاء على اشبيلية سهلاً، فقد جاء بعد حصار طويل دام سبعة عشر شهراً، خاضت خلالها جيوشها معارك دامية مع القشتاليين الذين قطعوا عنها كل عون من الخارج، وقد ابدى اهلها بسالة وبطولة نادرتين، ولما دخلها ملك قشتالة جعل منها عاصمة لملكه بدلا من طليطلة ولم يمض على ذلك سنتان حتى استولى القشتاليون على مدن صغيرة اخرى في شرق الاندلس وغربها، فاخضعوا كلا من شريش واستجة وقادس. وامتد ملكهم غرباً حتى حدود البرتغال في حين سيطر الفونس الثالث ملك البرتغال على شلب وشنتريه الغرب .(٦٩)

وكانت اشبيلية من اجمل المدن واحسنها منظراً، تقع على النهر العظيم (الكبير) الذي تجرى فيه السفن المحملة بالبضائع، والى غربيها توجد الضياع الكثيرة. المشهورة بالتين والعنب والزيتون، وفي جانب المدينة تقوم قصور بني عباد. وهي في غاية الحسن والبهاء .(٧٠)

٤ ـ الجزيرة الخضراء وجبل الفتح :

اغتنم الفرنج ضعف المسلمين وافتراق كلمتهم بالاندلس بعد موقعة العقاب المشؤمة ، خاصة وقد ضعف امر الموحدين بالمغرب بعد الاندلس، وزوال حكمهم على ايدي بني مرين، في حين ملك بنو هود مابقي للعرب في شرق الاندلس، واقام بنو الاحمر دولتهم بغرناطة، ثم الت املاك بني هود هذه الى بني الاحمر الذين ظلوا يجاهدون الفرنج بمساعدة بني مرين، حتى صارت لهم مع غرناطة وشرقي الاندلس، كل من، رندة، والجزيرة الخضراء، وطريف وجبل طارق وغيرها من مدن الساحل الجنوبي والجنوبي الشرقي من البلاد.(٧١)

ورغم ان بني مرين واصلوا الدفاع عما بقي للعرب من بلاد الاندلس، وظلوا يساعدون الامراء والحكام العرب هناك، وقد خضعوا لنفوذهم، غير ان الفرنج تمكنوا من الاستيلاء على الجزيرة الخضراء، وعلى عدد من سفن بني مرين الموجودة هناك وجمعوا الجموع الكثيرة للاستيلاء على مابقي بايدي المسلمين في الاندلس، وهذا دفع امير بني مرين الى مراسلة الملك الصالح بن الملك الناصر ابن الملك المنصور قلاوون سلطان مصر والشام والحجاز ، يدعوه لنصرته ونصرة العرب المسلمين بالاندلس ضد الفرنج هناك .(٧٢)

فلما كانت سنة ٧٤٢ هـ وقعت معركة بين صاحب المغرب المريني، وبين الفرنج بالاندلس، انتصر المسلمون فيها على العدو، واستعادوا الجزيرة الخضراء وجبل الفتح (جبل طارق) بعد ان قتلوا منهم الكثير، فجمع الفرنج الجموع الكثيرة من طوائفه وقصدوا المسلمين، واوقعوا بهم الهزيمة على حين غفلة وقتلوا كثيراً منهم، وملكوا الجزيرة الخضراء من المسلمين، ثم مضوا الى غرناطة وحاصروها وبها بنو الاحمر، ثم تهادنوا واهلها مدة عشرين عاماً .(٧٣)

٥ ـ بلنسية

اخذ الفرنج بلنسية اول مرة من المسلمين سنة ٤٥٦ هـ بعد موقعة سطرنة حيث نزلوا فيها في غفلة من اهلها، لكن المسلمين استردوها منهم ثم اخذها الفرنج ملوك اراكون (اراجون) مرة اخرى وذلك سنة ٤٨٨ هـ، وعاثوا بها فساداً، حتى قال الشاعر فيها :(٧٤)

عاشت بساحتك الضبا يادار ... ومحا محاسنك البلا والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر ... طال اعتبار فيك واستعبار
ارض تقاذفت الخطوب باهلها ... وتمخضت بخرابها الاقدار
كتبت يد الحدثين في عرصاتها ... لاانت انت ولا الديار ديار

غير ان المسلمين استعادوا بلنسية مرة اخرى من يد الفرنج وذلك سنة ٤٩٥ هـ ولم تزل بايديهم حتى حاصرها ملك اراجون سنة ٦٣٦ هـ بتشجيع من البابا، ولم تنفع محاولات اميرها ابي جميل زيان بن ابي الحملات، في الدفاع عنها لصد هجمات الاعداء رغم تحالفه مع محمد بن هود ملك غرناطة، ومرسية حينذاك ولا استنجاده بابي زكريا بن ابي حفص ملك تونس الذي مده بالاموال والاقوات، فاضطرت المدينة الى الاستسلام صلحاً للعدو .(٧٥)

ولما اخذت بلنسية هذه المرة، قال احد الشعراء يخاطب صاحب افريقية الابيات الاتية :(٧٦)

نادتك اندلس فلب نداءها	واجعل طواغيت الصليب فداءها
هي دارك القصوى اوت لايالة	ضمنت لها مع نصرها ايواءها
تلك الجزيرة لابقاء لها اذا	لم يضمن الفتح القريب بقاءها
ايه بلنسية وفي ذكراك ما	يمرى الشؤن دماءها لاماءها
ناحت بها الورقاء تسمع شدوها	وغدت ترجع نوحها وبكاءها
بشرى لاندلس تحب لقاءه	ويحب في ذات الاله لقاءها

٦ - بريشتــــر :

خضعت بربشتر للمسلمين مدة تقرب من (٣٦٠) عاماً منذ الفتح الاسلامي لجزيرة الاندلس ، فرسخ فيها الاسلام، وتدارس الناس القرآن ، وتكرر رمضان في كل عام، فشنف الاسماع، وأطار الافئدة، وزلزل ارض الاندلس قاطبة .(٧٧)

فلما كانت سنة ٤٥٦ هـ، نازل العدو مدينة بريشتر، وحاصرها اربعين يرماً، حتى دخلها بعد ان اعطى الامان لاهلها، لكن الفرنج غدروا باهلها، وقتلوهم جميعاً، الا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى في نفر من الوجوه، وحصل العدو من الغنائم مالا يحصى من اموال وممتلكات المسلمين، وقد بلغ عدد من قتل من المسلمين مايزيد على ستة الاف، وتملك الفرنج دور المسلمين واموالهم .(٧٨)

وكان الفرنج لما دخلوا بريشتر، اخذوا يفتكون بالبنت بحضرة ابيها، والمرأة بحضرة زوجها واهلها، وعمل العدو بالمدينة مالا يمكن تصديقه من المفاسد والاساءة والاعتداء في التأريخ .

غير ان المسلمين مالبثوا ان استعادوا مدينة بربشتر من العدو سنة ٤٥٧ هـ بعون من الله ونصره ، وقتلوا الكثير من الفرنج فيها، وطهروا المدينة من رجسهم ولم تزل بايديهم حتى اخذها الفرنج لما خضعت لهم جميع بلاد الاندلس فيما بعد.

٧ ـ المريـــــة :

اخذ العدو مدينة المرية لاول مرة سنـة٥٤٢ هـ، ثم لم تلبث ان استعـادهـا الموحـدون امراء المغرب العربي والاندلس، وبقيت هـذه المدينـة بـايـدي المسلمين حتى سنـة ٦٢٥ هـ حيث هاجمها العدو مرة اخرى، وكانت لبنى هود، فاخذها من المسلمين وذلـك بعـد فتنـة حدثت بها، وكاد بساط الاندلس يطوى.(٧٩)

٨ ـ مدن اخرى من بلاد الاندلس :

بعد هذا الاستيلاء الاسباني على اراضي العرب المسلمين بالاندلس، اخذت بقيـة مـدنـه وحصونه تنهار تباعاً باديدي الفرنج، وتغيرت خـارطـة الانـدلس الاسلاميـة تمـامـاً حيث انحصر نفوذهم في الاقاليم الوسطى والجنوبية التي بقيت خاضعـة لبني الاحمر الـذين اقـاموا دولتهم على انقاض دولة الموحدين، وغيرهم من الامراء المسلمين هنـاك، واتخـذوا غرنـاطـة عاصمة لملكهم، وظلت هذه الدويلة وحدها تصارع العدو بعد ان تساقطت بايديه المـدن الاتية.(٨٠)

١ ـ تطيلة، اخذها العدو سنة ٥٢٤ هـ .
٢ ـ لوشة، اخذها العدو سنة ٦٢٢ هـ، وعاثوا بها فساداً، ثم استعـادهـا المسلمون ثم اخـذهـا الفرنج ثانية.
٣ ـ ماردة، دخل العدو كورة ماردة سنة ٦٢٦ هـ واخذها من بني حمود
٤ ـ ميورقة، اخذها العدو سنة ٦٢٧ هـ وفر من نجا من اهلها الى بلاد المسلمين.
٥ ـ سرقسطة، اخذها العدو سنة ٥١٢ هـ
٦ ـ جزيرة شقر، اخذها العدو صلحاً سنة ٦٣٩ هـ
٧ ـ جيان ، اخذها العدو سنة ٦٤٣ هـ
٨ ـ طرطوشة، اخذها العدو سنة ٦٤٣ هـ
٩ ـ لاردة وشاطبة، اخذها العدو سنة ٦٤٥ هـ
١٠ ـ مرسية، اخذها العدو سنة ٦٣٦ هـ.

ثانيا : دولة بني الاحمر واستسلام غرناطة

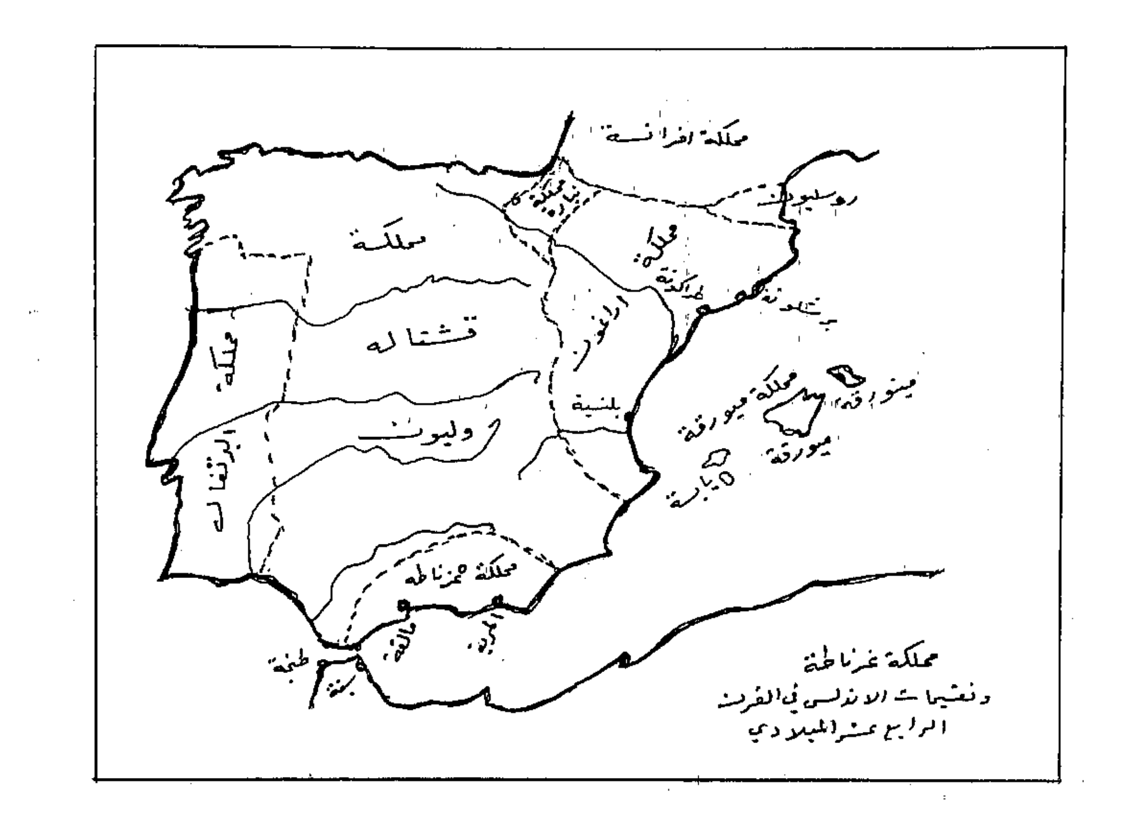
١ ـ قيام دولة بني الاحمر في غرناطة:

لما انسحب الموحدون من الاندلس، تصدى لجهاد النصارى في هذه البلاد، محمد بن يوسف، بن هود، وكان اجداده من قبل ملوكاً على سرقسطة على عهد ملوك الطوائف، وكان محمد بن هود هذا، قد ظهر في مرسية، ونجح في توحيد عدد من مدن الاندلس الشرقية تحت رايته، مستغلا ضعف جيرانه العرب والاسبان، غير ان اعادة الوحدة بين مملكة ليون الاسبانية وقشتالة، بعد وفاة الملك الفونس، شجعت الاسبان من جديد لاستئناف هجومهم على المسلمين وتمكنوا من ايقاع الهزيمة ببنى هود في شريش .(٨١)

وفي الوقت الذي سقطت فيه امارة بني هود امام العدو في شرقي الاندلس، ظهرت شخصية عربية جديدة، حاولت ان تقيم لنفسها دولة تأخذ على عاتقها مهمة الجهاد ضد النصارى، ذلك هو محمد بن يوسف بن احمد بن نصر بن الاحمر.

ويعرف بنو الاحمر، ببني نصر، وينسبون الى سسعد بن عبادة سيد الخزرج على عهد الرسول الكريم (ص). فلما كان فتح الاندلس، استقروا في ارجونة من حصون قرطبة، وكان كبيرهم لاخر دولة الموحدين محمد بن يوسف بن نصر المذكور ويعرف (بالشيخ)، واخوه اسماعيل بن يوسف، فلما فشل ريح الموحدين بالاندلس، وكثر الثوار، واستولى ملك الاسبان الطاغية على كثير من الحصون، واستقل بامر الجماعة محمد بن هود الثائر بمرسية حيث اقام الدعوة للعباسيين وتغلب على شرق الاندلس اجمع، تصدى محمد بن يوسف بن نصر بن الاحمر، للثورة على ابن هود، وبويع له سنة ٦٢٩ هـ على ان يدعو لصاحب افريقية، فاطاعته جيان وشريش سنة ٦٣٠ هـ ثم دخل اشبيلية سنة ٦٣٢ هـ، ثم استولى على غرناطة سنة ٦٣٥ هـ ، ولقب (بابي دبوس) وبذلك اعلن ابن الاحمر نفسه اميراً على الاندلس وجعل غرناطة عاصمة لدولته، لتظل على ذلك حتى زوال حكم العرب من الاندلس نهائياً وسقوطها بايدي العدو .(٨٢)

ولما ازداد التناحر بين الاسبان والمسلمين بالاندلس وكثر الثوار والمنازعون لبنى الاحمر، مد زعيمهم يده الى الطاغية في الاستظهار على امره، محاولاً استخدام سياسة اللين مع الاسبان بهدف المحافظة على دولته، فوصله فرديناند الثالث ملك قشتالة وشد ازره، وصار ابن الاحمر في جملته وتابعاً له، ودفع له جزية كبيرة، بل اضطر ابن الاحمر الى تقديم المساعدة العسكرية للطاغية، وساعده في اخذ قرطبة من المسلمين واخذ الطاغية ايضا طليطلة، وشلب وطلبيرة سنة ٦٥٩ هـ، ثم ملك مرسية سنة ٦٦٥ هـ، ولم يزل الطاغية يستولى على املاك المسلمين حتى الجأهم الى ساحل البحر مابين رندة من الغرب، والبيرة من الشرق ، بمسافة عشر مراحل .(٨٣)



مملكة غرناطة
وتقسيمات الاندلس في القرن
الرابع عشر الميلادي

غير ان محمد بن الاحمر ، حاول التخلص من التزاماته مع العدو، وطمع بالاستيلاء على الجزيرة الخضراء، فامتنعت عليه، فمد يد التعاون مع بني مرين الذين انتزعوا المغرب العربي من الموحدين وطلب مساعدتهم ضد الطاغية، واستفاد محمد بن الاحمر من اهل افريقية الذين تدفقوا على هذه البلاد في مدافعة العدو حتى وفاته سنة ٦٧١ هـ، وقام بعده ابنه محمد الثاني .(٨٤)

وطد محمد الثاني الملقب بالفقيه، علاقته مع بني مرين بالمغرب، وجاز البحر بنفسه سنة ٦٧٢ هـ، واجتمع الى يعقوب بن عبد الحق زعيم بني مرين، وطلب مساعدته ضد العدو، فاستجاب بنو مرين للجهاد، وعبرت جيوشهم الى الجزيرة الخضراء، واوقعوا بجيوش الاسبان الهزيمة، وتنازل محمد الثاني بن الاحمر لامير بن مرين عن الجزيرة الخضراء وطريف، وهذا دفع ابن مرين الى التدخل بالشؤن الداخلية لبني الاحمر، كما كان شأن المرابطين والموحدين بالاندلس من قبل، وقد اجتازت جيوش يعقوب بن عبد الحق المريني الى الاندلس اربع مرات متواليات واوقعت بجيوش الاسبان خسائر كثيرة، كما جازت جيوش ابنه يوسف المرينى بعده ايضا الى الاندلس حتى هلك السلطان الفقية محمد الثاني بن الاحمر سنة ٧٠١ هـ، ومع ذلك لم يتمكن بنو مرين من تغيير ميزان القوى العسكري في الاندلس لصالح المسلمين .(٨٥)

ظلت سياسة بني الاحمر غريبة ومتقلبة، فهم يعاضدون الطاغية ضد المسلمين بالاندلس حينا، ويعاضدون بني مرين ضد الطاغية احيانا اخرى، لان عرب المغرب الذين يبعثهم ابن مرين كانوا عبئاً ثقيلاً على ابن الاحمر، ولان ابن الاحمر كان يتكفل بارزاق قسم منهم لذلك سعى الى التقرب مرة اخرى الى الفونس العاشر ملك قشتالة ضد حليفه ابن مرين، واعانه على اخذ طريف من ابن مرين، ونسي ان ذلك سيحول دون عبور المسلمين مستقبلاً من المغرب لنجدة عرب الاندلس، وصارت طريف عينا على من يروم الجواز منهم الى الاندلس .(٨٦)

غير ان بني الاحمر (بني نصر) استطاعوا بما انتهجوه من سياسة حذرة، دائمة التقلب، ان يعمروا مائتين وخمسين عاماً اخرى بوصفهم اخر سلالة عربية اسلامية بالاندلس في الاقليم الضيق الممتد من ساحل جبل طارق حتى المرية المنبسطة في الداخل الى غرناطة وجبال رنده وجبال البيرة .(٨٧)

ولما توفي الشيخ الفقية محمد الثاني بن الاحمر، انقسم اولاده على السلطة، وتحكم الوزراء والقواد فيهم، فطمع الاسبان في املاكهم، وجمع ملوكهم جمعاً عظيماً، يتقدمه جوان ملك قشتالة وقصدوا بني الاحمر سنة ٧١٩ هـ، فبذل لهم الاموال على ان يكفوا عن الحرب، لكنهم ابوا، فخرج المسلمون من غرناطة وقد تعاهدوا على الموت، واقتتلوا مع الفرنج حتى

نصرهم الله، وركبوا قفاء العدو يقتلون ويأسرون وكان من بين القتلى جوان نفسه واسرت امرأته ، وحصل المسلمون منهم على مالا يحصى من الغنائم والاسرى .(٨٨)

ولما اضطربت احوال الاندلس، وضعفت دولة بني الاحمر في غرناطة، وثارت الدهماء عليهم، اجاز صاحب المغرب ابن مرين الى الاندلس سنة ٧٤١ هـ بجموعه ونزل طريفاً، فزحف اليه الطاغية ولقيه بظاهرها، فانكشف عسكر المسلمين وحلت بهم الهزيمة، وتغلب الطاغية على القلعة، ثم سار الى الجزيرة الخضراء، ونازلها، فاخذها صلحاً سنة ٧٤٣ هـ، تلاشى بعد ذلك نفوذ بني مرين بالاندلس حتى سقوط دولتهم .(٨٩)

ثم قصد الفرنج غرناطة سنة ٨٠٠ هـ ليأخذوها من بني الاحمر وقد اجتمع ملوكهم السبعة في خمسة وثلاثين الفا من الفرسان، ونحو مائة الف راجل، فاضطر بنو الاحمر الى طلب المساعدة من صاحب المغرب، فلم ينجدهم، فاعتمد اهل غرناطة على انفسهم، وتمكنوا من الدفاع عن مدينتهم وصدوا العدو عنها وكسروه .(٩٠)

استمر بنو الاحمر بغرناطة يجاهدون ضد الفرنج في بلاد الاندلس حتى سنة ٨٨٢ هـ حيث ادرك دولتهم الضعف والانحلال، بعد كارثة الفيضانات المدمرة التي اصابت دولتهم خاصة، ذلك انه بينما كان ابو الحسن علي بن سعد بن الاحمر يتصدر مجلساً اقامه خارج قلعة الحمراء بغرناطة تشاهد عرضاً لجيوشه الكثيرة التي اجتمعت له بعد ان اوقع بالفرنج، واستعاد كثيرا من القلاع والحصون من ايدي العدو، وقد استمر هذا العرض شهراً كاملاً، والسلطان ابن الاحمر يجلس كل يوم، اذ ارسل الله سيلا عرماً على وادي حدره، بالحجارة والماء الغزير كأفواه القرب، فاحتمل الوادي على حافتيه من المدينة من حوانيت ودور وفنادق واسواق وقناطر، وحدائق وقصور، حتى بلغ السيل الى رحبة الجامع الكبير، ولم يسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد من قبل، فلما كانت هذه الكارثة، انشغل السلطان ابو الحسن بالراحة واللهو والملذات، واساء السيرة في الرعية وقتل عدداً من القواد والامراء، وظن ان العدو لايقوى على مهاجمته، بعد ان افترقت كلمة امرائهم بعد ان استولوا على مدن المسلمين وحاول كل منهم الانفراد بها .(٩١)

وعندما ادرك الاسبان ضعف دولة بني الاحمر بغرناطة، وافتراق كلمة العرب بهذه الديار، ساروا الى مدينة الحامة فاخذوها غدراً سنة ٨٨٧ هـ ٠ وبذلوا السيف بالمسلمين، ونهبوا الناس والحريم في غفلة النوم، فهرب البعض، وترك البعض الاخر اولاده وحريمه لينجو بنفسه، واحتوى العدو على البلد بما فيه، فلما بلغ خبرهم الى غرناطة، خرج اهلها للدفاع عن الحامة، واشتبكوا مع العدو وضيقوا الخناق عليه، لكن الاسبان ارسلوا المدد لاصحابهم، فاقلع جند المسلمين عن الحامة لملاقاة العدو الذي كان يقودهم صاحب قرطبة، فلما ادرك العدو قوة المسلمين ولى الادبار من غير ملاقاة، ثم خرج صاحب قشتالة سنة

٨٨٧ هـ، بجنود لاتحصى وقصد لوشة ونازلها بهدف اضافتها الى الحامة لكن اهل غرناطة ردوهم على اعقابهم ثم اجتمع رؤساء الاسبان بالاندلس وقصدوا قرى مالقة سنة ٨٨٨ هـ، وكذلك بلش، في نحو ثمانية الاف جندي، لكن المسلمين تمكنوا من صدهم وهزموهم بعد ان اسروا الكثير منهم .(٩٢)

وفي سنة ٨٩٠ هـ خرج العدو الى ناحية مالقه فاستولى على بعض الحصون ثم قصد مدينة ذكوان، وهد اسوارها، وكان بها جملة من اهل الغربية ورندة، فدخل الف مدرع منهم ذكوان، فاظفر الله بهم اهل ذكوان وقتلوا منهم الكثير ، في حين طلب الاخرون الامان وخرجوا، ثم انتقل العدو بعد ذلك الى رندة وحاصرها، وهد اسوارها وخرج اهلها على الامان، وطاعت الفرنج جميع تلك البلاد عدا مالقة نفسها، ثم توالت الحروب الكثيرة بين المسلمين والاسبان الذين استولوا على عدد من الحصون الاخرى من العرب مثل حصن قبيل وحصن البراجلة، ومشافر، واللوز، وضيق العدو على جميع بلاد المسلمين في الاندلس، واخذ حصن بلش ايضا .(٩٣)

٢ - استسلام غرناطة :

بعد ان عجز العدو عن اخذ غرناطة بالقوة حاول استخدام المراوغة والحيلة ضد صاحبها، فارسل صاحب قشتالة الى ابي الحسن بن الاحمر يطلب الصلح والموادعة فلما انتشر الخبر بين المسلمين في غرناطة، اختلفوا فيما بينهم على قبول الصلح او رفضه، ووقعت فتنة عظيمة بالمدينة بسبب ذلك سنة ٨٩١ هـ، وبينما هم على هذه الحال، خرج صاحب قشتالة الاسباني بجيش عظيم ونازل لوشة وضيق عليها الحصار، فاضطر اهلها الى طلب الامان في اموالهم واهليهم، فاجابهم صاحب قشتاله الى ذلك واخذ البلد منهم تلك السنة، وهاجر اهل لوشة الى غرناطة، ثم خرج العدو الى البيرة، فاخذها بالامان، وخرج اهلها الى غرناطة ايضا، ثم فعل مع حصن التلين مثل ذلك وخرج اهله الى غرناطة، ثم اخذ العدو متن مزيد، واحرق دار العدوة فطلب اهلها الامان، وخرجوا الى غرناطة، وانتقل العدو الى الصخرة، فأخذها، ثم حصن الحصون التي وقعت بيده كلها، وشحنها بالرجال والعدة، ورتب فيها الخيل، واستعد لمحاصرة غرناطة .(٩٤)

اما غرناطة، فقد تجددت فيها الفتنة سنة ٨٩٢ هـ خاصة وقد مال بعض اهلها الى الدخول في الصلح مع صاحب قشتالة، فاضطر السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان ابي الحسن بن الاحمر، ان يبعث الى الاجناد والقواد من اهل بسطة ووادي آش، والمرية، والمنكب، وبلش، ومالقة، وجميع الاقاليم الاسلامية الباقية بالاندلس، فاجتمعوا اليه بغرناطة، وتعاهدوا وتحالفوا، على ان يدهم واحدة على اعداء الدين، فخرج صاحب

قشتالة بجنود قاصداً بلش فلما نزل فيها سنة ٨٩٢ هـ خرج اليه صاحب غرناطة للدفاع عنها، وجرت مناوشات بين الجانبين انهزم فيها المسلمون بعد ان علموا بميل اهل غرناطة الى الصلح، وبذلك اخذ العدو بلش عنوة، وطلب اهلها الامان، وخرجوا من المدينة، ثم انتقل العدو الى مالقة، وحاصرها برا وبحراً، ولما لم ينجدهم احد، طلبوا الامان من العدو الذي دخل القلعة، واخذ اهلها اسرى،بعد ان قتل الكثير منهم، وكان ذلك في اواخر سنة ٨٩٢ هـ. ولم يبقى في تلك النواحي موقع، الا وملكة العدو .(٩٥)

ولما اخذ العدو الشرقية وبلش سنة ٨٩٣ هـ صلحاً، سار الى بسطة ووادي اش والمرية والمنكب والبشرات، فاخذها جميعاً صلحاً ودخل قلعة بسطة سنة ٨٩٤ هـ، واعلن حكام هذه القلاع طاعتهم للعدو، الذي خضعت له جميع بلاد الاندلس عدا غرناطة، وجعل العدو في كل قلعة من هذه القلاع، قائداً نصرانياً بدل القادة العرب المسلمين .(٩٦)

وفي سنة ٨٩٥ هـ بعث صاحب قشتالة، الرسل، الى صاحب غرناطة ابن الاحمر، يطلب، اليه، ان يمكنه من قصر الحمراء، كا مكنهم عمه الزغل من القلاع والحصون التي كانت بيده، وكان الزغل قد مال الى صاحب قشتالة لما راى فيه من القوة والعناد وعرض عليه ان يكون تحت ايالته، على ان يعطيه مالا جزيلا واي بلد يشاء من الاندلس يكون فيه تحت حكمه، فجمع صاحب غرناطة اعيان البلد وقادته وعرض عليهم ماطلبه صاحب قشتالة، فقرروا الاتفاق على الجهاد ضد العدو وعدم الاستجابة لمطالبه، وخرج اهل غرناطة للقاء العدو، باطراف غرناطة، وجرت بين الفريقين مناوشات وحروب كثيرة، اضطر العدو بعدها الى الرحيل عن غرناطة بعد الاياس، وعاد الى بلاده، فاخذ صاحب غرناطة عدداً من الحصون التي كانت بايدي العدو، وطاعه كثير من المرتدين، وقتل الكثير منهم واسر اخرين .(٩٧)

ولما بلغت هذه الانتصارات الى صاحب قشتالة، خرج قاصداً غرناطة فوصل المرج ومعه المرتدون والمدجنون، فاستعاد الكثير من الحصون والقلاع من ايدي المسلمين، فلما راي ذلك السلطان الزغل، وهو عم سلطان غرناطة بادر بالجواز من الاندلس الى وهران، ثم الى تلمسان، حيث استقر بها، وبها نسله الذين يعرفون ، ببني سلطان الاندلس .(٩٨)

ثم خرج العدو سنة ٨٩٦ هـ الى مرج غرناطة، وافسد الزرع، وخرب الارض، وهدم القرى، وصار يضيق على غرناطة كل يوم، واستمر الحصار والاقتتال بين الفريقين سبعة اشهر، ثم اشتد الحصار على المسلمين بغرناطة خاصة بعد ان استولى العدو على اكثر الاماكن المحيطة بالمدينة، فضاق الحال بالمسلمين، واشتد الخطب عليهم اوائل سنة ٨٩٧ هـ، بعد ان قلت الاقوات بحيث اضطر الكثير منهم على الهرب من شدة الجوع، فلما ادرك السلطان ضيق الحال، جمع وجوه القوم وقادتهم للتباحث في الامر، وبعد مناقشات

طويلة اتفقوا على العمل باضعف الضررين، ومالوا الى الصلح مع العدو بالمواثيق، وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم، ونزل سلطان غرناطة، ابو الحسن عبد الله ابن الاحمر، من قصر الحمراء، واستولى العدو عليه، ودخلوا الحمراء وسقطت غرناطة اخر مدن العرب المسلمين بايدي العدو سنة ٨٩٧ هـ، والله وارث الارض لمن يشاء .(٩٩)

٣ ـ معاهدة الصلح :

تضمنت معاهدة الصلح التي عقدها صاحب غرناطة مع العدو سنة ٨٩٧ ه، سبعة وستين بنداً فيما يلي اهمها :(١٠٠)

١ ـ تأمين الصغير والكبير من اهل غرناطة في النفس والاهل والمال .

٢ ـ اقامة الشريعة الاسلامية بينهم على ماكانت عليه.

٣ ـ ابقاء الناس في اماكنهم ودورهم، ورباعهم وعقارهم.

٤ ـ تبقى المساجد كما كانت وكذلك الاوقاف.

٥ ـ لايدخل الاسبان دور المسلمين، ولا يولى على المسلمين اسباني او يهودي

٦ ـ فك جميع اسرى غرناطة من حيث كانوا

٧ ـ لايؤاخذ احد من المسلمين بذنب غيره

٨ ـ لايقهر من اسلم، على الرجوع الى النصراينة

٩ ـ لايكلف المسلم باستضافة اجناد النصارى

١٠ ـ لايسفر المسلم الى اية جهة، وترفع عنه المظالم والمغارم.

١١ ـ لايتطلع الاسباني الى الاسوار، ولا الى دور المسلمين

١٢ ـ لايدخل الاسبان مساجد المسلمين

١٣ ـ يسير المسلم في بلاد الاسبان امنا في ماله ونفسه

١٤ ـ لايمنع مؤذن ولا مصل ولاصائم ولا غيرهم من امور الدين

١٥ ـ شروط اخرى كثيرة بهذا الاتجاه

١٦ ـ ان يوقع على كل الشروط صاحب روما، ويضع خط يده عليها.

ولما قبل ملك قشتالة هذه المعاهدة، دخل الاسبان الحمراء، ودخلوا المدينة غرناطة، اما السلطان ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن، سلطان غرناطة فقد خرج الى البشرات، ثم احتال في ارتحاله بر العدوة، فركب البحر الى افريقية ونزل مليلة، ثم استوطن مدينة فاس المغربية .

غير ان الاسبان نقضوا شروط هذه المعاهدة واحداً بعد الاخر، الى ان وصل بهم الحال، لحمل المسلمين على التنصر بالقوة سنة ٩٠٤ هـ، وعرضوا عليهم: اما التنصر او الموت،

فتنصر كثير من المسلمين وبالجملة اتقاء شرهم بادية وحاضرة، ومع ذلك فقد امتنع بعض المسلمين عن التنصر، واعتزلوا النصارى. لكن ذلك لم ينفعهم، ولما امتنعت قرى واماكن اخرى، جمع العدو لهم الجموع، واستأصلهم عن اخرهم قتلا وسبياً، واخرج كثيراً منهم بالامان الى بلاد المغرب، ثم كان بعد هذا كله، ان ظل بعض من اظهر التنصر من المسلمين يعبد الله سراً ويصلي، فشدد الاسبان عليهم بالبحث، وحرقوا كثيرين منهم بسبب ذلك وقتلوهم، بعد ان منعوهم من حمل السكين الصغيرة، فضلاً عن غيرها من الحديد، ومع ذلك. بقي بعض المسلمين تحت هذه الظروف محافظين على دينهم، وانحازوا الى بعض الجبال دون نصير، الى ان كان اخراجهم، نهائياً من قبل النصارى سنة ١٠١٧ هـ حيث خرجت الوف منهم الى فاس، والوف اخرى الى تلمسان، ووهران وتونس، وتطوان وسلا، والجزائر، ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية، وكذلك الى مصر والشام وغيرها من بلاد المسلمين، وحل الصليب محل الهلال في ابراج غرناطة ومدن المسلمين بالاندلس .(١٠١)

ولما خرج سلطان غرناطة، خرجت معه السلطانة زوجته وهي لابسة ثوبها الزاهي، فغادروا الحمراء، تحف بهم معالم الهيبة، ويسير في موكبهم اهل الخاصة، ولكنهم لم يعودوا اليها قط. وبينما السلطان منصرف عن عاصمته، حانت منه التفاتة اخيرة الى عاصمة ملكه، فتأوه وجرت عبراته، اما امه التي كانت مستشارة له، فقد انتهزته وقالت له :

(يحق لك ان تبكي كالنساء على ملك لم تستطيع ان تدافع عنه) ولايزال الصخر الشاهق الذي اطل السلطان من قمته للمرة الاخيرة على غرناطة معروفاً .(١٠٢)

ولما انتهى سلطان غرناطة ابو عبد الله محمد الى فاس باهله وولده، معتذراً عما اسلفه، متلهفاً على ما خلفه، بنى بمدينة فاس بعض القصور على طريقة بنيان الاندلس، وتوفي رحمة الله سنة ٩٤٠ هـ ودفن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ولدين هما: يوسف، واحمد، وعقب هذا السلطان بمدينة فاس الى وفاة المغربي التلمساني صاحب كتاب نفح الطيب سنة ١١٣٧ هـ، وهم يأخذون من اوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين .(١٠٣)

ثالثاً مأساة الاندلس في شعر العرب

لما انحسر نفوذ العرب من الاندلس، وانطفأت نارهم في كثير من مدنها وسقطت رايتهم من على روابي غرناطة، اخر معاقلهم، ولم يبق لهم الدهر في تلك الديار سوى الاثر الذي يشير بحزن عميق، واسى مؤلم، الى حضارتهم العظيمة وتأريخهم المجيد هناك.

عبر شعراء العربية عن تلك المأساة المرة بالكثير من الشعر الحزين :ـ(١٠٤)
وفيا يأتي نماذج منه :(١٠٤)
١ ـ قال احدهم وهو يندب مدينة طليطلة، وهي اولى مدن العرب بالانـدلس التي وقعت بيد العدو هذه الابيات من قصيدة طويلة:

لثكلك كيف تبتسم الثغور ... سرورا بعد مايئست ثغور
اما وابي مصاب هد منه ... ثبير الدين فاتصل الثبور
لقد قصمت ظهور حين قالوا ... امير الكافرين له ظهور
لقد خضعت رقاب كن غلباً ... وزال عتوها ومضى النفور
ألم تك معقلا للدين صعباً ... فذلله كما شاء القدير
وإخرج اهلها منها جميعاً ... فصاروا حيث شاء بهم مصير
فعادت دار كفر مصطفاة ... قد اضطربت باهليها الامور
مساجدها كنائس اي قلب ... على هذا يقر ولايطير
تجاذبنا الاعادي باصطناع ... فينجذب المخول والفقير
انترك دورنا ونفر عنها ... وليس لنا وراء البحر دور
تنغصت الحياة فلا حياة ... وودع جيرة اذ لامجير
ونرجو ان يتيح الله نصراً ... عليهم ، انه نعم النصير،

٢ ـ ومن مشهور ما قيل في المأساة، ماقاله صالح بن شريف ومنه:

لكل شيءٍ اذا ماتم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته ازمان
اين الملوك ذوو التيجان من يمن ... واين منهم اكاليل وتيجان
دار الزمان على كسرى وقاتله ... وام كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب ... هوى لها احد وانهد شهلان
فأسال بلنسية ماشأن مرسية ... واين شاطبة، ام اين جيان
واين قرطبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شأن
حيث المساجد قد صارت كنائس ... مافيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان
اعندكم نبأ من اهل اندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
ولو رايت بكاهم عند بيعتهم ... لهالك الامر واستهوتك احزان
لمثل هذا يذوب القلب في كمد ... ان كان في القلب اسلام وايمان.

٣ ـ وهذه قصيدة بعث بها السلطان ابو عبد الله محمد المخلوع سلطان غرناطة الى سلطان فاس، الشيخ الوطاسي، وهي من انشاء الكاتب العربي ابي عبد الله بن محمد بن عبد الله، بعد ان خرج السلطان المخلوع من الاندلس ونزل بلاد المغرب، جاء فيها :ـ

مولى الملوك ملوك العرب والعجم	رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار انت لمن	جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا	وافضع الحظ ما يأتي على الرغم
حكم من الله، لامرد له	وهل مرد لحكم منه منحتم
وهي الليالي وقاك الله صولتها	تصول حتى على الاساد في اجم
كنا ملوكاً لنا في ارضنا دول	غنا بها تحت افنان من النعم
فلا تنم تحت ظل الايك نومتنا	واي ملك يظل الملك لم ينم
يبكي عليه الذي قد كان يعرفه	بادمع مزجت امواهها بدم
وابسط لنا الخلق المرجو باسطه	واعطف ولاتنحرف واعذر ولاتلم
لاتأخذونا باقوال الوشاة ولم	نذنب ولو كثرت اقوال ذي الوخم
فما اطقنا دفاعاً للقضاء ولا	ارادت انفسنا ماحل من نقم
والمرء مالم يصنه الله اضيع من	طفل تشكى بفقد الام في اليتم
وكل ماكان غير الله يحرسه	فان محروسه لحم على وضم
ولا تعاتب على اشياء قد قدرت	وخط مسطورها في اللوح بالقلم
ايه حنانيك ياابن الاكرمين على	ضيف الم بفاس غير محتشم
فانت انت ولولا انت مانهضت	بنا اليها خطى الوخادة الرسم
رحماك ياراحمنا ينمي الى رحم	في النفس والاهل والاتباع والحشم
تالله مااضمرت غشا ضمائرنا	ولاطوت صحة منها على سقم
وماظننا بان نبقى الى زمن	ترى به غرر الاحباب كالحمم
لكن رضى بالقضا الجاري وان طويت	منا الضلوع على برج من الالم
لبيك يامن دعانا نحو حضرته	دعاء ابراهيم للحجاج بالحرم
واعط الامان الذي رصت قواعده	على اساس وفاء غير منهدم
بني مرين ليوث في عرين ابوا	رؤيا فريق لهم في البأس والكرم
النازلين من البيضاء وسط حمى	احمى من الابلق السامي ومن ارم
اهل الحفيظة يوم الروح يحفظهم	من عصمة الله مايربي على العصم
لله درهم والسحب باخلة	بدرهن على الانعام والنعم

يرون حقاً عليهم حفظ جارهم ... فلم يضر نازل فيهم ولم يضم

هم البحار سماحاً غير ان بها ... ماقد اناف على الاطواد من همم

وهم كما قاله ملاك ابى قنمي ... بسعيه نحو حتفي قد اراق دمي

نبينا المصطفى الهادي بخير هدى ... محمد خير خلق الله كلهم

داعي الوردي من اول خيم واهل قرى ... الى طريق رشاد لاحب امم

عليه مناصلاة الله ماذكرت ... امن تذكر جيران بذى سلم.

هوامش الباب الثالث

١ ـ ابن خلدون، تأريخه ،ج ٤، ص ١٥٠ـ١٥٦،
المقري، نفح الطيب ج٢، ص ٢٠٦، ٢٠٨
٢ ـ الدكتور حازم، النثر الاندلسي في عصر الطوائف، ص ١٧
٣ ـ فليب حتي، تأريخ العرب ،ج٢ ص ٦٣٩
الدكتور حازم، النثر الاندلسي في عصر الطوائف ، ص ٢١
٤ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٧ ص ٢٩١
ابن خلدون، تأريخه ج٣ ص ١٥٦ـ١٥٩
٥ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٧ ص ٢٩٠ـ٢٩١،
ابن خلدون، ج٤ ص ١٥٩
٦ ـ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣ ص ٢٣٥، ٢٤٠
ابن الاثير، الكامل، ج٩ ص ٢٩٢
ابن خلدون، تأريخه ج٤ ص ١٥٩ـ١٦٠
٧ ـ ابن عذاري البيان المغرب، ج٣، ص ٢٦٢ وما بعدها،
ابن خلبون، تأريخه ج٤ ص ١٦٠ـ١٦١
٨ ـ ابن خلدون، تأريخه ج٤ ص ١٦١
ابو الفداء المختصر، ج٢ ص ١٤٨
ابن عذاري، البيان المغرب ج٢، ص ٢٧٦ وما بعدها،
٩ ـ ابن خلدون، تأريخه ج٤ ص ١٦١ ـ١٦٢
ابن الاثير، الكامل ج٧، ص ٢٩٣
ابو الفداء المختصر، ج٢، ص ١٤٨
١٠ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٧ ص ٢٩٢ـ٢٩٣
ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣ ص ٢٢١ـ٢٢٣
ابن خلدون، تأريخه ج٤ ص ١٦٣
١١ ـ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣ ص١٥٥ـ١٥٧
ابن خلدون، تأريخه ،ج٤ ص ١٦٤ـ١٦٥
١٢ ـ ابن الاثير، الكامل ج٧، ص ٢٩٣
١٣ ـ ابن الاثير، الكامل ج٧، ص ٢٩٤

١٤ ـ ابو الفداء المختصر، ج٢، ص ١٤٩
١٥ ـ حسن ابراهيم حسن، تأريخ الاسلام السياسي، ج٤، ص ١١٥ـ١١٦
١٦ ـ حسن ابراهيم حسن، المصدر السباق، ج٤، ص ١١٩
١٧ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٨ ص١٤١ـ١٤٢
١٨ ـ ابو الفداء المختصر ج٢، ص ١٩٨
١٩ ـ حسن ابراهيم حسن، تأريخ الاسلام السياسي، ج٤، ص ١٢٢
٢٠ ـ ابن الاثير، الكامل، ج٨ ص ١٤٢ـ١٤٣
٢١ ـ ابن ألاثير، الكامل، ج٨ ص ١٥٤ـ١٥٥
ابو الفدا ـ المختصر، ج٢ ص ١٩٨
ابن ابي زرع، روض القرطاس، ج٢، ص ٦٩
٢٢ ـ ابن الاثير، الكامل ج٨ ص ١٥٦ـ١٥٧
المقري ، نفح الطيب، ج١ ص ١٤١
حسن ابراهيم حسن، تأريخ الاسلام السياسي، ج٤، ص ١٢٤
٢٣ ـ ابن الاثير، الكامل ج٨ ص ١٦٠
٢٤ ـ محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ،ص ١٨،
٢٥ ـ ابن ابي زرع، روض القرسان ج٢، ص ٨٢
ابن الخطيب، تأريخ المغرب العربي، ص ٥٣
حسن ابراهيم حسن، تأريخ الاسلامي السياسي، ج٤ ص ١٢٧
٢٦ ـ عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين ج١ ص ١٢٥
ابن الخطيب، تأريخ اسبانيا الاسلامية ص ٢٥٩
٢٧ ـ ابن الاثير ، الكامل ج٨ ص ٢٦٣ـ٢٣٧
٢٨ ـ ابن ابي زرع، روض القرطاس، ج٢ ص ٦٩، ٧٧
٢٩ ـ المقري، نفح الطيب، ج١ ص ١٤١
٣٠ ـ المراكشي، المعجب، ص ٢٦٩،
٣١ ـ ابن ابي زرع، روض القرطاس ج٢ ص ١٣٢
٣٢ ـ ابو الفدا المختصر ج٢، ص ٢٣٢ـ٢٣٤
ابن ابي زرع ، روض القرطاس، ج٢ ص ١٢٧، ١٣٢
٣٣ ـ محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ص ٢٦، ٢٧
٣٤ ـ ابن الاثير، الكامل ج٩، ص ٣٠
٣٥ ـ المراكيش، المعجب ص ٣٢١

٣٦ ـ ابن الاثير· الكامل· ج٩ ص ٥٠

٣٧ ـ ابن الاثير· الكامل ·ج٩ ص ٥٥ـ٥٦

٣٨ ـ ابن ابي زرع· روض القرطاس· ج٢ ص ١٦٤ـ١٦٥

٣٩ ـ حسن ابراهيم حسن· تأريخ الاسلام السياسي ج٤· ص ٢٢٢

٤٠ ـ ابن ابي زرع· روض القرطاس· ج٢· ص ١٩٣

ابن الاثير· الكامل ·ج٩ ص ١٦٥

٤١ ـ ابن الاثير· الكامل ج٩· ص١٦٥

٤٢ ـ السلاوى· الاستقصا· ج٢ ص ١٦٦ـ١٦٧

حسن ابراهيم حسن· تأريخ الاسلام· ج٤ ص ٢٢٥ـ٢٢٦

٤٣ ـ ابن الاثير· الكامل ج٩ ص٢٣٢ـ٢٣٣

المراكشي· المعجب· ص ٢٨١ـ٢٨٢

٤٤ ـ السلاوى· الاستقصا· ج٢· ص ١٦٣·

حسن ابراهيم حسن· تأريخ الاسلام· ج٤· ص ٢٢٨ـ٢٢٩

٤٥ ـ السلاوى· الاستقصاء· ج٢ ص ١٩٦

٤٦ ـ حسن ابراهيم حسن· تأريخ الاسلام ·ج٤ ص ٢٣١ـ٢٣٢

٤٧ ـ ابن ابي زرع· روضا القرطاس· ج٢ ص ١٦٠

ابو الفدا المختصر· ج٣ ص ١٣٣·

٤٨ ـ ابن الخطيب· تأريخ اسبانيا الاسلامية· ج١ ص ٢٧٢

المقري· نفح الطيب ج٤· ص ٤٧٢

عبد الله عنان· عصر المرابطين والموحدين· ج٢ ص ٤١٧

حسن ابراهيم حسن· تأريخ الاسلام· ج٤· ص ٢٣٢ـ٢٣٣ـ المراكشي· المعجب· ص ٢٢٦

٤٩ ـ ابن خلدون· تأريخه ج٤· ص ١٧٩

٥٠ ـ المقري· نفح الطيب ج٢· ص ٦٧١

حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص ٣١٨

٥١ ـ حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص ٣١٨·

٥٢ ـ ابن خلدون· تأريخه ج٤ ص ١٧٩

٥٣ ـ حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص ٣٠٨ـ٣١٠

٥٤ ـ ابن الاثير· الكامل ·ج٥· ص٩٢

ابن عبد الحكم· فتوح مصر واخبارها· ص ٢٢٠،

حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص ٣٣٥

٥٥ ـ ابن خلدون٠ تأريخه ج٤ ص ١٨٠
حسين مؤنس٠ فجر الاندلس٠ ص ٣٤٣ـ٣٤٤، ٣٤٨ـ٣٥٠
٥٦ ـ ابن خلدون٠ تأريخه ج٠٤ ص ١٨١ـ١٨٢
٥٧ ـ ابن خلدون٠ المصدر السابق ج٠٤ ص ١٨٢
٥٨ ـ ابن خلدون٠ نفس المصدر٠ ج٤ ص ١٨٣
٥٩ ـ عبد الله عنان٠ دولة الاسلام في الاندلس٠ ص ٢١٠ـ٢١١
٦٠ ـ عبد الله عنان٠ المصدر السابق٠ ص ٥٣٤ـ٥٣٥
٦١ ـ عبد اله الله عنان٠ نفس المصدر٠ ص ٥٣٥٠
٦٢ ـ عبد الله عنان٠ نفس المصدر ص ٥٤٦٠
٦٣ ـ ابن خلدون٠ تأريخه ج٤ ص ١٨٣
٦٤ ـ المقري٠ نفح الطيب ج٢ ص ٥٢٢ـ٥٢٥
٦٥ ـ ابن ابي زرع ٠ روض القرطاس٠ ج٢ ٢٢٠
٦٦ ـ عبد العزيز سالم٠ المغرب الكبير٠ ص ٧١٩
٦٧ ـ المقري٠ نفح الطيب٠ ج٢ ص ٥٣٨
٦٨ ـ المقري٠ نفح الطيب ج٠٢ ص ٥٣٨
٦٩ ـ المقري٠ نفح الطيب٠ ج٠٤ ص ٤٧٢٠
عبد الله عنان٠ عصر المرابطين والموحدين ص ٤٦٦٠
محمد مجيد السعيد٠ الشعر في عصر المرابطين والموحدين ص ٤١٠
٧٠ ـ المقرى٠ نفح الطيب ٠ج٢ ص ٥٢٢ـ٥٢٥٠
٧١ ـ المقري٠ نفح الطيب ج٢ ص ٥٣٩
عبد العزيز سالم٠ المغرب الكبير ٠ ص ٨٧٠ـ٨٧١
٧٢ ـ المقري٠ نفح الطيب ج٢ ص ٥٣٩٠
٧٣ـ المقري٠ المصدر السابق ج٢ ص ٥٤٩
٧٤ ـ المقرى٠ نفس المصدر ج٢ ص ٥٧٧
٧٥ ـ ابن الخطيب ٠ تأريخ اسبانيا الاسلامية٠ ج١ ص ٢٧٢
٧٦ ـ المقري٠ نفح الطيب ج٢ ص ٥٨٩
٧٧ ـ المقري٠ المصدر السباق٠ ج٢ ص ٥٧٦ـ٥٧٧
٧٨ ـ المقرى٠ نفس المصدر٠ ج٢ ص ٥٧٤ـ٥٧٥
٧٩ ـ المقرى٠ نفح الطيب٠ ج٢ ص ٥٨١

٨٠ ـ ابن الخطيب· تأريخ أسبانيا الاسلامية ج١ ٠ ص ٢٧١
عبد الله عنان· عصر المرابطين والموحدين ج٢· ص ٤١٤
٨١ ـ كارل بروكلمان· تأريخ الشعرب الاسلامية ٠ ص ٣٣٢
٨٢ ـ ابن خلدون· تأريخه ج٤ ص ١٧٠
٨٣ ـ ابن خلدون المصدر السابق ج٤· ص ١٧١
٨٤ ـ ابن خلدون· نفس المصدر ج٤ ص ١٧٢
٨٥ ـ بروكلمان· تأريخ الشعرب الاسلامية ص ٣٣٣
٨٦ ـ ابن خلدون· تأريخه ج٤ ص ١٧٢ـ١٧٣
٨٧ ـ بروكلمان· تأريخ الشعوب الاسلامية· ص ٣٣٣·
٨٨ ـ ابو الفداء المختصر· ·ج٤ ص ٨٥
٨٩ ـ ابن خلدون· تأريخه ج٤ ص ١٧٣، ١٧٩
٩٠ ـ فليب حتي· تأريخ العرب· ج٢ ص ٦٥٥
٩١ ـ المقرى· نفح الطيب· ج٢ ص ٦٠٧ـ٦٠٨
٩٢ ـ المقرى· نفح الطيب· ج٢ ص ٦٠٩
٩٣ ـ المقرى· المصدر السابق· ج٢ ص ٦١٠
٩٤ ـ المقرى· نفس المصدر ج٢ ص ٦١١
٩٥ ـ المقرى· المصدر السابق· ج٢ ص ٦١٢
٩٦ ـ المقرى· المصدر السابق· ج٢ ص ٦١٣
٩٧ ـ المقرى· المصدر السابق· ج٢ ص ٦١٤
٩٨ ـ المقرى· نفس المصدر· ج٢ ص ٦١٤
٩٩ـ فليب حتى· تأريخ العرب· ج٢ ص ٦٥٨
١٠٠ ـ المقري· نفح الطيب ج٢ ص ٦١٤ـ٦١٥
١٠١ ـ قليب حتي ٠ تأريخ العرب ج٢ ص ٦٥٨·
١٠٢ ـ فليب حتي ٠ المصدر السابق· ج٢ ص ٦٥٨
١٠٣ ـ المقري· نفح الطيب ج٢ ص ٦١٦ـ٦١٧·
١٠٤ ـ المقرى· نفح الطيب ٠ ج٢· ص ٥٨٩، ٥٩٤·

الباب الرابع
الحضـــارة العربيـــة في الانــــدلس
واثرها على اوربا

الفصل الاول : الحضارة العربية في الاندلس واثرها على اوربا ٠
الفصل الثاني : نظم الحكم والادارة في الاندلس ٠
الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية والثقافية في الاندلس ٠
الفصل الرابع : آثار العرب العمرانية في الاندلس ٠

الفصل الاول
نشأة الحضارة العربية وطبيعتها في الاندلس

اولا : الحضارة ونشأتها:

الحضارة في اللغة، تعني الاقامة في الحضر، والحضر، خلاف البدو، والحاضر، هو المقيم في المدن والقرى، والبادى، هو المقيم في البادية. وعلى هذا الاساس، فان الحاضر، خلاف البادى،وعليه فان اصل كلمة الحضارة يرتبط بالاستقرار في الارض وعدم التنقل .(١)

ويرى ابن خلدون، ان هناك مرحلة تقابل مرحلة الحضارة، يسميها: (الملك) ويعني به السيادة، ذلك لان الملك في رأيه ضرورة لازدهار العمران، ويفهم ابن خلدون الحضارة، على انها لاتعني السكن في الحضر فحسب انما يجب ان يلازم ذلك سيادة على اجتماع الناس، وبمعنى اخر، فهو يرى ضرورة وجود نظام واستقرار وسيادة في المجتمع، اي مجتمع، لكي تنموا الحضارة وتزدهر وتتطور .(٢)

وهنا، يمكننا ان نعرف الحضارة العربية اجمالاً، بانها ذلك التراث الضخم الذي تميزت به الامة العربية في العصور الوسطى، والذي ساهمت فيه الى جانب العرب، جميع الاقوام والامم التي تكلمت اللغة العربية وعاشت في دار الاسلام. وفي ظل الدولة العربية الاسلامية بصرف النظر عن الجنس والدين.

ومع ذلك، فقد اختلف المؤرخون والباحثون، في تعريف الحضارة، ومدى شموليتها للتراث الانساني، فمنهم من يجعلها مقتصرة على الجانب المادي من التراث الانساني، ومنهم من حددها بالجانب المعنوي من ذلك التراث. في حين يرى فريق ثالث، انها تعني الجانبين المادي والمعنوي من التراث الانساني.

ولقد اقامت الامة العربية حضارة يمكن القول عنها باطمئنان، بانها الحضارة اصيلة، ابتدأت في الارض العربية منذ اقدم العصور ثم تجددت وتطورت في ظل الاسلام بسرعة فائقة، وبلغت ذروة ازدهارها في خلافة العباسيين ببغداد، والخلافة الاموية بقرطبة من ارض الاندلس الجميلة. وفي القاهرة من ارض الكنانة، ويمكننا الجزم بان هذه الحضارة ليس من الحضارات المقلدة او التابعة .(٣)

وكان للحضارة العربية هذه في جانبيها السياسي والروحي، شخصية فريدة ونظم خاصة، وتشريعات رائعة، ميزتها من سائر الحضارات الاخرى ولها من القوة والمنعة

ماجعلها تبقى مع الدهر، وتخلد الى الابد، وقد ساعد على ذلك وجود امة العرب في موقع الوسط بين الامم وبين قارات العالم، فوصلت الى المرتبة التي استطاعت فيها ان توحد بين الدين والدولة. وان تشرع الحرب لاقرار السلام ودفع الاذى عن النفس والعقيدة والوطن. وليس لايقاع الاذى على الناس الاخرين.(٤)

ولقد تميزت الحضارة العربية من غيرها من الحضارات الاخرى في العالم بالامور الاتية :(٥)

١ - انها حضارة عربية في تعبيرها، حيث استعملت جميع الشعوب والامم التي انضوت تحت راية الدولة العربية، لغة العرب، للتعبير عن نواحي الفكر، مع قدرة هذه اللغة لمسايرة التطور السريع في نواحيه المختلفة، وكتب الجميع بهذه اللغة، في مختلف الموضوعات.

٢ - ان الروح الدافعة للحضارة العربية، هو الاسلام، بمعنى ان المحيط الذي عمل جميع الناس فيه، هو محيط اسلامي، وان البيئة الاجتماعية هي بيئة عربية اسلامية.

٣ - انها حضارة عربية في محتواها، ولم تكن خاصة بالعرب، وحدهم، ولم تقتصر على اقاليم معينة، بل شملت العالم المعروف انذاك كله، كما ان نتاج افكارها، صار يصلح لشعوب كثيرة اخرى كانت تعيش خارج الارض العربية الاسلامية.

٤ - انها كانت حضارة منفتحة، تناولت كل شؤن الحياة، وتعرضت لكل قضايا المجتمع، ولم تسلم من ذلك حتى الامور المتعلقة بالعقيدة الدينية نفسها.

٥ - لم تكن حضارة جامدة، بل كانت حضارة متطورة ديناميكية من حيث تعرضها للقضايا المختلفة. وبحثها في المسائل المتعددة من اجل الوصول الى الحلول المطلوبة او على الاقل التفكير في هذه الحلول.

ثانيا : نشأة حضارة العرب بالاندلس وعلاقتها بالمشرق :

لما دخل العرب الاندلس سنة ٩٢ هـ/ سنة ٧١١م ، لم يجدوا فيها حضارة عريقة خاصة بها، بحيث يحدث الاحتكاك بينها وبين حضارة العرب الجديدة القادمة معهم من المشرق العربي، ولذلك اتجهت الاندلس العربية الى المشرق لتأخذ منه اساليب الحضارة في النظم والفكر، وتستفيد مما وصلت اليه هذه الحضارة من تقدم وازدهار مع العلم ان اوربا كانت حينذاك تعيش حالة من التخلف الحضاري والاجتماعي والسياسي :(٦).

ومع ذلك لم تكن حضارة العرب بالاندلس، مجرد حضارة مقلدة للمشرق، او مقتبسة

منها، بل سرعان مابدأت تميز نفسها بكثير من النتاجات الحضارية المختلفة الخاصة بها ضمن ظروف البيئة الجديدة، مع الاحتفاظ بالصلات القوية مع المشرق العربي علماً بأن المجتمع العربي الاسلامي كان ومايزال، يشكل وحدة ثقافية واحدة .(٧)

كان على الاندلس بطبيعة الحال، منذ افتتحها العرب وضموها الى دولتهم الكبرى، ان تصبح ذات طبيعة متميزة في نظمها ونتاجها الحضاري، رغم صلتها بالمركز الاصلي في دمشق اولا، ثم بغداد ثانيا، لانها تقع على التخوم المباشرة لعالم مختلف تماماً عن العالم الاسلامي، ذلك هو عالم اوربا المظلمة، فضلاً عن ان الاندلس تقع وراء الفاصل المائي الذي كان عبوره في البداية اصعب على العرب من عبور الصحراء، غير ان تقدم العرب المسلمين في فن الملاحة تجاوز هذه الصعوبة وبدأت الصلات تزداد بين المشرق العربي والاندلس، ونشطت العلاقات بينهما في المجالات كافة، وخاصة في المجالين الثقافي والتجاري (٨)

لقد حرص الامويون في الاندلس، منذ اقاموا دولتهم فيها، على ان ينظموا هذه الدولة والمجتمع على صورة الدولة الاموية بدمشق اولاً ثم جعلوا من قرطبة، بغداد الثانية، وبخاصة مدينة الزهراء الملكية، وحي الرصافة ثانياً والواقع ان اختيار اسم الرصافة لعدد كبير من القصور المشيدة بالقرب من ابواب قرطبة لم يكن محل صدفة. فالامير عبد الرحمن الداخل، هو الذي سمى به احد قصوره المحببة لكي يحتفظ في وطنه الجديد بذكرى وطنه الاصلي دمشق، الذي اضطر الى هجره، وبذكرى العرش الذي نحاه عنه بالقوة جيش العباسيين، فهذا الاسم دليل قاطع على وجود تقاليد عربية شامية وشرقية نشأت في الاندلس مع قيام الدولة الاموية هناك. (٩)

لقد بدأت التقاليد العربية الشرقية في الاندلس، منذ حضر العرب الى هذه البلاد، حيث حرص امراؤهم على اتباع تقاليد الخلافة في المشرق واحداً بعد الاخر، حتى انهم اطلقوا اسماء مدن الشام على المدن الاندلسية التي استقر بها جند الشام ومصر، لان ذلك علامة من علامات مجدهم الخالد واشعاراً باحتفاظهم بتراثهم العربي الخالد. وقد شجعوا التقاليد الشرقية في الاندلس، وقد بعث الشبه الجغرافي بين سهول الاندلس اليانعة وغوطة دمشق، الحنين الى نخيل الواحات الشامية واشجارها التي تظلل حدائق نهري بردي والعاصي وغيرهما. واحتفظ عرب المشرق الذين انتقلوا الى الاندلس، بتقاليد الاباء والاجداد ولم يألفوا الحياة الجديدة في اول الامر، لكنهم مالبثوا ان اختلطوا بالسكان الاصليين مع مرور الزمن، ونشأت العلاقات المتينة بينهم، بعد اعتناق الكثير من الاسبان الدين الاسلامي بعد استكمال عمليات الفتح خاصة، وبذلك اخذت التقاليد العربية تنسجم مع عوامل البيئة الجديدة. وبدأ التأثير المتبادل بين الاجناس، في الاندلس يأخذ

مداه، متأثراً بطبيعة الحياة نفسها، وبالظروف التأريخية ايضا، على ان هذه التقاليد الشرقية تعززت في الاندلس في عهد عبد الرحمن الداخل حيث وصلت افواج كثيرة من عرب المشرق الى هذه البلاد .(١٠)

لقد نشطت العلاقات بين الاندلس والمشرق في مجالات العلوم والثقافة والتجارة الى جانب العادات والتقاليد الشامية والبغدادية وتجديداتها، فلما كونت الاندلس وحدتها السياسية والدينية، حيث اعتمدت المذهب المالكي وتحررت من رعاية العباسيين الادبية، تبلور وضع الاندلس الحضاري والعلمي والاجتماعي، وبدأ يأخذ وضعاً متميزاً وخاصاً، عندما نعمت الاندلس بفترة هدوء سياسي دائم، ملائماً لنمو الفكر وتطوره، ولتعمير التأثير الثقافي وشدة نفوذه وكثرة انتاجه. فقد ساعد الهدوء والسلم النسبي الذي حدث في الاندلس في عهد عبد الرحمن الثاني (الاوسط) على خلق نهضة حضارية بالاندلس وانمائها كان سببها ومصدرها بطبيعة الحال الشرق العباسي .(١١)

لقد حذا عبد الرحمن الثاني حذو العباسيين في بلاط قرطبة دون ان يسمح للعداء التقليدي بين الاسرتين ان يكون عائقاً في ذلك، فاقتفى النظام الاموي بقرطبة، النظم العباسية على الاقل في مبادئها العامة، فانشأوا بيت المال، واستعملوا الخاتم الرسمي، ونظموا المصانع على غرار ماهو في بغداد، ورغم ان الامويين بالاندلس احتفظوا بالكثير من التقاليد الشرقية، الا انهم ادخلوا عليها كثيراً من التعديلات التي اكسبتها طابعها الاندلسي المتميز. وكان سكان الاندلس يستقبلون باعجاب واحترام كل مايأتي من بغداد او غيرها من مدن المشرق العربي (١٢)

ويعد دخول زرياب المغني، وهو فنان عراقي شهير، من اهم الاسباب الفعالة في بث الروح الشرقية في الاندلس، ليس في مجال الموسيقى فحسب، بل في الكثير من العادات والتقاليد المنزلية ونظم المائدة، وفن التجميل واللباس والاناقة وغير ذلك من ازياء ولباس واثاث من نظام البلاط العباسي .

لقد اثرت حضارة الشرق العباسي في الاندلس كثيراً، غير ان تجديدات كثيرة نشأت ونمت في هذه الارض الاسلامية الجديدة وخاصة منذ العصر الاموي فيها وماتلاه، حيث اخذت الاندلس تعتمد على نفسها، ولم تعد تكتفي بأن تتأثر بغيرها، بل ابتدأت تنشر حضارتها وتراثها ونظامها بوصفها امة كبيرة متحضرة الى ماوراء حدودها تجاه اوربا خاصة. غير ان العلاقة بين الشرق والغرب استمرت بدون شك نشيطة، وقد ساعد على ذلك، رحلات الحج من الاندلس الى المشرق والى الاماكن الاسلامية المقدسة الاخرى، وحضور ابناء المشرق الذين جذبتهم بلاد الاندلس، وهم كثيرون، فشهدت العلاقات الثقافية والفكرية بين الجانبين نشاطا واضحاً منفصلاً عن نشاطات العلاقات الاقتصادية

والتجارية التي سارت مع الزمن سيراً عجباً، حيث كانت الاساطيل التجارية تجوب البحر المتوسط بين موانى الجانبين العديدة والكبيرة .(١٣)

ثم صار التأثير متبادلا، فقد اثرت الاندلس في المشرق عندما اثمرت جهود العلماء العرب بالاندلس في ميدان العلوم القرآنية، وكذلك نشاط القضاة الذي صار مقرونا باسماء نخبة من ائمة المذهب المالكي في الاندلس وموطدى اركانه، وتجلى عندهم علم اصول اللغة وفقهها، وظهرت جوانب خاصة للفكر الاندلسي، ونشأ فيها ادب وشعر فني اندلسي متميز .(١٤)

ورغم تميز المباني والزخرفة الاندلسية بطابعها الخاص، الا ان اثر الشرق فيها كان واضحاً، ويتجلى ذلك الاثر بشكل جلي في قرطبة الذي خضع من خلال جميع التحويرات المتوالية، التي جرت فيه، لتأثيرات عراقية، لايستطيع احد ان يشك فيها. وكانت افريقية العربية هي المحطة التي يمر بها طريق بغداد الى الاندلس وبالعكس، وكذلك القيروان والقاهرة، وان زخرف مدينة الزهراء يثبت بفنه والوانه،انه من اصل عراقي صميم .(١٥)

ومع ذلك، فقد ظل المجهود العلمي والحضاري للاندلس العربية، رغم كل التأثيرات، طابعاً عبقرياً بارزاً انتجه العرب هناك ولاءموا بينه وبين البيئة الطبيعية والبشرية والاجتماعية، واعلنت الاندلس العربية شخصيتها المستقلة، مع حرصها الدائم على الصلة الوثيقة بالتقاليد والتراث المجيد للامة العربية في المشرق، ان الارض والمناخ، واختلاط الشعوب وامتزاج عناصر الشعب المختلفة، اعطت بدون شك للاندلس العربية، عدداً من المميزات التي ظهرت في مختلف نواحي الحضارة، كاللهجة الشعبية الخاصة، والملابس الملائمة للمحيط واساليب الحياة وكذلك التنظيم العقلي والاجتماعي لشؤن المدينة، بحيث صارت الاندلس، ذات طابع ولون خاص يختلف نسبياً ويتميز عن مدن الشرق. حتى ان القادم من مصر والشام والعراق الى هذه البلاد، يشعر بذلك ويلحظه منذ اول وهلة .(١٦)

ثالثاً : اثر حضارة الاندلس على اوربا :

لقد لعبت الاندلس العربية دوراً بارزاً في نقل الحضارة الى اوربا، الى جانب صقلية والحروب الصليبية اللاحقة، فانتقل عن طريقها، تراث العرب الاسلامي الى اوربا المسيحية، وكانت اوربا في ذلك الوقت تعيش مرحلة طويلة من التخلف والانحدار الثقافي والحضاري والاجتماعي. فهي تعيش فترة عصر الاقطاع والفروسية، فاصبحت دور العلم في الاندلس قبلة الدراسين الاوربين الذين نقلوا مختلف اوجه الحضارة العربية معهم الى بلادهم، في مجال العلوم والطب والفلسفة والزراعة، او مجالات العلوم الاجتماعية

والاداب او في مجالات الفنون والعمارة، او في مجالات النظم واساليب الحكم والادارة وقد مرت عملية تأثير الحضارة العربية في الاندلس في اوربا بالمراحل التالية:-

١ ـ عصر التأثير غير المباشر

٢ ـ عصر الترجمة

٣ ـ عصر الاستعراب

ولقد كان للمكتبة العظيمة التي جمعها الحكم الثاني في قصر قرطبة، اثر لايقارن في ذلك العصر، فقد ضمت (٤٠٠,٠٠٠) اربعمائة الف مجلد في مختلف العلوم، وان الفهارس التي وضعت لها كانت في غاية من الدقة والاختصار، وكانت فيها مجموعة كبيرة من الدارسين والباحثين وغيرهم يعملون جميعاً في مجال العلم والمعرفة، وظلت اسبانيا الحديثة ومن وراءها اوربا المعاصرة، فخورة بالجهود العلمي والفلسفي والاندفاع الصوفي اثناء عصور تشبعها بروح الاسلام وانها تعتز بما وصل اليها من تراث عقلي وعلمي عربي، وتعتز بما عاد اليها عن طريق عرب الاندلس من ثقافة اليونان والرومان .(١٧)

لقد ظلت روابط العرب بالاندلس منذ مهد الاسلام فيها، هي ابعد من ان تقطع او تفصم عراها، وكان التمتع بنسب عربي نقي، هو الدليل الوحيد المعترف به، الامر الذي يدلل على ان الاندلس كانت قطعة حمية من دولة العرب الكبرى، وولاية مزدهرة ومختارة منها حقاً، ولها تأثير بالغ في اوربا واسبانيا حتى بعد خروج العرب منها، غير ان الاندلس العربية ظلت ولاية مستقلة لها طابعها الخاص لكنها على اتصال دائم بالشرق الاسلامي والغرب المسيحي، تؤثر وتتأثر، وكان لها الدور البارز في نهضة اوربا المسيحية في العصور الوسطى .(١٨)

لقد اكثر العرب العمران في هذا القطر الاندلسي، فكان المسافر يمر في اليوم الواحد بثلاث مدن او اربع، وحيثما يسير، فهو يرى الحوانيت في الاودية ورؤس الجبال، لبيع الخبز والفاكهة والجبن واللحم والحوت وما الى ذلك من ضروب الاطعمة، ويتعثر بالجداول والانهار التي تحف بها البساتين وصنوف الزرع والاشجار، حتى ليظن انه ليس في هذه البلاد صحراء مقفرة، او ارض غامرة، ولذلك حق القول في الاندلس هذه الابيات :(١٩)

ياأهل اندلس لله دركم	ماء وظل وانهار واشجار
ماجنة الخلد الا في دياركم	ولو تخيرت هذا كنت اختار
لاتختشوا بعد ان تدخلوا سقراً	فليس تدخل بعد الجنة النار.

اما القرى والمعاقل والحصون فانها لاتحصى كثرة، وقراها جميلة لتأنق اهلها في اوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العين عنها.

الفصل الثاني
نظم الحكم والادارة في الاندلس

اولا: الامارة في الاندلس:

كان حاكم الاندلس او السلطان فيها، منذ الفتح العربي لها وحتى سقوط الدولة الاموية في المشرق، يلقب بالوالي، وكان تعيينه يتم من قبل الخليفة الاموي بدمشق، او من قبل والي افريقية واقرار الخليفة بذلك.

ولما صارت الاندلس لبني امية، بعد ما اقاموا دولتهم الجديدة هناك على يد الامير عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ، وتوارثوا الملك فيها، وانقاد لهم كل ابي، واطاعهم كل عصي، عظمت الدولة العربية بالاندلس، وكبرت الهمم وترتبت الاحوال والقواعد، واصبح الامويون صدراً في دولتهم وتلقب واحدهم بالامير، وخطبوا لانفسهم بذلك، وكذلك بابناء الخلائف، ثم قطعوا الخطبة للعباسيين، وخطبوا لانفسهم بعد ذلك بالخلافة وتلقب امراؤهم بلقب (الخليفة) وكان عبد الرحمن الناصر الاموي، اول من تلقب منهم بلقب الخليفة وامير المؤمنين، وسار على نهجه من خلفه من بني امية بحكم الاندلس، ومازالوا على ذلك حتى سقطت دولتهم وحل مكانهم ملوك دول الطوائف.

فلما عظمت دولة بني امية في عهد عبد الرحمن الناصر، اصبحت قواعدهم اظهار الهيبة في الدولة، وتمكن الناموس من قلوب الناس ، فراعوا احوال الشرع في كل الامور، وعظموا العلماء. وعملوا باقوالهم، واحضروهم في مجالسهم واستشاروهم وقبلوا الحكم من قضاتهم حتى على انفسهم، او على ابنائهم، وكان هؤلاء الامراء في غاية من الانقياد الى الحق لهم او عليهم، وبذلك انضبط لهم امر الاندلس .(٢٠)

فكانت القاب الاوائل من بني امية بالاندلس، الامراء ابناء الخلائف، ثم صاروا خلفاء وامراء المؤمنين، الى ان وقعت الفتنة بحسد بعضهم البعض ابتغاء الخلافة من غير وجهها الذي رتبت عليه، فاستبد امراء وقادة الممالك الاندلسية واقاليمها ببلادهم، وسموا انفسهم (ملوك الطوائف) وكان فيهم من خطب للخلفاء الامويين، وان لم تبق لهم خلافة، ومنهم من خطب للعباسيين وان بعدوا عنهم، وصار ملوك الطوائف يتباهون في احوال الملك حتى في الالقاب فتلقبوا بالقاب الخلفاء، وترفعوا الى طبقات السلطنة العظمى، فتلقبوا

بالناصر، والمنصور، والمعتمد، والمظفر وامثالها كثيرة، حتى قال فيهم الشاعر شرف القيرواني، وقبل ابن رشيق القيرواني، وقيل ابن عمار الاندلسي. وهو يبكي حالهم قصيدة جاء فيها ـ(٢١)

مما يزهدني في ارض اندلس	اسماء معتمد فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها	كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد.

ثانيا : الوزارة والحجابة :

تعد وظيفة الوزارة، من اعلى الرتب السلطانية في المشرق في الدولة العربية الاسلامية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة من الوزير الى الخليفة، وهي مأخوذة من المؤازرة والمعاونة او من الوزر، وهو الثقل، وكانت الوزارة هناك على نوعين: وزارة تنفيذ، ووزارة تفويض، اما وظيفة الحاجب في الدولتين الاموية والعباسية في المشرق، فهو من يحجب السلطان عن العامة، ويغلق بابه دونهم، او يفتحه لهم .(٢٢)

اما في الدولة العربية في الاندلس، وبخاصة العصر الاموي فيهام فلم يستعملوا وظيفة الوزارة ولفظها كما هو الحال في المشرق، او في الدولة الفاطمية بمصر، انما استعملوا لفظ الحاجب بدل الوزير، وصارت وظيفة الحاجب بالاندلس ، تقابل وظيفة الوزارة في المشرق، وصار الحاجب بالاندلس، يشرف على اعمال اصحاب الدواوين، وسمى صاحب الديوان بالاندلس، الوزير. فكان الحاجب على هذا الاساس، يقوم بمقام رئيس الوزارء اليوم، ويتولى رئاسة مجلسهم الذي يشرف على شؤن الدولة، وصار الحاجب، هو الواسطة بين الخليفة او السلطان بالاندلس، وبين الوزراء او رؤساء الدواوين الذين هم دونه. وكانت وظيفة الحاجب بالاندلس، في غاية الرفعة .(٢٣)

ولم يكن مجلس الحاجب، او بالاحرى مجلس الوزراء بالاندلس، هو وحده الذي يشرف على شؤن الدولة، بل كان الى جانبه مجلس اخر يسمى (مجلس الشورى) يرأسه الامير او الخليفة، يضم كبار رجال الدولة وبعض الامراء من افراد البيت الاموي.(٢٤)

فكانت الوزارة في عهد بني امية بالاندلس، مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة، ويخصهم بالمجالسة، ويختار منهم شخصاً لمكان النائب عنه، يسميه الحاجب، وكانت هذه المراتب خاصة في عدد من البيوت المعلومة، الى ان كان عهد ملوك الطوائف، الذين لم يتركوا هذه الالقاب، بل صار اسم الوزير عندهم يطلق على كل من يجالسهم (اى الملوك) ويختصون بهم، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف (بذى

ثالثاً : الكاتـــب :

وظيفة الكاتب، او ديوان الرسائل اكدته الحاجة في الدولة العربيـة الاسلاميـة لحفـظ اللســان العربي والبلاغـه في العبـارة خـاصـة وقـد اصبح المجتمع العربي الاسلامي خليطـاً، وفسد اللسان العربي فيه، لـذلـك صارت الكتـابـة صنـاعـة اختص بها من يحسن اللغـة العربية، واصبحت عند بني العباس وظيفة رفيعـة المقـام، وكان الكاتب يصـدر السجلات ويكتب في اخرها اسمه، ثم يختم عليها بخاتم السلطان .(٢٦)

وكما تعددت الدواوين في الـدولـة العبـاسيـة، والـدولـة العربيـة والاسلاميـة الاخرى، اصبح من الضروري تعيين عدد من كبـار الموظفين للاشراف على هـذه الـدواوين، وسمى كل منهم (الكاتب) وصـارت وظيفـة الكاتب في الانـدلس تلي وظيفـة الوزارة في المرتبـة، وتنقسم على قسمين:

أ ـ كاتب الرسـائـل، ويسمى صـاحبهـا الكاتب، ويشترط فيـه ان يكـون بليغـاً حسن الاسلوب، جزل العبارة.

ب ـ كاتب الزمـام، ويعرف بكاتب الجهبـذة، ويشترط فيـه ان يكون من عظماء المسلمين ووجهـائهم، ولايجوز ان يكون من اهل الـذمـة، وتعلـو مرتبتـه في بعض الاحيـان، على مرتبة الوزير.(٢٧)

رابعـاً : القضـــاء:

واما القضـاء، فهو من الوظـائف الـداخلـة تحت الخلافـة ، لانـه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي، وقطعـاً للتنـازع، وكان الخلفـاء في صدر الاسـلام يبـاشرون القضـاء بـانفسهم، واول من دفعـه الى غيره من الخلفـاء، الخليفـة العادل عمر بن الخطاب (رضي) فولى ابا الـدرداء، القضـاء معـه ، بـالمـدينـة المنورة، وولى شريحاً القضاء في البصرة وولى ابا موسى الاشعرى القضاء بـالكوفـة. وكـذلـك كان الحال في عصر الدولتين الاموية والعباسية بالمشرق .(٢٨)

وصار للقضاء في الاندلس، مركز ممتاز بين وظائف الدولة، وشأنه هنـاك شـأنـه في سـائر البـلاد الاسـلاميـة، فكان الامير او الخليفـة، هـو الرئيس الاعلى للقضـاء، وكانت خطة القاضي بالاندلس من اعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بـأمور الدين، وكان قاضي القضاة يسمى قاضي الجماعة، ومقره في قرطبة حـاضرة الـدولـة ، ولايشترط في القاضي ان يكون من العرب المشارقة ، فقـد يكـون من عرب المغرب، او من الموالي ايضا. وكان القرآن الكريم والسنة النبويـة الشريفـة، مصـدر التشريع

في الاندلس، وحكم القاضي نافذ على الجميع، حتى الامير او الخليفة اذا استدعي لدار القضاء يحضر بنفسه بين يدى القاضي.(٢٩)

وقد سار الامويون في الاندلس، على نهج الخلفاء الامويين والعباسيين في المشرق، في تولية قضاتهم قيادة الجيش نيابة عنهم، .(٣٠)

خامساً : الحبسة والسكة

اما الحسبة، فهي وظيفة دينية من باب الامر بمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين، ويعين لهذا الامر شخص يسمى (المحتسب)، ويتخذ له الاعوان والمساعدين ليراقب الناس في الاسواق، ويراقب المقاييس والمكاييل، ويحمل الناس على مراعاة المصالح العامة في المدينة، ويمنع الضرر عن الناس من جراء المعاملات اليومية بينهم داخل الاسواق والمحلات، ويمنع الغش، وينفذ احكام القضاء في حق اصحاب هذه المحلات فوظيفة الحسبة، بمثابة الوظيفة التي تخدم القضاء .(٣١)

وفي الاندلس، كان يتولى وظيفة الحسبة في كل مدينة، موظف يسمى (المحتسب) ايضا، او صاحب السوق، لان معظم عمله يتعلق بالاشراف على اصحاب الاسواق، وكان يشترط في من يتولى هذه الوظيفة، ان يكون مشهودا له بالعلم والمعرفة والفطنة، وقد يختار من بين القضاة في بعض الحالات، واصبح لهؤلاء المحتسبين في الاندلس، اوضاع وقوانين خاصة محددة ودقيقة يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس احكام الفقه، لانها تدخل عندهم في جميع البياعات، وكانت العادة في صاحب الحسبة ان يمشي بنفسه راكباً في الاسواق واصحابه معه، والميزان الذي يزن به في يد احد هؤلاء الاعوان .(٣٢)

واما السكة، فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس، وحفظها مما يداخلها من الغش او النقص، وهي وظيفة دينية بهذا الاعتبار، وتندرج تحت وظيفة الخليفة . كما كانت تندرج ايضا في عموم وظيفة القضاء، ثم افردت لها وظيفة اخيراً كما افرد للحسبة .(٣٣)

سادساً: الشرطة

وهي وظيفة عرفت قبل العصر العباسي لكنها تطورت واتضحت مهامها خلال هذا العصر. ، اما صاحبها فهو من يقيم احكام الجرائم في حال استبدادها اولا، ثم

الحدود بعد استيفاء، وهي وظيفة تابعة لصاحب السيف في الدولة، وحكمه نافذ على المخالفين في بعض الاحيان، وربما جعلوا لصاحب الشرطة النظر في الحدود والدماء باطلاق، وافردوها عن وظيفة القاضي، ويسمى صاحب الشرطة بافريقية (الحاكم)

اما وظيفة الشرطة في الاندلس، في العصر الاموي خاصة، فقد قسمت على قسمين: شرطة كبرى، وشرطة صغرى، ووجدت الشرطة الوسطى ايضا، وجعل حكم الكبرى على الخاصة، وجعل له الحكم على المراتب السلطانية والضرب على ايديهم في الظلامات، وعلى ايدي اقاربهم ومن اليهم من اهل الجاه، وجعل صاحب الصغرى مخصوصاً بالعامة، ونصب لصاحب الكبرى كرسي بباب دار السلطان ومعه رجال يتبوأون المقاعد بين يديه، ولا يبرحونها الا بأمره، وكانت ولايتها للاكابر من رجالات الدولة، حتى كانت ترشيحاً للوزارة والحجابة .(٣٤)

وصارت وظيفة الشرطة في الاندلس، مضبوطة ومعروفة بهذه السمة، ويعرف صاحبها عند العامة، بصاحب المدينة، او صاحب الليل، وهو الذي يحد من الزنا وشرب الخمر، وكثير من الامور الشرعية الاخرى راجع اليه، وصارت لديه صلاحيات واسعة للحفاظ على الامن والاستقرار الداخلي .(٣٥)

الفصل الثالث
الحياة الاجتماعية والثقافية في الاندلس

اولا : المجتمع العربي في الاندلس:

يتكون المجتمع العربي في الاندلس، من عدة عناصر وفئات وشرائح، خلقت منه مجتمعاً له طبيعة ولون خاص، وفيما يأتي اهم مكوناته:

١ ـ العرب (عرب المشرق)

دخل العرب الاندلس على شكل دفعات متواصلة، بدأت مع بداية رحلة العبور التي استطلعها طريف، ثم عبر بعده طارق بن زياد ثم موسى بن نصير، ثم تتابع دخول العرب بعد ذلك الى هذه البلاد، وكانت طالعة العرب مع موسى بن نصير اكبر واهم الجاميع العربية الاولى التي دخلت الاندلس والتي بلغ عددها زهاء (١٨) ثمانية عشر الفاً من العرب اليمانية والقيسية، وقد استقر هؤلاء العرب على طول الطريق الذي سلكه موسى عندما فتح الاندلس ابتداء من الجزيرة الخضراء وشذونه واشبيلية وماردة وصولا الى سرقسطة ومرسية، ونواحي اخرى في اقصى الشمال والشمال الغربي. ثم دخلت الاندلس نخبة مختارة من عرب افريقية سنة ٩٧ هـ مع الحر بن يوسف الثقفي، ومعظمهم من اليمانية، فاقاموا في قرطبة وما حولها، ثم دخلت الاندلس طالعة اخرى من العرب مع بلج بن بشر سنة ١٢٣ هـ، بلغ عددهم زهاء (١٠) عشرة الاف رجل معظمهم من القيسية (الشاميون)، ثم تفرق هؤلاء في شرق الاندلس، فصار جند دمشق في كورة البيرة، وجند الاردن في كورة رية، وجند قنسرين في كورة جيان، وجند مصر في كورة لشبونة، وباجة وتدمير، وكان من فروع اليانية: حمير وكندة ومذحج وقضاعة وفروعهم، ومن العرب القيسية: ربيعة ومضر وفروعها.(٣٦)

ثم ازداد عدد العرب كثيراً بالاندلس، وكان اغلب الداخلين الاوائل منهم، بغير نسائهم، فتزوجوا بالاندلس، وكثر نسلهم بشكل عجيب ، فاذا اخذنا نسل خلفاء بني امية هناك كدليل على هذه الزيادة، ادركنا حجم ازدياد العرب عموماً في هذه البلاد، فقد اعقب عبد الرحمن الداخل أحد عشر ذكراً وتسع بنات، والحكم ثمانية عشر ولداً، وعبد

الرحمن الاوسط مائة ولد وبنت، وعبد الرحمن الناصر احد عشر ولداً ذكراً(٣٧) ، ومعنى هذا ان العرب الاوائل الذين قارب عددهم اربعين الف رجل· اصبحو بعد عشرين سنة قرابة نصف مليون مع من انضم اليهم من المشرق والمغرب او انضم اليهم من اهل البلاد·

لقد انتشر العرب، انتشاراً واسعاً في جميع انحاء الاندلس، ولم تخل منهم ناحية من نواحي الشرق او الغرب، او الشمال او الجنوب، او الوسط، وكان العرب بالاندلس، حسني العشرة، بعيدين عن التعالي على سكان البلاد الاصليين، رغم اعتزازهم وفخرهم الدائم باصلهم العربي، وكانت اطماعهم في البلاد المفتوحة قليلة، ولم يكونوا سادة او حكاماً، بل كانوا والمواطنين يتعايشون بلطف ومودة فامنهم السكان الاصليون بالاندلس، واقبلوا عليهم، واختلطوا بهم وصاروا منهم ·(٣٨)

وكانت هذه العناصر العربية التي دخلت الاندلس، تضم اعداد طيبة من اشراف العرب وقادتهم، ممن يحملون الخصال الحميدة لهذه الامة، ويمثلونها خير تمثيل·

واذا كان العرب الاوائل كلهم رجالاً مقاتلين، دون اهليهم ونسائهم، ثم تزوجوا من نساء اهل البلد· فان الاجيال التالية لهم، صارت عرب من نوع جديد اذ اختلطت دماؤهم، لكنهم ظلوا عرباً بالاحساس والاتجاه واللغة والعطاء، وجاز اعتبارهم او تسميتهم (بالمولدين) وقد كان البيت الاموي نفسه، بيتاً مولداً اي ان اكثر امهاتهم من غير العرب، ومع ذلك فقد اختلطت لغة العرب ، باللغة الاصلية لاهل البلاد، ولذلك دخلت العجمة في لغة إهل الاندلس ·(٣٩)

٢ ـ البربر (عرب المغرب) :

لقد دخل البربر الاندلس، جنباً الى جنب مع عرب المشرق، وكانت طليعتهم الاولى قد دخلت مع طارق بن زياد، ثم لحقت منهم اعداد كبيرة بعد الفتح، فعبروا البحر، على ماقدروا العبور عليه من مركب وقش، ونزلوا الاندلس، وظلت هجرة البربر الى الاندلس مستمرة ومتصلة، بحكم القرب والجيرة، وكان اكثرهم من قبيلة زناتة وفروعها وقبائل هواره، ونفوسه، ومديونة، ومطفرة، ونفزة، ومقيلة ·(٤٠)

وقد انتشر البربر في معظم نواحي الاندلس، وفي المناطق المتطرفة في اقصى الشمال الشرقي والغرب خاصة، او مايسمى بالثغور، وصار معظم ولاة الثغور منهم ·(٤١)

لم تكن منازل العرب والبربر التي استقروا بها، في الاندلس، اختياراً واستئثاراً لفريق على اخر، انما استقروا حيث نزلوا او ساروا اول امرهم، وصارت منازلهم على ذلك، ومال كل فريق منهم الى ماينا سبه من النواحي، فاستقر العرب في السهولة والمنخفضات والنواحي الدافئة القليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب خاصة، في حين فضل البربر

المناطق الجبلية العالية فاستقروا بها باختيارهم، لشبه كل بقعة بما كانوا عليه في الشرق او الغرب، وقد اختلط البربر ايضا مع السكان الاصليين بالاندلس، وارتبطوا معهم بروابط المصاهرة والمودة، وتحولوا مع الزمن الى بلديين اندلسيين، اي سكاناً اصليين، وصار لهم دور بارز في نشر الاسلام في تلك الديار. وكان لهم دور واضح ايضا الى جانب عرب المشرق في فتح الاندلس اولاً، والفتوحات في ماوراء جبال البرانس ثانيا، وكانوا قوة دافعة ومجددة لهذه الفتوح وكانوا على حداثة عهدهم بالاسلام، اكثر تمسكاً بالاسلام وحماسة للفتح من العرب، لان الاسلام كان وسيلتهم الاولى في النهوض .(٤٢)

٣ ـ الموالـــي :

الموالي بالاندلس، غير الموالي بالمشرق العربي، فهم هنا (موالي بني امية) ، عرفوا لأول مرة بهذا الاسم، عندما دخلوا مع بلج بن بشر الى الاندلس، وكان عددهم الفين، وهم جزء من عدد كبير من موالي بني امية، كان هشام بن عبد الملك قد بعث بهم الى افريقية، وذكر ان عددهم بلغ ثلاثين الفا من موالي بني امية، وعشرين الفا من بيوتات العرب، ارسلهم هشام مع كلثوم بن عياض الى افريقية لمحاربة البربر، فلما دخلوا الاندلس مع بلج، انضم اليهم من كان هناك من موالي بني امية ومن دخلها بعدهم منهم، وانضم اليهم ايضا من دخل في ولاء البيت الاموي من اهل البلاد، فصار الموالي حزباً وقوة سياسية في الاندلس، وصاروا فيما بعد عاملاً مهما في التأثير على الاحداث في هذه البلاد. وكانت لهم اليد الطولى في اقامة الدولة الاموية بالاندلس التي اقامها الامير عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ، ويضم هؤلاء الموالي، موالي بني امية في المشرق من العراق والشام والمشرق والمغرب من عرب افريقية وغيرهم، غير ان اكثرهم كان من اهل المغرب الذين دخلوا في ولاء بني امية او في ولاء عمالهم، وقد ارتبط هؤلاء جميعاً برابطة الولاء للامويين، بما فيهم البربر الذين دخلوا في ولاء بني امية .(٤٣)

وقد ازداد عدد الموالي بالاندلس، زيادة عظ‍ة عندما اضطرب امر الامويين بالمشرق خاصة، واسقط العباسيون دولتهم، واشتد الطلب على الامويين وانصارهم، فهربوا وتفرقوا في البلاد، واتجه اكثرهم الى افريقية ومنها الى الانـدلس، وكان هؤلاء الموالي يعدون انفسهم تابعين للبيت الاموي، او لمن يعهد له الامويون بالولاية او الامارة، وصار الموالي والشاميون جبهة واحدة وكونوا قوة بارزة في ولاية يوسف الفهري، فلما اقبل بدر مولى عبد الرحمن الداخل، الى الاندلس، ايدوه، وقاموا بدور خطير في اقامة امر عبد الرحمن. وحولوا تأريخ الاندلس وجهة جديدة عندما نجح عبد الرحمن الداخل في اقامة دولته بمساعدة هؤلاء الموالي، ثم دخل الكثيرون من اهل الاندلس بعد ذلك في ولاء بني امية .(٤٤)

على ان الموالي بالاندلس، كانوا ثلاثة انواع : الاول، موالي بني امية من المشرق والذين ارتبطوا بروابط الولاء القديمة للبيت الاموي، والثاني موالي المغرب العربي الذين دخلوا في ولاء بني امية او قوادهم او قواد بعض العرب المشارقة، والثالث الموالي الاسبان الذين اسلموا ودخلوا في ولاء بني امية او قوادهم ، وظلوا يحتفظون هم وابناؤهم بهذه العلاقة، وظل اهل الاندلس يرعون حرمة الولاء هذه .(٤٥)

٤ ـ المولـــدون :

عند دخل العرب الاندلس، كان سكانها شعباً اوربياً نصرانياً في غالبيته العظمى ، يضم مجموعة قليلة من اليهود، ولم يكن دخول العرب هذه البلاد، سادة حاكمين كما دخلها القوط او غيرهم، بل دخلوها بروح الاسلام الذي كان حركة انهاض امتدت من شعب الى شعب، ولذلك عاملوا اهل البلاد باللطف والاحترام والمودة، نزلوا هذه البلاد محررين عاديين، يريدون العيش بسلام الى جانب السكان الاصليين في ظل الاسلام، ولذلك اتجه العرب منذ البداية، الى الاختلاط بالسكان الاصليين والزواج منهم .(٤٦)

لقد ارتبط الكثير من العرب والبربر مع السكان الاصليين في الاندلس بالمصاهره، وعاشوا جميعاً متجاورين متحابين ومتساوين، الامر الذي ادى الى انتشار الاسلام في هذه البلاد، واطلقوا على السكان الاصليين اسم (عجم الاندلس)، ثم اطلقوا على الذين اسلموا منهم اسم (الاسالمة، او المسالمه)، ثم اطلقوا على اولادهم الذين نشأوا على الاسلام اسم (المولدين)، ثم تلاشت هذه التسمية اخيراً بسبب اختلاط الناس، وتحول الجميع الى شعب اندلسي واحد دون تمييز .(٤٧)

اما السكان الاصليون الذين ظلوا على ديانتهم النصرانية في الاندلس، فقد اطلق عليهم اسم (المستعربون) تمييزاً لهم من القشتالين والفرنجة الخارجين عن طاعة الدولة العربية بالاندلس، واصبح المستعربون عنصراً متميزاً في المجتمع يحسن لغة العرب المسلمين ويجري على عاداتهم، رغم احتفاظه بديانته وطقوسه، ورفعت عنهم كثيراً من المظالم والضرائب غير الاصولية التي فرضها القوط عليهم سابقاً، ولم يمارس المسلمون الضغط عليهم مطلقاً لدخول الاسلام، لكنهم سكنوا شوارع ومناطق خاصة بالمدن الكبيرة، وسمح لهم الامويون بالمحاكمة اما قضاة من بني جنسهم، ولم يرتدوا الملابس التي تميزهم من المجتمع، ويغلب ان يكون للواحد منهم اسمان: اسم عربي يشتهر به، واسم اسباني او لاتيني يعرف به رسمياً، وبلغ استعرابهم، لغة وثقافة اسلوب حياة عربية الى الحد الذي جعلهم يختنون ابناءهم، ويطبقون نظام الحريم في البيت على غرار العرب المسلمين، واحسن هؤلاء القوم، اللغة العربية واتقنوها الى جانب اللغة الاسبانية، وصار اهل الذمة والمسالمة ثم ابناؤهم المولدون، يشكلون الاغلبية من سكان الاندلس، وصار عدد المولدين فيهم تباعاً، هو

٥ ـ الصقالبـــة :

وهم من المماليك الذين كان يجلبهم تجار الاغريق والبندقية، الى بلاد الاندلس، ويبيعونهم صغاراً، فينشأون نشأة اسلامية وكانوا يسمون الخرس ايضا لعجحة ألسنتهم وقد بلغ عددهم اول الامر زهاء خمسة الاف، وكانوا يجلبون ايضا من اسرى الحروب، فازداد عددهم، ودخلوا الجيش ، وصاروا عنصراً هاماً من عناصره في الاندلس، وكانوا يكثرون عادة في العاصمة قرطبة وقد اتخذهم الحكم الاول الاموي، حرسا له ، ولم يلبث عددهم ان زاد كثيراً وتفاقم شرهم في البلاد في اواخر الدولة الاموية بالاندلس، وبداية قيام الدولة العامرية .(٤٩)

٦ ـ اهل الذمـــة :

كان اهل الذمة من النصارى، يشكلون الغالبية العظمى في المجتمع الاندلسي في بداية الفتح العربي وعصر الولاة، لكن عددهم اخذ يقل تدريجياً في حين اخذ عدد العرب والبربر والمولدين بالازدياد السريع في هذه البلاد، حتى صار اهل الذمة اخيراً اقلية من السكان، ولم يمارس العرب المسلمون سياسة التمييز بين المسلمين واهل الذمة في الوضع والمعاملة، وقامت العلاقة بينهم على اساس الصداقة والمودة والاحترام، ولاسيادة لجانب على اخر، ولم يتعرض العرب الفاتحون للنصارى الذين سالمو، باي اذى، بل عاملوهم بالرفق وتزوجوا من نسائهم وبناتهم، وابقوا على ديانتهم اذا رغبوا، وعاهدوهم على الصلح متى طلبوا ذلك وقد جرى المسلمون على اتباع سياسة التسامح الديني مع اهل الذمة عن ادراك حقيقي لسياسة الاسلام المسالمة الرفيعة، التي اجتذبت الناس الى الاسلام، واقنعتهم بعدالة الدولة الجديدة، وصحة رسالتها، وصواب اهدافها، واحترم العرب نظم البلديات وحكومات المدن لاهل الذمة اينا وجدت، وتركوا لهم حرية اختيار رؤسائهم وممارسة طقوسهم الدينية دون ضغط او تدخل .(٥٠)

٧ ـ اليهـــود :

شكل اليهود فئة صغيرة في اسبانيا قبل الفتح، ولاقوا سياسة عنيفة من جانب القوط بسبب سياستهم المعادية واستغلالهم، وقد اثر ذلك في موقفهم من دولة القوط، ودولة العرب الجديدة، فلما نجح العرب في فتح الاندلس تسامحوا مع اليهود، واطلقوا لهم حريتهم الدينية وممارسة طقوسهم الخاصة، واعادوا لهم حقوقهم واملاكهم، فنشطوا كثيراً في المجتمع والدولة، واقبلوا على تعلم اللغة العربية منذ بداية الفتح، واندمجوا مع المجتمع، غير

انهم مالبثوا ان نظموا انفسهم، وصار لجماعاتهم رؤساء منهم مسؤلون امام الحكومة الاسلامية معترف بهم، بكل مايتصل بالجماعة. ومع ذلك ، فقد انحازوا الى جانب اعداء الاسلام والعرب في الاندلس، وتحالفوا والنصارى ضد العرب المسلمين، ولعبوا دوراً كبيراً في الصراع الاسلامي النصراني في تلك البلاد حتى بعد خروج العرب منها .(٥١)

٨ ـ المرأة في الاندلس :

كان للنساء في الاندلس هن في . الغالب من الاسبان، أو منهن المولدات وغيرهن من الوافدات من المشرق، والمغرب العربي ـ اثر كبير في الحياة العامة والخاصة في هذه الديار، لما لهن من خصال حركت نفوس الامراء والقادة، الى جانب نفوس الشعراء والادباء، فضلاً عن نبوغ بعضهن بالادب والشعر، وصار لهن مساهمة واضحة في الحركة الادبية، بما انتجنه من ادب رفيع وقد فتح ذلك الابواب واسعة امامهن لدخول قصور الامراء والخلفاء والموسرين، حتى امتلاءت تلك القصور بهن، وبخاصة قصور بني امية ومنهن: الجارية السوداء عايدة، وفضل، وكانت فضل جاذقة في الغناء، واصلها من جواري احدى بنات الرشيد، ثم وفدت الى الاندلس، واشتراها عبد الرحمن الداخل، ومنهن قمر، وكانت اديبة لامعة عرفت صوغ الالحان، واشتهرت بالظرف والادب والجمال، وكذلك ولادة وصاحبتها مهجة، واشتهر من النساء الاديبات بالاندلس، اعتماد، جارية المعتمد وبثينة بنت المعتمد، وحفصة بنت حمدون، وغاية المنى، ونزهون الغرناطية، وغيرهن كثير، وقد ملأن كتب الادب شعراً ونكتاً واحداثاً، استوجبت اهتماماً كثيراً وعناية كبيرة. وعموماً صار للمرأة الاندلسية دور كبير في الحياة الادبية الى جانب كثرة العطاء الذي بذله الامراء والخلفاء والقادة رغبة في المديح والثناء، وكان هذان العاملان: المرأة، والعطاء، السببن الرئيسيين في رقي الحياة الادبية في المشرق والمغرب على حد سواء .(٥٢)

وصار للمرأة في الاندلس، تأثير كبير في داخل قصور الامراء والخلفاء، وليس ادل على ذلك من قصة المغنية طروب جارية الامير عبد الرحمن الثاني، التي بلغ من شدة ميله اليها، حين غضبت منه ورفضت مقابلته، استرضاها ببدر من المال والحلي قدر قيمته مائة الف دينار، واولع عبد الرحمن بجارية اخرى اسمها مدثرة، حتى اعتقها وتزوجها.

اما السيدة صبح زوجة الحكم الثاني وام المؤيد، فقد تمتعت بنفوذ كبير في الدولة الاموية بالاندلس وتغلبت على امور ابنها واستبدت بالسلطة دونه، وتمتعت بنفوذ مطلق لاحدود له.

اما المرأة البربرية بالاندلس: فقد وصفت بالطاعة والنشاط في الخدمة، وكانت صالحة للانجاب بشكل كبير، وكانت اعطف على الاولاد من غيرها، وقد وصفها ابو عثمان

الجاحظ قائلاً: اذا اجتمع للبربرية، مع جودة الجنس، ان تجلب وهي بنت تسع حجج، ثم كانت بالمدينة ثلاث حجج، ثم جاءت الى العراق ابنة خمس عشرة، فتأدبت بالعراق، جمعت الى جانب جودة الجنس شكل المدنيات، وطيب المكيات، واداب العراقيات، استحقت ان تخبأ في الجفون وتوضع على العيون .(٥٣)

٩ ـ الديانـــة:

اما حال اهل الاندلس في ديانتهم، فكانوا يدينون بالديانات السماوية الثلاث واكثرهم المسلمون، ثم يليهم النصارى، ثم قلة من اليهود، وكانت سبب غلبة الديانة الاسلامية انها ارتبطت بالدولة وامرائها العرب المسلمين.

وقد اختلفت قوة التمسك بالدين الاسلامي والشريعة بالاندلس، حسب الظروف والاوقات، وحسب نظرة الحكام والسلاطين اليها ولكن الغالب عندهم اقامة الحدود حسب الشريعة، وانكار التهاون بتعطيلها، وكان العامة يستنكرون على المقصرين من اصحاب السلطان فيه، وقد رفض مجتمع الاندلس طريقة فقراء المشرق الذين يسيرون في الشوارع والطرقات يطلبون العون والمساعدة من الناس، وعدت هذه العادة عندهم غير مقبولة مطلقاً، وكانوا اذا رأوا شخصاً سليماً قادراً على العمل يطلب او يستجدى، شتموه واهانوه، ولذلك لاتجد في الاندلس سائلاً، الا ويكون له عذر (٥٤)

١٠ ـ الـــزي :

والغالب على الناس في شرق الاندلس، ترك العمامة، وفي غربها لاتكاد ترى قاضياً او فقيهاً من غير عمامة، واما الاجناد وسائر الناس فقليل منهم من يلبس العمامة في شرقها او غربها، وكثيراً مايتزيا سلاطينهم واجنادهم بزي النصارى المجاورين، فسلاحهم كسلاحهم، واقبيتهم كأقبيتهم، وكذلك اعلامهم وسروجهم، ويحاربون بالتراس والرماح الطويلة للطعن، ولا يعرفون الدبابيس، ولاتجد في خواص الاندلس واكثر عوامهم، من يمشي دون طيلسان، ولايجسوز لليهودي ان يتعمم البتة .(٥٥)

واهل الاندلس اكثر خلق الله اعتناءا بما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وهم اهل احتياط وتدبير مابايديهم خوف ذل السؤال ولذلك قيل في بلدهم:(٥٦)

في ارض اندلس تلتذ نعماء	ولايفارق فيها القلب سراء
وليس في غيرها بالعيش منتفع	ولاتقوم بحق الانس صهباء
واين يعدل عن ارض يخص بها	على الشهادة ازواج وابناء
انهارها فضة والمسك تربتها	والخز روضتها والدر حصباء
قد ميزت من جهات الارض ثم بدت	فريدة وتولى ميزها الماء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب	والطير يشدو وللاغصان اصغاء

ثانيا: الثقافة والعلـــوم:

نشطت الحركة الثقافية والادبية والعلميـة في الانـدلس ايـام حكم العرب فيهـا، وفيما يـأتي بعض اوجه ذلك النشاط :ـ

١ ـ الثقافـــــة :

اصبحت الاندلس العربية، مركزاً ثقافيـاً مشعـاً في التـأريخ، بعـد ان استقرت اركان دولتهم فيهـا في عهـد بني اميـة خـاصـة، وكـذلـك خلال عصر ملوك الطوائف، واخـذت الثقافة في هذه الديار طـابعـاً متميزاً ومتطوراً، رغم تـأثرهـا الكبير بثقـافـة المشرق العربي وعلومه المختلفة ٠

لقد نافست قرطبة، بغداد، والقـاهرة، وبخـارى وغزنـة، ودمشق، وغيرهـا من امهـات المدن العربية والاسلامية، واصبحت كل من اشبيلية وغرنـاطـة ومـدن انـدليسيـة اخرى٠ مراكز ثقـافيـة معروفـة، غير ان قرطبـة تميزت عن هـذه المـدن بوصفهـا جـاضرة الـدولـة ولـذلـك اصبحت سـوقـاً نـافعـة للعلم والمعرفـة، وملتقى لرجـال الفن والادب والمعرفـة ، وجذبت مساجدها التعليمية الكثير من الاوربيين الذين وفدوا اليها للاستزادة من علومهـا وفنونها وادابها الرفيعة، والتزود بالثقاف[illegible] بية الاسلامية فيها، فظهرت فيها طـائفـة من العلماء والشعراء والادباء والفلاسفة [illegible] جمين وغيرهم٠

اما مكتبة قرطبة الشهيرة، فقد [illegible]رت بكثير من المصنفـات في مختلف العلوم، وجمع الامراء والخلفاء فيها من الكتب مـالا يعـد ولا يوصف ، كثرة ونفـاسـة، ولم يكن اقتنـاء الكتب مقتصراً في الاندلس على الامراء والحكام والخلفاء، بل اهتم به عامة النـاس، واقتنوا الكثير من الكتب النادرة ايضا، وعد ذلك العمل، مظهراً من مظاهر الافتخار والتباهي،

وكان طلاب العلم في هذا العصر، يجوبون البلاد سعيا الى موارد العلم والمعرفة، ثم كانوا يصنفون المصنفات التي هي اشبه بدوائر المعارف .(٥٧)

٢ ـ العلـــوم :

كان اهل الاندلس احرص الناس على التميز بالعلم وعلى الجاهل ان يتميز بصفة والا عد شخصاً غير سليم، بل ثقيلاً على المجتمع، وهذا عندهم في غاية القبح، والعالم عندهم يحترمه ويعظمه العامة والخاصة، ويكرم في الجوار والابتياع والمعاملات، وماشبه ذلك من الامور، ومع هذا لم يكن لاهل الاندلس مدارس نظامية تعينهم على طلب العلم، انما كانوا يقرأون جميع العلوم في المساجد، مقابل اجور يدفعونها لمعلميهم ولذلك كانوا يقرأون ليتعلموا لا ليأخذوا، وعلى هذا الاساس يكون العالم عندهم بارعاً. لانه يطلب العلم بدافع من نفسه لكي يتعلم، ولكل العلوم عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فقد كان حظهما عظيماً عند الخاصة فقط ، ومن قيل انه يقرأ الفلسفة او يشتغل بالتنجيم، اطلق عليه العامة اسم (زنديق) وقيدت عليه انفاسه وحركاته .(٥٨)

ومن العلوم التي برع بها اهل الاندلس ما يأتي :

أ ـ العلوم النقلية: كعلم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه وعلم الكلام، والنحو واللغة، والبيان والادب بجانبيه الشعر والنثر.

ب ـ العلوم العقلية: كالفلسفة، الهندسة، والموسيقى، وعلم النجوم، والطب، والسحر، والكيمياء، والرياضيات، والتأريخ، والجغرافية وغيرها.

٣ ـ مجالس الغناء والطرب :

لكل امة، حضارة وفن تفصح عنها وتفاخر بها، وان شاركتها فيها امم وشعوب اخرى، على تفاوت هذه المشاركة، لان الحضارة ومنها الفنون تعتبر ثمرة الاجيال البشرية في كل مكان، فالغناء والموسيقى العربية بصورة عامة، والاندلسية على وجه الخصوص، لم تكن في معزل عن التأثر بما لدى الامم الاخرى التي اختلطت بها، كما كان لها اثر كبير في غيرها ايضا.

لقد استطاع اهل الاندلس تطوير هذا الفن، شأنهم فيه شأنهم مع كافة فنون المعرفة الانسانية، بل قفزوا به مراحل كبيرة الى الامام، حتى غدت الاندلس مهوى الطرب وموطن محبيه، وكانت كذلك في امور اخرى كثيرة، والحديث جميل وشيق عن الغناء والموسيقى الرقيقة في الاندلس، بانغامها الندية المطربة، وهي شبيهة برقة الطبيعة وجمالها هناك .(٥٩)

لقد اولع الامويون في الاندلس، بالغناء والموسيقى، ومجالس الطرب، واجزلوا العطاء للمغنين والموسيقيين، الذين كان من اشهرهم زرياب، الذي اصبح لفن الغناء على يديه، مكانة مرموقة بين الفنون في هذه البلاد.

كان ابو الحسن علي بن نافع، الملقب بـ (زرياب) مولى عند الخليفة العباسي المهدي، فهو بغدادي الثقافة والمنشأ، قرطبي المهجر والاقامة، وقد اطلق عليه لقب (زرياب) لسواد لونه، وفصاحة لسانه، وجمال صوته، تشبيها له بطائر اسود غرد حسن الصوت، وكان زرياب قد تتلمذ على استاذه اسحق الموصلي المغني المشهور، فاحضر الموصلي هذا الشاب يوماً ، في احدى الحفلات في عهد هارون الرشيد، وسمح له بالغناء اما الرشيد، وابتدأ القول بالبيت الاتي :ـ

ياايها الملك الميمون طائره   هارون راح اليك الناس وابتكروا

فلما سمع الرشيد ذلك، اعجب به واهتز طرباً واوصى بزرياب خيراً، لكن اسحق، الموصلي اغتاض منه وخشي منافسته له)، وكان زرياب من انصار الامين ضد المأمون في النزاع الذي نشأ بينهما على الخلافة، فأستدعاه اسحق وعرض عليه احد امرين : اما الموت، واما الرحيل عن بغداد، فأختار الشاب الطموح الرحيل عن بغداد وولى وجهته المغرب العربي فالاندلس .(٦٠)

سار زرياب الى المغرب، ونسي خبره في المشرق، فلما وصل تونس، اتصل بصاحبها زيادة الله الاغلبي، فلم يطب له المقام هناك، فرحل الى المغرب الاقصى ومن هناك كتب الى الحكم الاول الاموي (سنة ١٨٠ـ٢٠٦ هـ) ابن هشام الاول امير الاندلس، يطلب منه السماح له بدخول الاندلس، وشرح له امره في المسير عن بغداد، فسر الحكم بالكتاب ورحب به ودعاه للحضور .(٦١)

عبر زرياب مضيق جبل طارق، ونزل الجزيرة الخضراء، ثم وصل قرطبة عروس الاندلس، فاحسنوا استقباله واحتفل به الامير عبد الرحمن الثاني الاوسط (سنة ٢٠٦ـ٢٣٨ هـ)، وكان قد تسلم السلطة بعد وفاة ابيه، وخرج الامير لاستقباله بنفسه .(٦٢)

وبوصول زرياب الى الاندلس، دخلت الموسيقى والغناء، مرحلة جديدة واورث زرياب من صناعة الغناء، ماتناقله الناس الى ازمان الطوائف، واحتلت الموسيقى مكانة مرموقه في الاندلس، ولقي الموسيقيون والمغنون عناية لم يلقوها من قبل، وبعد ان استقر زرياب الذي لقب (بالقرطبي)، انشأ معهداً للموسيقى ضم ابناءه وبناته اليه وعددهم ثمانية وضم ايضا عدداً من الطلبة الجيدين، وجعل له نظاماً واسلوباً خاصاً في اختيار تلاميذه وتلميذاته .(٦٣)

وادخل زرياب، انواعاً كثيرة من المقامات، ووضع للغناء القوانين والقواعد. واصبح المغنون يلتزمون بالمراسيم والتعليمات التي وضعها زرياب في هذا الشأن .(٦٤)

ومن بين تلميذات زرياب (متعة) ذات الجمال الرائع، التي غنت في مجلس الامير عبد الرحمن الثاني هذه الابيات :(٦٥)

يامن يغطي هواه	من ذا يغطي النهار
قد كنت املك قلبي	حتى علقت فطارا
ياويلتا ... اتراه	لي كان او مستعارا
يا بأبي قرشي	خلعت فيه العذارا

ومن الموسيقين المشهورين بالاندلس بعد زرياب، عباس بن فرناس، صاحب فكرة الطيران المشهورة، المتوفي سنة ٢٧٣ هـ، فكان له فضل كبير في رقي الموسيقى وصياغة الالحان، وكان شاعراً واديباً مشهوراً .(٦٦)

وقد ابدع ابن فرناس ابداعات لطيفة، واختراعات عجيبة، وضرب بالعود، وصاغ الالحان الحسنة، وكان مع ذلك مجيداً للشعر، حسن التصرف في طريقته، كثير المحاسن، جم الفوائد .(٦٧)

وكان الامير عبد الرحمن الثاني الاموي، يستأنس بعباس بن فرناس، وكان يغني بين يديه من رقيق نظمه، ومما غنى له مقطوعة مطلعها :ـ

الجهل ليل ليس فيه نور   والعلم فجر نوره مشهور

وكذلك المقطوعة التي مطلعها:

محمد اكرم مستخلف   من خلفاء الله في الارض

٤ ـ الشعر في الاندلس :

للشعر عند اهل الاندلس شأن عظيم، وللشعراء عند ملوكهم وجاهة ولهم عليهم حظ ووظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم في الفترات المختلفة، ويوضع لهم بالصدقات على اقدارهم.

ولما كان اهل الاندلس ميالين كثيراً الى الموسيقى والغناء اتجه الشعراء عندهم، الى اختراع نوعين من الشعر الذي يخضع للتلحين الغنائي، الى جانب الانواع الاخرى من الشعر، كالمديح والرثاء والشعر العربي والشعر الشعبي الذي امتاز كله بالتجديد وهذان النوعان من الشعر هما :ـ

أ ـ الموشحات.

ب ـ الزجل.

أ ـ الموشحـــات :

الموشحات، شعر فصيح، اما الزجل فشعر عامي، وكلمة الموشح مـأخوذة من الوشـاح، ولاشـك ان المـوشـح ولـد في الانـدلس، ولاصحـة لنسبتـه الى الشرق، لقـد ولـد في ارض الانـدلس الجميلـة، ارض الجمـال والخيـال الوديع، كما هي ارض العلـوم والفنـون الانسـانيـة الاخرى، لان المتـأخرين من اهـل الانـدلس، لما كثر الشعر في بلـدهم وتهـذبت منـاحيـه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغايـة، استحـدثوا فنـاً سموه (الموشح) وكان مخترعـه بـالانـدلس، مقـدم بن معـافي القيري الضرير، وهو من شعراء عبـد الرحمن بن محمـد المرواني الامـوي ، واخذ ذلك عنه، ابو عمر احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد.

وهذه المغنية (قمر) التي وفدت من بغداد، وقد جمعت الى جانب جمـالهـا ورقـة صوتهـا وحسن غنـائهـا، الادب والظرف، فضـلاً عن انهـا كانت تقـول الشعر، غنت يـومـاً وهي تتشوق الى بغداد هذه الابيات :(٦٨)

آها على بغداد وعراقها	وظبائها والسحر في احداقها
ومجالس عند الفرات باوجه	تبدو اهلتها على اطواقها
متبخترات في النعيم كانما	خلق الهوى العذري من اخلاقها
نفسي الفداء لها فاي محاسن	في الدهر تشرق من سنا اشراقها

ولاصحة لما ادعاه البعض، من ان مخترع الموشح هو ابن المعتز العباسي في اواخر القرن الثالث الهجري، عندما نسبوا اليه البيت الاتي من الموشح المشهور خطأ:

ايها الساقي اليك المشتكى   قد دعوناك وان لم تسمع

وقـد اصبحت اشبيليـة موطنـاً لاهل الطرب والانتـاج الموسيقي، الى جـانب كـونهـا كانت من اعظم قواعد الاندلس وحواضره العلمية والادبية، وقد ساعدها على ذلك طبيعـة موقعهـا الجميل وارضهـا الخضراء. وبسـاتين الـزيتـون الـزاهيـة التي تمتـد اميـالا كثيرة في الارض، وتـزين المـدينـة منـارة المسجـد الشـامخـة، التي يبلـغ ارتفـاعهـا (٩٦) متراً، وهي مازالت بـاقيـة حتى اليوم، فلا غرابـة اذاً ، اذا اطلق على اشبيليـة عروس الانـدلس، وان نازعتها في هذا اللقب مدينة قرطبة الجميلة .(٦٩)

وقد ابدع ابن الوكيل القول، وهو أحـد الوشـاحين، في موشحتـه المشهورة التي ضمنهـا اعجاز قصيدة ابن زيدون الشهيرة والتي مطلعها :

اضحى التنائي بديلا عن تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وعلى هذا الاساس، فالموشح، شعر فصيح، تلتزم فيه القصيدة وزناً او قـافيـة واحـدة،

وقد يتعدد ذلك في كل قطعة، وبذلك هو شعر يلتزم الاوزان ووحدة القافية، لكنه يتميز بحرية الوزن التي تكسبه جمالاً وروعة.

ومن بين الوشاحين البارزين، ابن زهر الاشبيلي ابو بكر محمد بن عبد الملك، المولود في مدينة اشبيلية، المتوفى في مراكش سنة ٥٩٥ هـ/ سنة ١١٩٩ م وقد عرف بموشحاته المشهورة، واشتهر بمعرفة الطب، حتى قيل انه لم يكن في زمنه، اعلم منه بصناعة الطب، واشتهر ابن زهر بالشعر الى جانب كونه وشاحاً وزجالاً موصوفاً بالتقدم، وهو صاحب الموشح المشهور الاتي :(٧٠)

ايها الساقي اليك المشتكي　　　قد دعوناك وان لم تسمع

وندیم همت في غرته
ويشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق اليه واتكا　　　وسقاني اربعا في اربع

مالعيني غشيت بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر
واذا ماشئت فاسمع خبري

غشيت عيناي من طول البكا　　　وبكا بعضي علي بعضي معي

غصن بان مال من حيث استوى
بات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى

كلما فكر في البين بكا　　　ويحه يبكي لما لم يقع

ب ـ الزجـــل :

والزجل، شعر يصاغ بالعامية، على شكل فقرات تسمى ابياتا، ويبدأ بمقطوعة تعرف بالمركز، تليه اغصان ذات قافية، ووزن واحد، ويكون كل غصن من ثلاثة مصاريع او اكثر، ثم يلي كلا منها، بيت على نفس وزن المركز وقافيته.

وقد وجد هذا النوع من الشعر الذي يسمى (الزجل) الى جانب الموشح في الاندلس. وهو شعر شعبي غنائي بالعامية .(٧١)

وعلى هذا الاساس، يمكن القول ان الزجل والموشح، فن شعري واحد من ناحية البناء اللغوي، غير ان الزجل، يطلق على العامي والموشح يطلق على الفصيح المعرب، وقد يكون الموشح، اجمل معنى ، وارفع مكانة من الزجل.

وهذه قطعة من الزجل للشاعر الصوفي ابي الحسن الششترى :ـ(٧٢)

شيخ من ارض مكناس — وسط الاسواق يغني
اش علي من الناس — واش على الناس مني
اش علي ياصاحب — من جميع الخلايق
الذي هو تهواه — هو خالق ورازق
لاتقل ياابني حكمه — الا ان كنت صادق
خذ كلامي في قرطاس — واكتبه حرزاً عني
اش علي من الناس — وآش على الناس مني

ومن زجل الوصف والغزل، ماقاله قاسم بن عبود الرياحي :(٧٣)

بالله اين نصيب — من ليس فيه نصيب
محبوباً مخالف — ومعو رقيب
او عند النواعير — والروض الشريف
او قصر الرصافة — او وادي العقيق
رحيق والله دونك — هو عندي الحريق
وفي حبك امسيت — في اهلي غريب
وما الموت عندي — الا حين تغيب
اتكل على الله — وكن قط جسور
وان رايت فضولي — فقل اي تمور
كمش عني وجهك — فان نراك نفور

ومن الزجالين في اشبيلية ابو بكر الحصار، ومن زجله المشهور ما يلي:-(٧٤)

الذي يعشق ملح	والذي يشرب عتيق
الملح ابيض سمين	والشراب اصفر رقيق
لاشراب الا قديم	لاملح الا وصول
اذ تقول روحك يزيد	لش تخالف ما تقول
والدنان كل يوم	لاحلول ولا بخيل
من زيارة بعد قد	رجع يجل صديق

ولم يقتصر الزجل على مدن معينة من الاندلس، بل عم كافة نواحي هذه البلاد وانصرف الزجالون الى هذا الفن الشعبي، لانه يعبر عن احوالهم ويصف حياتهم اليومية، ويشرح رغباتهم واتجاهاتهم، وكان يقدم لهم التسلية الممزوجة بالحقيقة، والنكتة المرافقة للحياة الواقعية التي تمس حياتهم مباشرة، وكثيراً ما يتعرض الزجل، الى احاديث البيت، والعائلة الاندلسية، بما فيه من قبيح وحسن .(٧٥)

ثم انتقل الزجل من الاندلس الى بغداد خاصة والمشرق العربي والاسلامي عامة، وتأثر به الفن البغدادي الى حد كبير، وخاصة الموالي، كما كان التأثير متبادلاً بين الفن الاندلسي والفن البغدادي، حتى كادا يقتربان من بعضهما.

واثر النتاج الحضاري والفني لعرب الاندلس، على اوربا تأثيراً كبيراً، فانتقلت المعارف والعلوم وكثير من مبتكرات العرب في هذا المجال الى هناك، وتعدى تأثير الحضارة العربية الاسلامية بالاندلس، في اوربا، الى ماهو اهم واكثر من الفن والموسيقى، فقد انتقلت جميع المعارف والعلوم والفنون والنظم الاسلامية الى اوربا. واثرت فيها كثيراً إبان النهضة الحديثة ، الى الحد الذي جعل الحضارة العربية الاسلامية، تشكل الاساس والمنطلق الواضح لنضهة اوربا الحديثة، وكانت الاندلس العربية المسلمة، اهم طريق لهذه الحضارة الى تلك الديار من العالم.(٧٦)

الفصل الرابع

اثار العرب العمرانية في الاندلس

لبثت الاندلس، قروناً عديدة، مثوى دولة عربية عظيمة، وحضارة اسلامية زاهرة، اثرت كثيراً في طبائع اهلها وتقاليدهم حتى اليوم، ان لهذه البلاد التي كانت يوماً، منزل امة عربية اسلامية تتجلى اهميتها، فيا تكشفه اثارها الخالدة ، مثل قصر غرناطة، او حمراء غرناطة، وجامع قرطبة، وغيرهما من القلاع والحصون والقصبات الاندلسية، التي كادت تخفيها الامة الغالبة، تحت اثوابها النصرانية منذ بدأت في الاستيلاء عليها من العرب، فهدمت المساجد كلها او حولتها الى كنائس. وطمست معالم القصور والدور، حتى اختفت معظم معالمها او غاضت في العديد من المدن الاندلسية .(٧٧)، ولولا الذي بقي من هذه الاثار حتى اليوم، لضاع كل شيء، ولربما انكرنا على المؤرخين والواصفين، تماديهم في الخيال ازاء ذلك.

لم يكن فتح العرب للاندلس، مجرد حدث سياسي، او عسكري، بل كان حدثاً حضارياً وانجازاً رائعاً، اعلن عن حياة جديدة حلت في هذه البلاد، وكان له الاثر البالغ في حياة ومستقبل الاندلس وما جاورها من الاقطار فيا بعد .(٧٨)

وعندما استقر العرب بالاندلس، وبدأ انتاجهم الحضاري الانساني، دخل الناس في الدين الجديد افواجاً، وانصهرت كل العناصر والاجناس، بروح الاسلام الخالد، واشتركت كل هذه العناصر في اقامة الحضارة والعمران في هذه البلاد، وقد احتفظ العرب في الاندلس، بكثير من اثار البلاد القديمة كالمعاهد والمسارح والهياكل، فقد ابقى المسلمون عليها لعبادة رعاياهم النصارى وغيرهم، ولم يقدموا على هدمها، ولم يمسوها بسوء، رغم انهم لبثوا قروناً سادة في هذه الديار، ولم يفكروا في هدم هذه الاثار، رومانية كانت او قرطاجية او ايبيرية، او غيرها رغم كونها وثنية او نصرانية، ولاشك فان السبب في ذلك، راجع الى ان المسلمين، كانوا ينظرون الى هذه الاثار على انها ذخائر فنية من تراث العصور الغابرة يجب الابقاء عليها، وكانوا بذلك يرتفعون بالقيم الفنية الى مستوى يرتفع عن الاعتبارات الدينية الضيقة، هذه الاعتبارات التي حملت السياسة الاسبانية في عصور التزمت والتعصب، ان تعمل على محو وافناء كل ماخلفته الامة العربية بالاندلس من مساجد وصروح واثار جليلة دون مبرر ومع ذلك، فقد اثر فن العمارة العربية في الاندلس، في فن العمارة الاسبانية واوربا بصورة عامة، تأثيراً بارزاً بعد ذلك .(٧٩)

وعلى الرغم من ذلك يكشف مابقي من اثار العرب بالاندلس بوضوح عظمة هذه الامة، وحسن عطائها الانساني، وهذا يدعو الى اخذ الدروس والعبر المفرحة والمؤلمة في ان واحد.

وفيما يأتي اهم القواعد الاندلسية الكبرى واثارها :

اولاً : قرطبـــة :

ظلت قرطبة عاصمة الدولة العربية في الاندلس زهاء ثلاثة قرون، وكانت مركز الفتوح والغزوات، ومركز الحركة العلمية والعقلية والثقافية في الاندلس، كما احتفظت بعد انهيار الخلافة الاموية في ظل حكم ملوك الطوائف، ثم المرابطين والموحدين بكثير من هيبتها وروعتها، بوصفها قاعدة رئيسة من قواعد الاسلام في الاندلس، وكان لسقوطها بايدي ملك قشتالة سنة ٦٣٣ هـ/ سنة ١٢٣٦ م، اعظم وقع في الاندلس وماوراء البحار، حيث تركها اكثر اهلها فراراً الى مدن الاندلس الاخرى، ومن بقي فيها من المسلمين اضطروا الى تغيير دينهم، وعاشوا في ظل حكم الاسبان، وسمو (المدجنون) او (المتنصرون). ثم فقدوا على مرور الزمن، وبحكم الاندماج في المجتمع الجديد، خواصهم ولغتهم ودينهم .(٨٠)

تقع قرطبة، على منحنى نهر الوادي الكبير من جهة الشمال، وهي عاصمة ولاية قرطبة الاندلسية، وعاصمة الدولة، تربتها خضراء كثيرة الحبوب والكروم وغابات الزيتون وحدائق البرتقال والليمون، وتحيطها المراعي الطيبة من جميع الجهات، وفي الوقت نفسه فهي مدينة صناعية هامة .

لقد باهت قرطبة، التي وصفها الشعراء، بانها جوهرة العالم، في قصورها ايام بني امية بالاندلس، قصور العباسيين في بغداد، وقصور الطولونيين والفاطميين في القاهرة فاشتهرت قرطبة بقصورها الفخمة التي من اشهرها، الجامع الزاهر والبهو الكامل، والقصر المنيف، وقصر دمشق ، ودار الروضة، التي انشأها عبد الرحمن الناصر بمدينة الزهراء، وقد اطنب المؤرخون والرحالة في وصفها، وكانت المباني قد اتصلت بين قرطبة والزهراء والزاهرة، حتى اصبح المرء يمكنه ان يسير مسافة عشرة اميال فيها، على ضوء السرج المتصلة، وصارت قرطبة تحتوي على عشرين حياً، بلغ عدد الدور فيها ايام الخلافة الاموية ما يقرب من (٢٢٠) الف دار، وقدر عدد سكانها بحوالي مليون نسمة، وبنيت فيها المئات بل الالوف من الحوانيت والحمامات والمساجد، ولكن لم يبق منها الا القليل .(٨١)

ومن اثار قرطبة مايأتي

١ ـ المسجد الجامــع :

يقوم جامع قرطبة العظيم فوق منطقة صخرية، في جنوب غرب قرطبة، وعلى مقربة من القنطرة العربية المقامة على نهر الوادي الكبير، وتحيط به الدروب الضيقة من جهاته الاربع، وصار اثراً من اجمل وابدع الاثار الاسلامية الباقية هناك، رغم انه حول الى كنيسة (كاتدرائية)٠

لقد بدأ العمل في انشائه سنة ١٧٠ هـ على يد عبد الرحمن الداخل، وعمد الى جعله اعظم مساجد الاندلس وافخمها، لكن عبد الرحمن توفي قبل اتمامه، فاتمه ولده هشام، وانشأ به منارته الاولى، وزاد فيه عبد الرحمن بن الحكم بهوين جديدين من ناحية القبلة، وانشأ فيه محمد بن عبد الرحمن مقصورة فخمة، وفي عهد ولده عبد الله انشئ فيه ممر مسقوف يوصله بالقصر، وجدد عبد الرحمن الناصر واجهته، وهدم المنارة القديمة وانشأ مكانها اخرى ارفع واضخم وذلك سنة ٣٤٠ هـ/ سنة ٩٥١م ٠ وهي تحتوي على سلمين احدهما للصعود والاخر للنزول، وفي اعلاها ثلاث تفاحات، اثنان من الذهب والثالثة من الفضة، وكانت مربعة الواجهات ٠ ولها (١٤) اربعة عشر شباكاً ذا عقود٠ ثم زاد المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر في الجامع زيادات كبيرة، فابتنى المحراب الثالث، وعملت له قبة فاخرة، كما انشأ الحكم فيه مقصورة جديدة، لها قبة على الطراز البيزنطي وابتنى الى جانبه داراً للصدقة واخرى للوعاظ وعمال المسجد، ثم زاد المنصور بن ابي عامر الحاجب فيه زيادة كبيرة من ناحيته الشرقية ضاعفت من حجمه تقريباً، فبلغ طوله (٢٨٠) متراً وعرضه (١٣٥) متراً وعدد اعمدته (١٢٠٠) عموداً، وله (١٩) تسعة عشر باباً يسمى الرئيس منها وهو المجاور للمنارة (باب الغفران) وتؤدي الابواب كلها الى فنائه الشاسع الذي كثرت فيه النافورات، وغرست على جنباته اشجار البرتقال والليمون٠(٨٢)

لقد اصبح هذا الجامع الذي وصف بانه، اروع امثلة العمارة الاسلامية والمسيحية في العصر الوسيط، بمثابة جامعة اسلامية، تدرس فيه كافة العلوم ويفد اليه الطلاب من مختلف الاقطار، وصار احد المآثر التي تميزت فيها قرطبة، وكان مصدر فخرها، وظل هذا المسجد، قبلة تهفو اليه قلوب المسلمين من كل مكان٠ وظل جامعة اسلامية كبيرة يقصدها طلاب العلم والعلماء حتى اجرى عليه ملوك الاسبان وحكامهم التغييرات الكثيرة التي شوهته، لكنه مع ذلك ظل يحمل حتى اليوم طابع الفن العربي الاسلامي العظيم٠

وتبدو روعة هذا الاثر الاسلامي العظيم للداخل من اول نظرة ويحار البصر في تأمل عقوده واعمدته العديدة المتقاطعة، التي لاتكاد العين تدرك نهايتها، وعدد عقوده في الطول (٢٩) عقداً، وفي العرض (١٩) عقداً وارتفاع سقفه (١٢) متراً ٠ غير ان هذا الجامع حول الى كنيسة، وعدلت سقوفه، وازيلت القباب القديمة ماعدا القبة الرئيسة الوسطى،

ونصبت فوقة الصلبان، وخربت محاربيه، وكانت بداية التخريب هذه بعد أن سقطت قرطبة بايدي النصارى مباشرة، ودخلها ملك قشتالة، عندما اقام الهيكل الكبير وسط الجامع، واحدث تشويها مؤلماً في هذا الاثر التأريخي العظيم، ثم استمرت الحال باجراء المزيد من التحويرات فيه لصالح الكنيسة، حيث ازيلت منارة الجامع، واقيم بدلها برج الاجراس الحالي على نمط يشبه المنارة، وقد وصف هذا الجامع سنة ١١٠٢ هـ/ سنة ١١٦٩ م بالاتي :(٨٣)

هو مسجد كبير جداً، في غاية الاتقان وحسن البناء، بداخله (١٣٠٠) سارية، كلها من الرخام الابيض، بين كل سارية قوس فوق قوس اخر، وله من الابواب الان (١٤) باباً، وقد سد كثير من الابواب وغيرها، ومحرابه الاسلامي باقٍ على حاله لم يتغير، ولم يحدث فيه شيء، الا انهم جعلوا عليه شباكاً من نحاس، وطرحوا امامه صليبا، فلم يدخل عليه احد الاقبل ذلك الصليب، ولم يزد بداخله ولا بحائطه شيٌ قليل ولا كثير، ولهذا المسجد صحن كبير جداً مشتمل على بركة ماء في وسطه، ويدور بها في سائر الصحن من اشجار النارنج (١١٧) شجرة، ويقابل موضع المحراب من الصحن، منار المسجد، وهو منار كبير مبنى بالحجارة، لكنه اقل ارتفاعاً من منار طليطلة واشبيلية، ومازال سقف المسجد وابوابه باقية على حالها، لم يحدث فيها شيٌ وقد احدث الاسبان بوسط هذا المسجد وامام محرابه، قبة كبيرة مربعة مشبكة بشبابيك من نحاس اصفر، جعلوا في داخل هذه القبة، صليبين من صلبانهم وكتب صلواتهم، التي يحضرونها مع الموسيقى وشبهها.

٢ ـ قصر قرطبة:

وهو من الاثار العربية الباقية في الاندلس، يقع قريباً من مسجدها الجامع وعلى مقربة من نهر الوادي الكبير، وصفه المؤرخ المقري التلمساني بقوله :ـ(٨٤)

« ابتدع خلفاء بني امية، منذ فتح الله لهم الاندلس، قصرها الشهير واثروا فيه الاثار العجيبة، والرياض الانيقة، واجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة، على المسافات البعيدة وتمونوا المؤن الجسيمة حتى اوصلوها الى القصر الكريم، واجروها في كل ساحة من ساحاته، وناحية من نواحيه في قنوات الرصاص، تؤديها منها الى المصانع، صور مختلفة الاشكال، من الذهب الابريز والفضة الخالصة، والنحاس المحوه الى البحيرات الهائلة والبرك البديعة ، والصهاريج الغريبة، في احواض الرخام الرومية، المنقوشة العجيبة، وفي هذا القصر، القباب العالية السمو، المنيفة العلو التي لم ير الراؤن مثلها في مشارق الارض ومغاربها ».

٣ ـ اطلال الزهراء والزاهرة :

انشا ضاحية الزهراء، الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٠ هـ، بعد ان ضاقت العاصمة قرطبة، بما يتطلبه ملكه العظيم، واستمر العمل فيها طيلة حكمه ومعظم عهد ولده الحكم المستنصر ، اي زهاء اربعين عاما ،فانشأوا بها قصر الخلافة العظيم ،والقصر الخاص المسمى «المؤنس» وجملوها وزخرفوها بما تمخض عنه العصر من ضروب الرونق والبهاء. غير ان الزهراء فقدت اهميتها. عندما تغلب الحاجب المنصور بن ابي عامر على الخلافة، وحجر الخليفة هشام أبن الحكم الملقب بـ«المؤيد» حيث نقل مقر العاصمة الى ضاحية جديدة تكون منزل سلطانه، فأنشأ ضاحية ملوكية جديدة على ضفة الوادي الكبير بالقرب من قرطبة سماها «الزهراة» ونقل اليها خزائن الاموال والسلاح ودواوين الحكم.(٨٥)

وقد اندثرت الزهراء والزاهرة كليا، غير ان التنقيات التي اجراها بعض الباحثين في هذا القرن، كشفت عن كثير من اطلال الزهراء ، ومنها: القصر الخليفي، والمقام الخاص ، ومساكن الحاشية والحرس ، ثم ابهاء كبيرة عالية ،ذات اعمدة فخمة، واروقة جانبية، ويعتقد انها ابهاء رسمية خاصة لاستقبال السفراء والشخصيات الملوكية، ومازالت جدرانها تحمل بعض الزخارف العربية الاصلية بالوانها الزاهية، وكانت الزهراء يوم عزها ،قمة رفيعة في فن العمارة والزخرفة حتى بلغ عدد السوارى فيها(٤٦٠٠) سارية.(٨٦)

٤ ـ القنطـــرة:

تقع القنطرة الاندلسية القديمة، المقامة على نهر الوادى الكبير، في قرطبة ، تجاه المسجد الجامع من الناحية الجنوبية ،وهي قنطرة رومانية قديمة، جددها المسلمون ايام ولاية السمح بن مالك على الاندلس ،ثم جددت بعد ذلك عدة مرات، وهي تقوم على (١٦) عقداً تربط قرطبة بضواحيها، وبخاصة المسماة (روح القدس) ومازالت هذه القنطرة تحتفظ بكثير من معالمها الاندلسية .(٨٧)

ثانياً : اشبيلية :(٨٨)

صارت اشبيلية في عصر الدولة العربية من اعظم مدن الاندلس واجملها، وكانت اجمل واعظم من قرطبة نفسها، وقد سطع نجمها كثيراً ايام بني عباد حيث صارت دار ملكهم في عصر الطوائف، ثم صارت مركز حكم الموحدين حتى سقطت بيد ملك قشتالة سنة ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م ، بعد سقوط قرطبة بأيديهم، باثنتي عشر عاماً صارت بعد ذلك عاصمة مملكة قشتالة، وماتزال اشبيلية حتى اليوم اجمل مدن الاندلس واوفرها سحراً. لما امتازت به من الروعة والجلال المتمثلة في اثارها التأريخية الكثيرة.

ومن آثار اشبيلية الفريدة مايلي :-

١ ـ المسجد الجامع الاعظم :

انشأة ابو يعقوب يوسف سلطان الموحدين بالمغرب والاندلس سنة ١١٧٢ م· حيث كانت اشبيلية عاصمتهم في هذه البلاد، وانفق عليه اموالا طائلة، ثم اتمه ولده يعقوب المنصور عقب انتصاره في معركة الارك الشهيرة على جيوش الاسبان النصارى سنة ١١٩٥ م، وانشأ منارته الشهيرة التي مازالت قائمة حتى اليوم المعروفة باسم (لاجيرالدا) ولما سقطت اشبيلية بيد الاسبان سنة ١٢٤٨ م، حول المسجد الاعظم الى كنيسة، سميت كنيسة اشبيلية العظمى (كاتدرائية)·

ومازال هذا المسجد الذي بنيت فوق صحنه الكنيسة، يحتفظ بشكله وموقعه القديم، وفي وسطه نافورة اندلسية، وضعت فيها اواني التعميد الحجري وغرست فيها اشجار البرتقال، ومازالت عقود الصحن باقية، لكنها شوهت وبني فيها بينها وبقي باب الجامع الرئيس بعقده وزخارفه البرونزية الاسلامية، وقد نقشت على قبضتيه (بسم الله الرحمن الرحيم· وصل الله على محمد)· عرضه (٥) امتار، وارتفاعه (١٠) امتار، ويعرف بـ (باب الغفران)·وهو يفضي الى هيكل اقيم تحت عقده الداخلي، ونصب في جانبه تمثال للعذراء ينحني امامه طلاب التوبة والغفران·

اما المنارة المعروفة باسم (لاجيرالدا) فتبدو بروعتها وجمالها لؤلؤة اشبيلية الاثرية، وهي تقع الى جوار زاوية الكاتدرائية الشمالية الغربية، وقد انشئت على طراز منارة جامع الكتبيين بمراكش وجامع مراكش الاعظم، وهي مربعة الشكل عالية جداً· كان لها ثلاث ساريات ضخمة (تفاحات) وكانت الوسطى منها بالغة الضخامة، وطليت هذه التفاحات بالذهب بما قيمته مائة الف دينار، يبلغ ارتفاعها (٩٦) متراً ويصعد اليها من الداخل بممرات، لها نوافد ومشرفيات عربية، زينت واجهاتها بنقوش عربية بديعة، وهي تتكون من اربعة طوابق، اعلاها طبقة المؤذنين، وهي اليوم برج اجراس الكنيسة بعد ان اجريت فيها تغييرات كبيرة، فقد ازيلت سارياتها الثلاث (التفاحات) الاسلامية المذهبة، وبنى الاسبان مكانها برج الاجراس ونصبوا فوقه تمثالاً برونزياً ارتفاعه خمسة امتار، وله شارة تدور عند هبوب الرياح، ولذلك سماها الاسبان (جيرالدا) بدل (المنارة) ومعناها (الدوارة)·

وهكذا صارت منارة المنصور، برجاً لاجراس الكنيسة، وسميت (لاجيرالدا)· وهي تتنصب في قلب اشبيلية بقامتها الرشيقة الشاهقة، بالغة الروعة والجلال، كأنها ملكة تزهو وتتسامى، وهي تشرف على مدينة اشبيلية من نواحيها الاربع، وتشرف على نهر الوادي الكبير القريب منها·

٢ ـ قصــر اشبيليــة:

يقع قصر اشبيليـة الملوكي الاسلامي، على مقربـة من المسجـد الجـامع، وهو يقوم على بقايا قلعة اندليسية قديمة، له مدخل وفناء، ثم ساحة شاسعة تقوم عقودهـا الجـانبيـة على اعمدت رشيقة من الرخام الابيض، والقصر طابقان عظيمان، وهو يبدو بزخارفه العربيـة، في غاية الروعـة والجمـال، يحتوي الطـابق الاول على عـدة افنيـة وابهـاء، لكل منهـا اسمـه الخاص وهي: قاعة العدل، وفناء الصيـد، وفنـاء العـذاري، وبهو السفراء، وفنـاء العرائس، واجنحة الملوك، اما اهم وابدع هذه الافناء، فهو (بهو السفراء) الذي تظللة قبة عالية جداً، تقوم على عمد ومقرنصات عربية بديعة الزخرف، ولهذه الافنية والابهـاء كثير من الابواب الكبيرة والصغيرة، وتتخلـل زخـارف هـذا القصر الكثير من عبـارات التحيــة والادعيــة الاسلامية وبعض الايات القرآنية.

امـا الطـابق العلوي من القصر، فهو من انشـاء ملوك الاسبـان، اقـامـوه على الطراز العربي الاندلسي، وفيه اروقة كثيرة ذات عقود تطل على الفنـاء، ويؤدي اليهـا سلم عربي جميل وفوقه قبة عربية بها زخارف مذهبة.

تعد اشبيليه من اكثر مدن الاندلس، احتفاضاً بالطابع العربي بعد غرناطة وربمـا كان ذلك بسبب طول اقامة العرب فيها، فقـد حكموهـا اكثر من خمسـة قرون ومـازالت بعض احياء بكاملها، تحتفظ بنسقها العربي من حيث الدروب والمنـازل ذات الابواب المزدوجـة والافنية العربية الانـدلسيـة، ويغلب على اشبيليـة الروح الانـدلسي المرح وهي تثير بكل ربوعها وصروحها ومعالمها وآثارها ودروبها، في النفس الكثير من الذكريات لهذه المدينـة العربية الذاهبة، كيف لا ؟ وهي اول قواعد الاندلس التي اتخذها عبـد العزيز بن موسى ابن نصير عاصمة العرب هناك حتى حولت العاصمة الى قرطبة.

ثالثاً : طليطلـــــة :(٨٩)

وهي مدينـة اسبـانيـة قـديمـة، كانت قبل الفتح الاسلامي، عـاصمـة مملكـة القوط، ثم صـارت في العصر الاسلامي موطنـاً للبربر والمولـدين (الاسبـان المسلمون) وهي تقـوم على منحدرات صخرية عاليـة تمتـد على ضفـاف نهر التـاجـه الـذي يلتوى عليهـا من جهـات ثلاث، وتبعد عن مدريد حوالي (٧٥) كيلو متراً.

كانت طليطلة اول قاعدة عربية اسلامية تسقط بايدي الاسبان، وذلك سنة ٤٧٨ هـ/ سنة ١٠٨٦ م، فكان سقوطها نذيراً خطيراً يتصدع صروح الدولة العربية بالاندلس.

ومن آثار طليطلة الاسلامية مما يأتي:-

١ ـ المسجد الجامـع :ـ

وهو جامع صغير يقع في داخل المدينة، تتجه اليه عدة دروب ضيقة منحدرة، توجـد بقية منه تتكون من ثلاثة عقود باعمدتها وزخارفها، ويـذكر انـه بني سنـة ٣٩٠ هـ/ سنـة

ص ٢٩٠

ثالثاً : طليطلـــة :(٨٩)

وهي مدينـة اسبـانيـة قـديمـة، كانت قبل الفتح الاسلامي، عـاصمـة مملكـة القوط، ثم صـارت في العصر الاسلامي موطنـاً للبربر والمولـدين (الاسبـان المسلمون) وهي تقـوم على منحدرات صخرية عاليـة تمتـد على ضفـاف نهر التـاجـه الـذي يلتوى عليهـا من جهـات ثلاث، وتبعد عن مدريد حوالي (٧٥) كيلو متراً.

كانت طليطلة اول قاعدة عربية اسلامية تسقط بايدي الاسبان، وذلك سنة ٤٧٨ هـ/ سنة ١٠٨٦ م، فكان سقوطها نذيراً خطيراً يتصدع صروح الدولة العربية بالاندلس.

ومن آثار طليطلة الاسلامية يأتي:

١ ـ المسجد الجامـع :ـ

وهو جامع صغير يقع في داخل المدينة، تتجه اليه عدة دروب ضيقة منحدرة، توجـد بقية منه تتكون من ثلاثة عقود باعمدتها وزخارفها، ويـذكر انـه بني سنـة ٣٩٠ هـ/ سنـة ٩٩٩ م، وظل هـذا الجـامـع حتى سنـة ١٢٢٧م حيث هـدم وبني مكانـه الكنيسـة العظمى (كاتدرائية) في طليطلة.

٢ ـ القصـــــر :

وهو بناء ضخم، يقوم على صخرة عالية تطل على نهر التـاجـة، امـام القنطرة جـدده ملوك القوط، ثم جدده المسلمون بعد الفتح، فانشأ بـه الحكم بن هشـام امير الانـدلس سنـة ٧٩٧م قلعـة منيعـة لضبـط مـدينـة طليطلـة وقمع ثوراتهـا، وكانت تستعمل حصنـاً ومقراً للحاكم، ثم حولت القلعة الى قصر منيع البناء والموقع، له فناء مربع، واربعـة ابراج كبيرة، يقوم كل منها في ركن من اركانه، فلما سقطت بيد الاسبان، استعملوه قلعـة، ثم حولوهـا الى قصر للاقامة فيها.

٣ - القنطـــرة :

وهي قنطرة عربية قديمة تقوم على نهر التاجة، انشأها الحاجب المنصور بن ابي عـامر سنة ٩٧٧ م، في مكان القنطرة الرومانية القديمة، وهي تقوم على عقـدين ضخمين عميقين، ولهـا بـاب قـديم، في اعلاه برج، وعلى الربوة المقـابلـة لهـا من الشمال يقوم الصرح المسمى (القصر)

ويوجد في طليطلة، بقايا من اسوار المدينة وابراجها وابوابهـا القـديمـة، ومنهـا البـاب الشرقي وغيره .

رابعاً : غرناطـــة :(٩٠)

غرناطة باللغة الاسبانية تعني (الرمانة) وهي شعارها التأريخي الذي مازال قـائمـاً على باب قصبة الحمراء الرئيسي، على شكل ثلاث رمانات صخريـة كبيرة، ومـدينـة غرنـاطـة، تقع في وادي عميق تظلله الجبال العـاليـة من الشمال والجنوب، وهي على احـد فروع نهر الوادي الكبير، حيث يخترقها النهر من الوسط، وتقع على احد جانبيه قصبة الحمراء، وهي تشرف على بسيط خصب، كان ايام الدولة العربية قطعة من الجنان.

كانت غرناطة اخر القواعد العربيـة في الانـدلس سقطت بيـد الاسبـان حيث سلمت للملكين فرديناند وايزابيلا في الثاني من ربيع الاول سنة ٨٩٧ هـ، الثـاني من ينـاير سنـة ١٤٩٢ م،

ومن اثار غرناطة ومعالمها القديمة يأتي .

١ - حـــي البيازيـــن :

وهو مازال قائماً حتى اليوم ، من اكبر احياء غرناطة، واكثرها احتفاظاً بطابعـة العربي، لم يطرأ عليه سوى تغيير بسيط، ومازال كثير من منازلة يحتفـظ بطرازه العربي بحمامـاتـه وابوابه الاسلامية، وتوجد فيه بقية من اسوار الجامع الذي حول الى كنيسـة، وكانت تنزل هذا الحي الكثير من الاسر العربية الغنية ذات العصبية.

٢ - ميدان باب الرملة والقيسرية :

كان ميدان بـاب الرملـة، من اعظم ميـادين غرنـاطـة الاسلاميـة، وكانت تقـام فيـه الحفلات القومية العامـة، ولاسيا حفلات الفروسيـة، ومـايزال الى اليوم من اكبر ميـادين غرناطة، في وسطه نافورة كبيرة، ومن حولها ساحة كبيرة مغطاة بالرخام وعلى جـانبيهـا المقاهي الكثيرة.

واما القيسرية، او سوق غرناطة الممتاز فهو مـايزال الى اليوم بـدوريـه الضيقـة ويقع في مواجهة باب الرملة.

٣ ـ المدرسة والخان والمنازل :

مازال موقع مدرسة غرناطة القديمة قائماً، غير انه لم يبق منها الا قليل، وقد كانت هذه المدرسة عبارة عن جامعة، تعد من مفاخر غرناطة الاسلامية، واما الخان او الفندق، فهو عبارة عن بناء عربي قديم، له باب معقود ضخم، نقشت في عقوده بالكوفية سورة (اقل هو الله احد). ويوجد هناك بناء اندلسي اخر قديم، اسمه دار الرماية، ويعتقد انه كان قصراً لاحد الكبراء، وتوجد بقايا كثير من المنازل القديمة منها في خارج حي البيازين، مازالت تحتفظ باصلها العربي ومشرفياتها العربية.

اما ابواب غرناطة، فكانت عشرين باباً، لم يبق منها قائم الان، الا ثلاثة في حي البيازين، هي: باب البيازين، وباب فحص اللوز، وباب الزيادة، اما اسوارها الاسلامية، فقد بقيت منها اجزاء كبيرة في الجهة الغربية منها خاصة

٤ ـ قصر شنيل :

وهو من الاثار الاندلسية الباقية، ويقع في خارج المدينة، في بقعة خضراء منعزلة له باب عربي معقود، يفضي الى بهو مربع به اربعة عقود جميلة، وله قبة عالية مزينة بالمقرنصات، ارتفاعها (١٢) متراً، انشأ هذا القصر سلطان الموحدين السيد اسحق بن يوسف سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨ م، وسمي ايضا (قصر السيد) كان يستعمله ملوك بني نصر، قصراً للضيافة، وتؤدي اليه قنطرة من اشهر قناطر الاندلس وقد بنيت فوق خمسة عقود، ومازالت الى اليوم تحمل اسمها القديم وهو (قنطرة شنيل).

٥ ـ قصر الحمراء :

يشكل قصر الحمراء بمدينة غرناطة، درة الاثار الاندلسية الفريدة، اجل انه قبلة الرواد من سائر انحاء الارض، وهو جزء من مدينة الحمراء التي تشمل قصر الامارة والقلعة ودور الوزراء والحاشية، وقد نشأت هذه القصبة اي (مدينة الحمراء) على غرار مدينتي الزهراء والزاهرة.

يقع قصر الحمراء ومدينة الحمراء، على هضبة عالية تشرف على مجرى النهر القديم، واول ابوابها (باب الرمان). ومنه تدخل الى هضبة الحمراء، وباب الحمراء عبارة عن عقد حجري ضخم يقوم طرفاه على عمودين كبيرين، وقد نصبت في اعلاه ثلاث رمانات على هيئة مثلث، يسمى في البداية (باب بني عمارة) ثم سمي (باب الرمان) وهو شعار غرناطة المشتق من اسمها.

وتبدو من وراء باب الرمان، غابة رائعة، وثلاثة طرق عريضة، يؤدي الايمن منها الى (الابراج الحمراء) والاوسط الى قصر (جنة العريف) والايسر الى باب الشريعة) ويبلغ ارتفاع باب الرمان (١٥) متراً انشأه السلطان يوسف بن ابي الوليد نصر سنة ٧٤٩ هـ/ سنة ١٣٤٨ م، وهو اعظم سلاطين غرناطة، ووراء الباب ايضا، مجاز معقود، في نهايته مصلى قديم.

كان قصر غرناطة، مقراً للملوك بمملكة غرناطة، اقامة بنو نصر، او بنو الاحمر اخر الممالك الاسلامية في الاندلس، اجل كان معقل بمملكة عربية اسلامية عظيمة استمر تأريخها يدوي في الافاق زهاء مائتي عام، وكان عنوان مدينة اسلامية زاهرة، ثم صارت الحمراء بعد ذلك ، لملك الاسبان، حيث وقع ابو عبد الله محمد، اخر ملوك الاندلس ووزراؤه في احد ابهائها على، معاهدة تسليم غرناطة والحمراء، وحكموا بذلك على دولتهم بالمحو، وعلى امتهم بالفناء هناك.

ان من يرى ذلك القصر، ومافيه من اثار ونقوش وكتابات، ابرزها شعار بني نصر بني الاحمر، ملوك غرناطة، وهو (ولاغالب الا الله) لابد ان يغالبه الدمع ويرهبه الالم والحزن على ذلك الماضي، وذلك المجد.

يرجع قيام الحمراء، الى القرن الرابع الهجري، حيث بنيت القلعة على الهضبة ايام الفتنة بين عرب المشرق وعرب المغرب والمولدين، فلما تولى باديس بن حبوس، وهو زعيم عرب المغرب، حكم غرناطة ، على اثر قيام دول الطوائف، اوائل القرن الخامس الهجري، انشأ سورا منيعاً حول الهضبة التي تقع عليها قلعة الحمراء، وانشأ في داخله قصراً ومركزاً لحكومته، وسميت (القصبة الحمراء) وصارت هذه القلعة، معقل غرناطة الرئيس.

ولما غلب محمد بن نصر بن الاحمر، على غرناطة سنة ٦٣٥ هـ/ سنة ١٢٣٨ م ، اتخذ مركزه في القصبة الحمراء، وانشأ في داخل اسوارها، قصره المحصن الذي اطلق عليه اسم (قصر الحمراء القديم) واتخذه قاعدة للملك، وانشأ حوله عدة ابراج، ثم سميت القصبة بالحمراء ايضا. نسبة الى ابن الاحمر، او الى الاجر الاحمر الذي استخدم في بنائها.

تقع مدينة الحمراء فوق هضبة مرتفعة طولها (٧٣٦) م وعرضها (٢٠٠) م يحيطها سور ضخم، تتخلله عدة ابراج، اهم ابوابها، باب الطباق السبع الذي استقبل فيه ابو عبد الله محمد آخر ملوك الاندلس، الفاتحين يوم التسليم، وطلب ان يسد هذا الباب، حتى لايجوزه انسان بعده، فلبى الاسبان طلبه واغلق الباب، وهو يبدو اليوم مغلقاً ببنائه القديم، ومن اجنحة هذا القصر العظيم : فناء الرياحين وبهو السفراء، وقاعة الملوك، وقاعة عائشة احدى ملكات غرناطة، وهي غير عائشة والدة السلطان ابي عبد الله محمد، ومتزين الملكة، ثم الروضة، ثم المسجد الجامع وبالقرب من قصر الحمراء هذا، على هضبة، تقوم اثار قصر جنة العريف، وهو من اثار العرب الفريدة هناك ايضا.

خامساً : مدن اندلسية اخرى :(٩١)

هناك آثار عربية اخرى في كثير من مدن الاندلس، في الوسط، والجنوب والشمال **الشرقي والشمال الغربي**، كادت تمحى بسبب التعصب الاسباني، فضلاً عن ان تأثير العرب المعماري والفني، في المدن القصية، كان اقل منه في المدن الرئيسية السابقة.

وفيما يأتي بعض هذه المدن.

١ ـ بلنســـــية :

وهي من اعظم قواعد الاندلس العربية، تقع على مقربة من الشاطئ، جنوب شرق الاندلس، سقطت بيد الاسبان سنة ٦٣٦ هـ/ سنة ١٢٣٨ م، واحتفظت بطابعها الاسلامي الى وقت قريب، من اهم اثارها :

أ ـ مسجد بلنسية : الذي حوله الاسبان الى كنيسة بعد ان استولوا على المدينة من العرب.

ب ـ القلعة المسماة (برج الجبلين) وهي قلعة حصينة انشأها العرب في نهاية القرن الرابع عشر، ومايزال في بلنسية شارع وحي يسميان: **شارع وحي الرصافة**، رغم انها حولت الى مدينة اوربية حديثة.

٢ ـ مرســـــية :

سقطت مرسية بيد الاسبان سنة ٦٤٠ هـ/ سنة ١٢٤٣م، وقد محيت اثارها الاسلامية القديمة تماماً، ولم يبق من اسوارها وابوابها وصروحها العربية، سوى اطلال قديمة مشوهة، وبقايا بعض الحمامات العربية ومكان مسجدها الجامع الذي ازيل واقيم على ارضه كنيسة مرسية العظمى.

٣ ـ سرقســـطة :

وهي عاصمة الثغر الاعلى للدولة العربية في الاندلس، ثم صارت قاعدة للمتمردين الخوارج، ثم صارت قاعدة لامارة بني هود، احدى دول الطوائف، وقد حكموها حتى سقطت بيد ملك اراغون سنة ٥١٢ هـ/ سنة ١١١٨م.

ومن اثارها :

أ ـ قصر الجعفرية : ويقع شرقي سرقسطة، على مقربة من الضفة اليمنى لنهر ايبرو، يضم حصناً وقصراً، انشأه ابو جعفر احمد بن هود امير سرقسطة الملقب بـ (المقتدر بالله)، واسم هذا القصر الاصلي (دار السرور).

ب ـ المسجد الجامع : ماتزال بقاياه قائمة، وهي عبارة عن قاعة صغيرة بها عقدان عربيان، وشريط به نقوش كوفية، وقد احرق المكان من الداخل.

جـ ـ العقد العربي الكبير: المسمى عقد العميد، وهو عبارة عن اربعة عقود ضخمة متوالية، يفصل كل منها عن الاخر نحو خمسة امتار، وارتفاعها نحو (٧) امتار وقد شيد فوقه مبنى عتيق، والى جانبه مبنى اخر مماثل، عليه مسحة طراز عربي.

٤ ـ لاردة وطركونــة :

وهما من قواعد الثغر الاعلى التابعة الى سرقسطة، من اثار لاردة، اطلال القصبة العربية او الحصن، وهو عبارة عن مجموعة من اطلال خربة تقوم فوق بقية اسوار قوية، عالية، والى جانبها موقع المسجد الجامع الذي اقيمت على ارضه كنيسة لاردة العظمى، يعتقد ان هذه القصبة بما فيها الحصن والقصر، كانت سمر الامير او الحاكم المسلم.

اما طركونة الواقعة على شاطى البحر المتوسط، فقد سقطت بايدى الاسبان في وقت مبكر وذلك سنة ٤٧٢ هـ/ سنة ١٠٨٩م ، ومن اثارها بقايا المسجد الجامع الذي اقيمت على ارضه، كنيسة طركونية العظمى، ويوجد في احد اروقة هذه الكنيسة الداخلية، الاثر العربي الوحيد، وهو عبارة عن محراب رخامي صغير طوله متر واحد وعرضه ثمانون سنتمر، وقد ثبت في مكان عالي من الجدار، وفيه كتابة كوفية، سنة تسع واربعين وثلاث مائة « وهو يؤيد ما قيل من انه يرجع الى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر.

وهناك بعض الاثار القليلة في مدن الثغر الاعلى الاخرى، وبخاصة: تطيلة وطرطوشة، قطلونية، ودانية، ولقنت، والش، واوريولة.

٥ ـ ميورقـــــة:

وهي عاصمة جزر البليار (الجزائر الشرقية)، امتد نفوذ العرب المسلمين اليها منذ غزاها اسطول عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢٣٤هـ ، ثم حكمها العرب عندما فتحها المجاهد عصام الخولاني، ثم ضمنها مجاهد العامري، امير دانية الى مملكته المستقلة، حيث سميت مدينة ميورقة، في عهده باسم، (مدينة مجاهد) ثم ضمها بنو هود الى مملكتهم، ومازالت حتى سقطت بايدي الاسبان سنة ٦٣٠ هـ/ سنة ١٢٣٢ م. ومن اثارها :ـ

أ ـ قصر المدينة: وهو صرح قديم، كان حصنا وقصراً للولاة والامراء المسلمين، فلما سقطت ميورقة بايدي النصاري صار القصر، مقاماً لملوكهم، وغيروا بناءه وحوروه، ويوجد في داخل القصر، فناء كبير مربع، له عقود عربية من الجانبين وفي وسطه النخيل على الطراز الاندلسي، ولم يبق في هذا سوى فناء الملكة ونافذتان لها عقود عربية، وحوض نافورة عربي، وفضلاً عن عدد من القطع الزخرفية من اعمدته القديمة الملقاة في الحديقة المجاورة وتوجد ايضا اجزاء قليلة من اسوار المدينة وبقايا قلعة عربية صغيرة، وعقد باب المدينة، يقابل شارعاً تقع عليه عدة منازل قديمة وبقايا حمامات عربية خربة.

بـ ـ المسجد الجامع: ويقع القصر اقيمت على ارضه، كنيسة ميورقة العظمى، واقيم مصلاها فرق جزء المسجد الذي كان به المحراب.

٦ ـ شاطبة وقرطاجنة:

وشاطبة من قواعد الاندلس العربية العريقة، مازالت تحتفظ باسماء عربية واضحة مثل: الجزيرة، بني فايز، بني مسلم، البريق وغيرها. رغم انها كتبت بالاسبانية، ومن اثارها: الحصن الكبير القائم على حافة ربوة صخرية وعرة، تشرف على المدينة من الغرب، وهو مجموعة كبيرة من الاطلال والاسوار والابراج والساحات والسلالم التي تظهر فيها مظاهر العمارة العربية جلية، كما توجد فيها اثار الكنيسة العظمى المقامة فوق ارض المسجد الجامع وسط المدينة، وكان الاسبان لما استولوا على شاطبة سنة ١٢٤٩ م حولوا المسجد كعادتهم الى كنيسة بعد هدمه.

واما قرطاجنة، فهي من اقدم ثغور الاندلس الشرقية، ذات موقع بحري بديع امتازت خلال العصر الاسلامي ، باهميتها البحرية والتجارية، كانت قد سقطت في ايدى ملك قشتالة سنة ٦٤٠ ـ/ سنة ١٢٤٣ م، على يد ملكهم فرناندو الثالث ملك قشتالة، لكن المسلمين استعادوها منهم ثم استردها الاسبان سنة ١٢٧٦ م، على يد ملك اراغون، ومن اثارها : الحصن المسمى (حصن الاندلسيين) وهو يقوم على ربوة عالية في نهاية المدينة من جهة الشمال، وهو عبارة عن مجموعة من الاسوار القوية ومن حولها اسوار قديمة، وفيها ايضا اثار الكنيسة التي اقيمت على انقاض مسجد قرطاجنة الجامع.

٧ ـ المريـــة ومالقـــة :

المرية من اجمل ثغور ومدن الاندلس، صارت ايام الطوائف، مملكة صغيرة لبني صمادح، ثم صارت الى مملكة غرناطة، سقطت بيد الاسبان سنة ٨٩٥ هـ/ سنة ١٤٩٠ م. من اثارها العربية، بقايا القصر والقلعة القديمة المسماة (القصبة) وسورها.

اما اثار مالقة الاسلامية، فمنها بناء حصين فوق منحدر صخري قريب من البحر. يقال له: (قصبة مالقة الاسلامية) كما ان سوقها القديم مازال يحتفظ بوضعه منذ العصر الاسلامي، وهو يقع وسط المدينة

٨ ـ طريـف والجـزيـرة وجبل طارق :

كانت طريف، اول بقعة اسبانية نزلها العرب المسلمون سنة ٩١ هـ، وسميت باسم قائدهم، صارت لها اهمية بحرية كبيرة للعرب المسلمين باعتبارها احد مراكز نزول الجيوش العابرة، سقطت بايدي الاسبان سنة ٦٩١ هـ/ سنة ١٢٩٢ م في عهد ملكهم شانو، ولم يستطيع المسلمون، رغم تكرار المحاولات، ان يستردوها منهم، وهي مدينة صغيرة جميلة تبدو بيضاء مشرقة، من اثارها العربية، الحصن المنيع، المشرف على المدينة وابراجه وسوره.

اما الجزيرة الخضراء، وحالها حال طريف وجبل طارق في الاهمية، فقد سقطت بايدي القشتاليين سنة ٧٤٢ هـ/ سنة ١٣٤٢م ، وهي ثغر كبير تقع على خليج داخلي مستدير، من اثارها العربية، بقايا ارض المسجد الجامع الذي بنيت عليه الكنيسة على طراز الجامع، وهي ذات عقود عربية واضحة، وتوجد فيها اطلال قديمة على ربوة المدينة الحالية.

اما جبل طارق فهو اول بقعة اسبانية نزلها الجيش الفاتح بقيادة طارق بن زياد، وهو صخرة رابضة في البحر على شكل اسد عظيم راسه نحو اسبانيا وذيله نحو البحر، وهو بموقعه الصلد، ومرفئه المنيع، يعتبر قاعدة برية وبحرية من الطراز الاول، وقد لعب جبل طارق دوراً عظيماً في تأريخ المسلمين، وكان دائماً معبر الجيوش العربية من المغرب الى الاندلس، وكان بمثابة مفتاح الاندلس الجنوبي، استولى عليه القشتاليون لاول مرة سنة ١٣١٠ م، ثم استرده العرب بمساعدة ابي الحسن المريني ملك المغرب سنة ١٣٣٣ م، وظل بايديهم حتى استولى عليه الاسبان مرة الاخرى سنة ١٤٦٢ م، وكان فقده من عرب الاندلس، ضربه شديدة لهم كان من ممهدات سقوط دولة العرب النهائي في تلك الديار.

٩ ـ بنبلونة ومجريط :

بنبلونة، هي عاصمة ولاية نافار الاسلامية المتاخمة لجبال البرانس، ثم صارت عاصمة ولاية نافار الاسبانية، استردها الاسبان وعدداً من مدن نافار وقشتالة القديمة بوقت مبكر ومنها: برغش، وبلد الوليد، وشقونية، وهي تبدو في اثارها طرز كثيرة مماثلة وهي ، متأثرة بالطرز العربية، وخاصة وجود كتابات عربية اسلامية على عدد من القطع الرخامية الاثرية فيها، وكذلك الحال بالنسبة لايلة ووادي الحجارة.

اما مجريط (مدريد) فهي بلدة صغيرة انشأها الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم امير الاندلس، وبنيت بها قلعة منيعة، ومسجد جامع سقطت بايدي الفونس السادس ملك قشتالة سنة ٤٧٦ هـ قبيل استيلائهم على طليطلة بعامين، وبنى فوق مسجدها كنيسة.

١٠ ـ شنت ياقب وليون :

وهي في قلب هضاب جيليقية، وصلت اليها غزوات المسلمين في عهد الحاجب المنصور سنة ٣٨٧ هـ حيث افتتحها وهدم صروحها، ولكنه احترم قبر القديس، ولم يمسه الجند المسلمون بسوء وعادوا عنها.

اما ليون، فقد فتحها العرب المسلمون سنة ٧١٧ م، لكن الاسبان استردوها سنة ٧٤٢ م، وصارت عاصمة المملكة الاسبانية الشمالية (جيليقية) بعد ان سميت هذه المملكة باسم مملكة ليون، وهي تقع على اخد فروع نهر دويرة، اثارها قليلة جداً

اما سمورة التي خضعت لحكم المسلمين فترة قليلة، فلا توجد فيها اثار عربية سوى مكان الجامع الذي اقيمت في مكانه الكنيسة، وكذلك شلمنقة.

١١ ـ صخرة بلاي :

وهي منطقة الصخرة الوعرة في الزاوية الشمالية الغربية من الاندلس (جيليقية) التي لم يفلح العرب في فتحها، والتي اعتصم بها بلاي (بلايو) الذي نجح في وضع البذور الاولى لمكة جيليقية الاسبانية فيا بعد.

وصخرة بلاى، هائلة شاهقة، ذات اكام مدببة، يجري من تحتها الماء من عيون صغيرة، وتشرف على بسيط صغير من الارض، يبلغ ارتفاعها نحو (٢٠٠) م وفي وسط الصخرة ثغرة كبيرة، تتفرج عن ساحة صغيرة، في ركنها الداخلي كنيسة قديمة وفي وسطها مغارة صغيرة نضم قبر بلايو.

١٢ - بطليوس وماردة ولشبونة :

ومن مدن الاندلس الغربية والبرتغال، فقد خضعت بطليوس للاسلام **منذ بداية** الفتح، ثم صارت في عصر الطوائف قاعدة لامارة بني الافطس. وتقع على منحنى نهر وادي يانه عند الحدود البرتغالية، سقطت بايدي **الاسبان** سنة ٦٢٦ هـ . من اثارها : اطلال قصبة بطليوس تحتوي على القلعة والسور والابواب الخارجية المؤدية الى الممرات والاسواق، وفيها البرج الموحدى الذي مازال في حالة جيدة. **ويبلغ** ارتفاعه (١٥) م.

واما ماردة فكانت منزل البربر والمولدين، سقطت بايدي الاسبان سنة ٦٢٨ هـ / سنة ١٢٢٩ م ، من اثارها : القصر الاندلسي او القصبة، وهي اطلال وخرائب متفرقة وجدت فيها كثير من النقوش العربية الاسلامي.

واما اشبونة (لشبونة) عاصمة البرتغال الحالية، فقد افتتحها المسلمون منذ البداية، وحكموها زهاء اربعة قرون ونصف حتى استولى عليها البرتغال سنة ٥٤٢ هـ/ سنة ١١٤٧ م ، فيها اطلال قديمة وعقود تعين موضع اسوارها القديمة، وهي اطلال القصبة الاندلسية القديمة التي تجتمع فوق ربوة عالية مازالت تحمل ملامح الطراز العربي.

وهناك الكثير من مدن الاندلس الوسطى والجنوبية والغربية التي مازالت تحتفظ ببقايا الاثار العربية فيها مثل: وادي اش، ولوشة، ولورقة، وبسطة، ورندة، وشريش، وقادس، وشنتره، وشنترين، وغيرها كثيرة.

خاتمة الكتاب

فتح العرب المسلمون الاندلس سنة ٩٢ هـ/ سنة ٧١١ م، وظلوا بها ثمانية قرون، حتى سقطت دولتهم هناك سنة ٨٩٧ هـ/ سنة ١٤٩٢ م، وكان العرب منذ بداية الفتح، يحملون اسباب القوة والنجاح، فهم امجاد اذكياء، شم الانوف كرام، اقوياء شجعان. اقاموا دولتهم العربية الكبرى هناك يدفعهم الاسلام الخالد بمبادئه السمحاء العظيمة، وتحمله سواعدهم العربية الاصلية، فاشادوا حضارتهم الرفيعة في تلك الديار.

لقد ترك هؤلاء العرب في الاندلس، اثراً فكرياً عظيماً لايقل عن آثارهم العمرانية الباقية، ذلك هو مجموعات الكتب العربية التي مازالت الى اليوم تتحدى الزمن.

لقد عمد حكام اسبانيا، بعد سقوط غرناطة بايديهم، الى اتباع سياسة تنصير المسلمين، والقضاء على مقوماتهم الروحية والفكرية والاجتماعية، ورأى الاسبان، ان ذلك لايتحقق الا بالقضاء على آثار الفكر العربي هناك، وحرمان بقايا العرب المسلمين فيها، من الاتصال بهذا التراث الفكري، فجمعوا الكتب الاندلسية اكداساً، واحرقوها في ساحات غرناطة باحتفال عظيم، ولم يستثنوا من هذه الكتب سوى (٣٠٠) كتاب خاصة بالطب والعلوم، وبلغ مااحرق من هذه الكتب في تلك المحنة اكثر من (١٠٠) مائة الف كتاب، واستمر حكام اسبانية في تعقب الكتب العربية واتلافها، وحظرت اللغة العربية على العرب المستنصرين (الموريسكيين) وفرضت عليهم لغة قشتالة في الكتابة والتعامل، وبذلك اخمدت اخر جذوة للفكر العربي في الاندلس ولم تبق يد التعصب والجهالة الاسبانية الاعلى بقية يسيرة، من الاثار الفكرية العربية، حملتها الى قصر الاسكوريا، لتودع في المكتبة الملكية، في ضاحية الاسكوريال بالقرب من مدريد، وهي مجموعة عربية مفهرسة لكتب: اللغة العربية وعلومها، ثم الشعر وابوابه وعلومه، ثم الفلسفة والاخلاق والسياسة، ثم الطب والتأريخ الطبيعي ثم الفقه وعلوم الدين وغيرها .(٩٢)

ومع ذلك، فقد حفظ كثير من ثراث العرب الفكري في الاندلس، من خلال تسرب الكثير من مخطوطاته وكتبه، الى المغرب العربي بعد سقوط غرناطة، مع المهاجرين العرب منها، فضلاً عن ان كثيراً من المسلمين الذين تنصروا وظلوا تحت حكم الاسبان، رغم انهم اجبروا على التحدث باللغة الاسبانية علناً، فقد ظلوا يتحدثون باللغة العربية سراً فيما بينهم، وكتبوا كثيراً من تراثهم وشؤنهم الاجتماعية والدينية باحرف عربية اعتزاز بها، وتمسكاً، وقد وجدت كثير من كتب الموريسبكيين هؤلاء في مكتبة مدريد الوطنية.

لقد اثر العرب المسلمون الذين حكموا الاندلس عدة قرون، في سائر الحياة العامة للمجتمع الاندلس، وبالتالي على اوربا عموماً، وذلك في تقاليد الحياة العامة والخاصة، وفي الفنون ونظم الحكم، فتأثرت الممالك الاسبانية اولا لاتصالها بالعرب عن طريق الحرب

والسلم اوثق اتصال، وكان للنصاري الاسبان (المستعربون) والنصاري المعاهدون، والمسلمون الذين عاشوا في ظل الحكومات الاسبانية الاثر الاكبر في نقل هذه المؤثرات في اسبانيا وماوراءها من البلاد. واستمر تأثير حضارة العرب هذه، حتى بعد سقوط غرناطة، وفي كافة المجالات في العلوم، والفنون، والصناعات، والعمران والزخرفة، وتركت آثار العرب هذه آثاراً واضحة في الحضارة الاسبانية والاوربية الحديثة حتى اليوم، ومازال المجتمع الاسباني يحمل الكثير من مظاهر الامة العربية بالاندلس، في عاداتهم وطبائعهم وتقاليدهم حتى ان ملامحهم تبدوأ وكانها عربية شرقية، وصارت الخواص العنصرية والمادية والادبية العربية، واضحة في الشعب الاسباني، ويتعدى الامر، الى اللغة الاسبانية التي تحتوى اليوم على الكلمات المشابهة تماماً للالفاظ العربية لغة ومدلولا.

غير ان العرب الذين حملوا معهم عناصر القوة، منذ حلوا ارض الاندلس، حملوا معهم ايضا بعض عوامل ضعفهم، فقد عادت العصبية القبلية بين العرب القيسية واليمانية، وكذلك بين عرب المشرق وعرب المغرب، ومازال الامر على ذلك، حتى انفرط عقد الدولة الاموية بالاندلس، وحلت محلها دول الطوائف، الى جانب نشاط العدو الخارجي المتمثل بدويلات الاسبان الذين تؤيدهم اوربا كلها، وفي مقدمتها البابا، فضلاً عن انقسام ولاة المسلمين وامراؤهم بالاندلس، بل انقسام البيت الواحد على نفسه.

فلما كانت المأساة الكبرى، مأساة سقوط حكم العرب بالاندلس، الذي يعد اكبر فشل في التأريخ اصاب امة العرب، فقد بكى ابو عبد الله محمد اخر ملوك غرناطة بكاء حاراً حزينا، وهو يسلم غرناطة للعدو، ويخرج منها.

على ان هذا الالم والحزن، لم يكن ناتجاً فقط عن زوال سلطان العرب السياسي في تلك البلاد، ولكن ايدما لزوال الاسلام هناك ومصير افراده جميعاً بين مقتول او مهاجر او مستنصر، حيث اتخذ الاسبان، كل السبل والوسائل والاساليب لاجلاء العرب المسلمين، ومحو اثارهم الاسلامية كافة من هذه الديار، يدفعهم في ذلك جهلهم وتعصبهم الاعمى ضد العرب والاسلام في ذلك الوقت، ومع ذلك فانهم لم يستطيعوا، القضاء نهائياً على روح الاسلام التي بقيت لدى بعض عوائل الاسبان، وحافظت عليها سراً حتى وقت قريب. وسنة الله في خلقه، ان الضعيف على اي شكل كان يذهب هباءاً امام القوة كائنة ماكانت.

والله فوق كل شيء، وهو القدير العزيز

الدكتور
خاشع المعاضيدي
كلية التربية/ جامعة بغداد

هوامش الباب الرابع

١ ـ ابن منظور ـ لسان العرب، ج٤، ص ١٩٧
٢ ـ ابن خلدون، المقدمة ، ص ٣٥ـ٣٦
٣ ـ ناجي معروف، اصالة الحضارة العربية ، ص ٢
٤ ـ ناجي معروف المصدر السابق ص٢ـ٣
٥ ـ خاشع المعاضيدي واخرون، دراسات في تأريخ الحضارة العربية، ص ٢٨٣
٦ ـ ناجي معروف، المدخل في تأريخ الحضارة ، ص ٢٤٠
٧ ـ خاشع المعاضيدي واخرون، المصدر السابق، ص ٢٨٣
٨ ـ ليفي بروفنسال، الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية، ص ١١
٩ ـ ليفي بروفنسال، المصدر السابق ص ١٣
١٠ ـ ليفي بروفنسال، نفس المصدر، ص ١٤ـ١٥
١١ ـ ليفي بروفنسال، نفس المصدر، ص ١٦ـ١٧
١٢ ـ ليفي بروفنسال، نفس المصدر ص ١٩ـ٢٠
١٣ ـ ليفي بروفنسال، نفس المصدر ص ٢٤ـ٢٦
١٤ ـ ليفي بروفنسال، المصدر السابق، ص ٢٨ـ٣٠
١٥ ـ ليفي بروفنسال، نفس المصدر ص ٣٣
٢٦ ـ ليفي بروفنسال، نفس المصدر ص ٣٨
١٧ ـ ليفي بروفنسال، نفس المصدر ص ٣٥ـ٣٦
١٨ ـ ليفي بروفنسال، نفس المصدر ص ٣٩ـ٤٠
١٩ ـ عبد الرحمن البرقوقي، حضارة العرب في الاندلس، ص ١٧٣ـ١٧٤
٢٠ ـ المقري، نفح الطيب ، ج١ ص ٩٩
٢١ ـ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٢٩
٢٢ ـ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٦ـ٢٤٠
٢٣ ـ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٠
٢٤ ـ حسن ابراهيم حسن، تأريخ الاسلام السياسي، ج٣، ص ٢٦٣،
٢٥ ـ المقري، نفح الطيب، ج١ ص١٠١
٢٦ ـ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٦
٢٧ ـ المقري، نفح الطيب ج١ ص ١٠١

٢٨ ـ ابن خلدون· المقدمة· ص ٢٢٠ـ٢٢٢
٢٩ ـ المقرى· نفح الطيب ج١ ص١٠١، ١٠٣
٣٠ ـ ابن خلدون· المقدمة· ص ٢٢٢
٣١ ـ ابن خلدون· المقدمة· ص ٢٢٦
٣٢ ـ المقرى· نفح الطيب· ج١ ص ١٠١
٣٣ ـ ابن خلدون· المقدمة· ص ٢٤٦
٣٤ ـ ابن خلدون· المقدمة· ص ٢٥١ـ٢٥٢
٣٥ ـ المقرى· نفح الطيب ج١ ص١٠١
٣٦ ـ حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص ٣٥٥ـ٣٥٦
حسن ابراهيم حسن· تأريخ لاسلام السياسي· ج٢ ص٣٣٩
٣٧ ـ ابن حزم· جمهرة انساب العرب· ص٨٦ـ٩٣
٣٨ ـ حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص٨٦ـ٩٣
٣٩ ـ ابن حزم· جمهرة انساب العرب· ص ٨٦ـ٩٣
٤٠ ـ ابن خلدون· تأريخه ج٤ ص ١٠٦
٤١ ـ حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص ٣٨٣ـ٣٨٦
٤٢ ـ حسين مؤنس· المصدر السابق· ص ٣٩٢
٤٣ ـ ابن القوطية· افتتاح الاندلس· ص ١٤، ٢١، ٢٣
٤٤ ـ ابن حزم· جمهوة انساب العرب· ص ٤٦٧·
٤٥ ـ حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص ٣٠٦
٤٦ ـ ابن القوطية· افتتاح الاندلس· ص ٦
٤٧ ـ حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص ٤٢٣ـ٤٢٦
٤٨ ـ حسين مؤنس· المصدر السابق· ص ٤٢٨ـ٤٢٩
فليب حتي· تأريخ العرب· ج٢ ص ٦٤٦
٤٩ ـ حسن ابراهيم حسن· تأريخ الاسلام السياسي· ج٢· ص ٣٣٩
٥٠ ـ المقرى· نفح الطيب ج١ ص ١٧٨، ٢٤٣ـ٢٤٤
٥١ ـ حسين مؤنس· فجر الاندلس· ص ٥٢٠ وما بعدها
٥٢ ـ احمد امين· ظهر الاسلام· ج٣ ص ٢٢٨ـ٢٣٠
عبد الرحمن الحجي· تأريخ الموسيقي الاندلسية· ص١٠ـ١١
٥٣ ـ المقرى· نفح الطيب ج١ ص ١٦٤ـ١٦٥
٥٤ ـ المقرى· المصدر السابق ج١ ص١٠٢

٥٥ ـ المقرى. نفح الطيب ج١ ص١٠٣ـ١٠٤
٥٦ ـ المقرى. المصدر السابق. ج١ ص١٠٥
٥٧ ـ حسن ابراهيم حسن. تأريخ الاسلام السياسي. ج٣ ص ٣٣٧
٥٨ ـ المقرى. نفح الطيب ج١ ص ١٠٢
٥٩ ـ عبد الرحمن الحجي. تأريخ الموسيقى الاندلسية. ص ٢٣ـ٢٧
٦٠ ـ ابن عبد ربه. العقد الفريد ج٦ . ص٣٤.
٦١ ـ المقرى. نفح الطيب ج١ ص ٣٤٤
٦٢ ـ عبد الرحمن الحجي. المصدر السابق ص ٢٨ـ٣٠
٦٣ ـ احسان عباس. تأريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) ص ٣٩.
٦٤ ـ المقرى. نفح الطيب. ج٣ ص ١٣١
٦٥ ـ عبد الرحمن الحجي. تأريخ الموسيقى الاندلسية. ص ٣٧
٦٦ ـ عبد الله عنان. دولة الاسلام في الاندلس. ج١ ص ٢٤٩
٦٧ ـ المقرى. نفح الطيب ج٣ ص ١٤٠
٦٨ ـ عبد الرحمن الحجي. المصدر السابق. ص ٤١ـ٤٢
٦٩ ـ ابن سعيد المغربي. المغرب في حلى المغرب. ج١ ص ٢٦٦
٧٠ ـ عبد العزيز الاهواني. الزجل في الاندلس. ص١ ومابعدها
٧١ ـ عبد العزيز الاهواني المصدر السابق. ص ١٣١
٧٣ ـ ابن سعيد المغربي. المغرب في حلى المغرب. ج١ ص ٢٨٠
٧٤ ـ عبد الرحمن الحجي. تأريخ الموسيقى الاندلسية ص٩٠
٧٥ ـ عبد الرحمن الحجي المصدر السابق ص ٣١
٧٦ ـ عبد الرحمن الحجي. اندلسيات. ص ١٥١ـ١٥٢
٧٧ ـ عبد الله عنان. الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ص٩ـ١٠
٧٨ ـ عبد الرحمن الحجي. اندلسيات. ص ١٥٤ـ١٥٥
٧٩ ـ عبد الفتاح عاشور. المدينة الاسلامية واثرها على اوربا ص ١٩٦
٨٠ ـ عبد الله عنان. الاثار الاندلسية الباقية. ص١٦
٨١ ـ عبد الفتاح عاشور. المصدر السابق. ص ٥
عبد العزيز سالم. تأريخ المسلمين ص ٢٩٥.
٨٢ ـ عبد الله عنان. الاثار الاندلسية الباقية. ص١٨ـ٢٠
٨٣ ـ عبد الله عنان. الاثار الاندلسية الباقية. ص ٢٠ـ٢٦

٨٤ ـ عبد الرحمن الحجي· اندلسيات ص ١٦٢ـ١٦٤·

٨٥ ـ المقرى· نفح الطيب ج١ ص ٢١٩

٨٦ ـ عبد الله عنان· المصدر السابق· ص٢٨

٨٧ ـ عبد الرحمن الحجي· اندلسيات ص ١٦٤ـ١٦٥·

عبد الله عنان· الاثار الاندلسية الباقية· ص ٣٨ـ٥٤

٨٨ـ عبد الله عنان· الاثار الاندلسية الباقية· ص٥٦ـ٥٨

٨٩ ـ عبد الله عنان· المصدر السابق· ص ١٣٢ـ١٧٩

٩٠ ـ عبد الله عنان· نفس المصدر· ص٦٨ـ١٢٤، ١٩١ـ٣٣٤

٩١ ـ عبد الله عنان· المصدر السابق· ص ٣٤٦ـ٣٥٩·

مراجـع الكتـاب

١ ـ ابن الاثير علي بن احمد الجزري:
الكامل في التأريخ
٢ ـ ابن ابي زرع ابو الحسن علي:
« الانيس المطرب بروض القرطـاس في اخبـار ملـوك المغرب وفـاس المسمى روض القرطاس »
٣ ـ ابن حبيب عبد الملك :
استفتاح الاندلس«
٤ ـ ابن حزم علي بن احمد القرطبي:
جمهرة انساب العرب
٥ ـ ابن خرداذية:
المسالك والممالك
٦ ـ ابن الخطيب لسان الدين:
الاحاطة في اخبار غرناطة
اعمال الاعلام، تأريخ اسبانيا الاسلامية. تأريخ المغرب العربي.
الدولة النصرانية بني الاحمر.
٧ ـ ابن خلدون عبد الرحمن المغربي
تاريخ العبر . المقدمة.
٨ ـ ابن خلكان:
وفيات الاعيان
٩ ـ ابن حوقل ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي:
صورة الارض
١٠ ـ ابن سعيد المغربي:
المغرب في حلى المغرب
١١ ـ ابن عبد الحكم عبد الرحمن.
فتوح مصر والمغرب والاندلس.
١٢ ـ ابن عذاري ابو عبد الله محمد المراكشي
البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب.

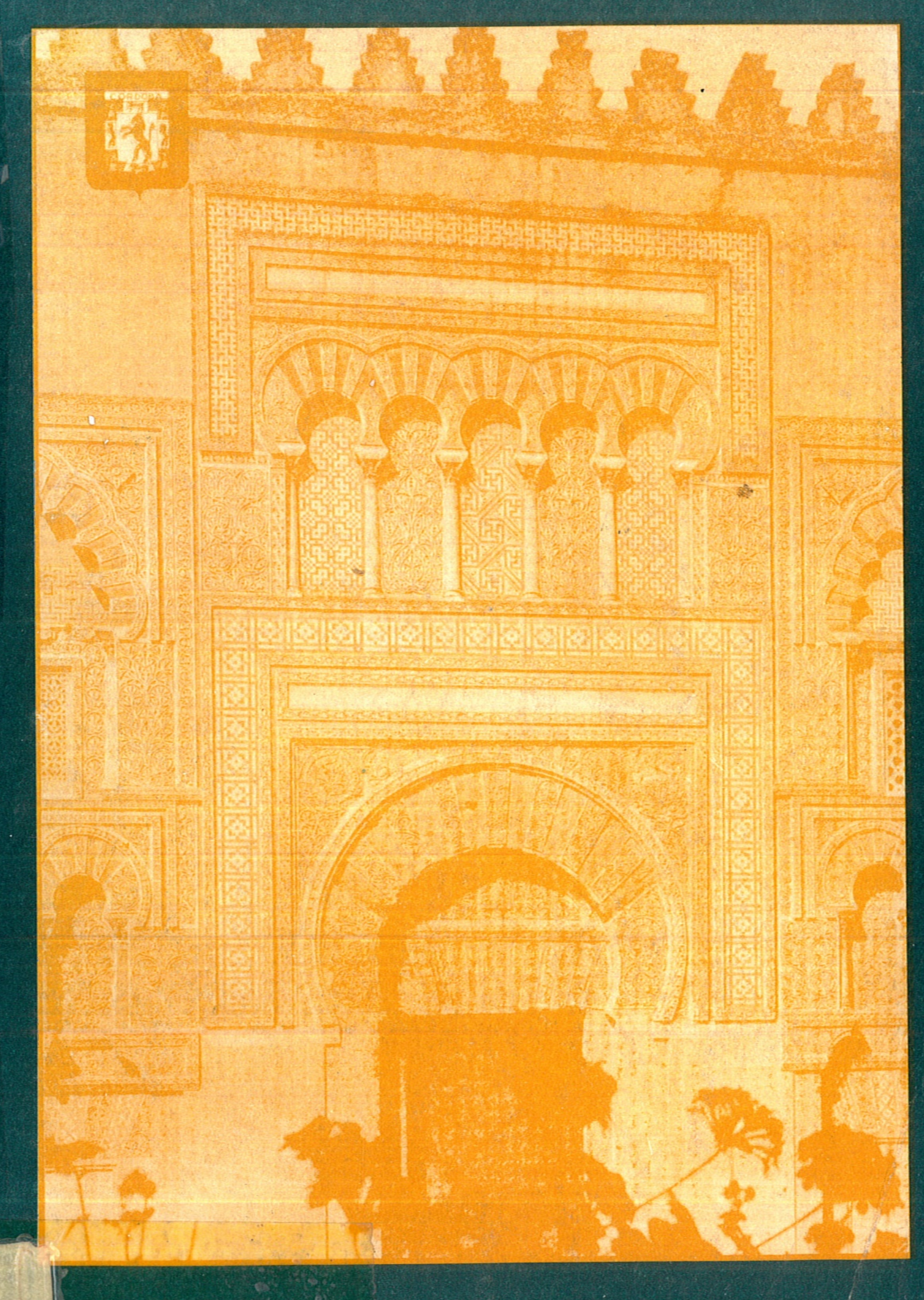
١٣ ـ ابن عبد ربة:
العقد الفريد.
١٤ ـ ابن القوطية ابو بكر:
تأريخ افتتاح الاندلس
١٥ ـ ابن منظور:
لسان العرب.
١٦ ـ ابو الفدا اسماعيل صاحب حماه:
المختصر في اخبار البشر.
١٧ ـ الادريسي الشريف:
نزهة المشتاق في اختراق الافاق.
المعروف: وصف المغرب وارض السودان ومصر والاندلس.
١٨ ـ الاصطخرى ابو اسحق ابراهيم:
كتاب الاقاليم، كتاب مسالك الممالك
١٩ ـ الانصارى:
الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة.
٢٠ ـ البكرى ابو عبد الله:
المغرب في ذكر افريقية والمغرب.
جغرافية الاندلس وافريقية.
٢١ ـ البلاذرى احمد بن علي:
فتوح البلدان. انساب الاشراف.
٢٢ ـ الحميري محمد بن عبد الله
صفة جزيرة الاندلس «انتجه المتشرف بروفنسال من كتاب الروض المعطار
٢٣ ـ السلاوي حمد بن خالد:
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى» .
٢٤ ـ السقلي احمد بن محمد:
اخبار وتراجم اندلسية. استخرجه احسان عباس من كتاب معجم الشعر
٢٥ ـ الطبرى ابو جعفر محمد بن جرير:
تأريخ الامم والملوك.
٢٦ ـ العذري احمد بن عمر
نصوص عن الاندلس.

٢٧ ـ العمرى احمد بن يحيي:
وصف افريقية والمغرب والاندلس.
٢٨ ـ الكندى:
الولاة والقضاة.
٢٩ ـ المراكشي محيي الدين بن عبد الواحد:
المعجب في تلخيص اخبار المغرب.
٣٠ ـ المسعودي ابو الحسن علي:
مروج الذهب ومعادن الجوهر.
٣١ ـ المقرى ابو العباس احمد بن محمد التلمساني:
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب.
٣٢ ـ المقدسي شمس الدين:
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم.
٣٣ ـ النويري شهاب الدين احمد :
نهاية الارب في فنون الادب.
٣٤ ـ ياقوت الحموى:
معجم البلدان.
٣٥ ـ اليعقوبي احمد بن يعقوب
تأريخ اليعقوبي. كتاب البلدان.
٣٦ ـ لافوينتي:
نشر وترجمة: اخبار مجموعة في تأريخ الاندلس.
٣٧ ـ مؤلف مجهول:
فتح الاندلس
٣٨ ـ د. حسن ابراهيم حسن:
تأريخ الاسلام السياسي
٣٩ ـ محمد عبد الله عنان:
دولة الاسلام في الاندلس. جغرافية الاندلس.
تأريخ الاندلس ـ عصر المرابطين والموحدين.
نهاية الاندلس وتأريخ العرب المتنصرة
دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المربطي

الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال
رحلة الاندلس او الفردوس المفقود
٤٠ ـ د. ابراهيم علي طرخان:
دولة القوط الغربيين
٤١ ـ د. احمد امين:
ظهر الاسلام
٤٢ ـ د. حسين مؤنس. فجر الاندلس.
فتح العرب للمغرب.
٤٣ ـ د. السيد عبد العزيز سالم.
المغرب الكبير ـ العصر الاسلامي
تاريخ المسلمين واثارهم بالاندلس
٤٤ ـ د. محمد جمال الدين سرور:
مصر في عصر الدولة الفاطمية
٤٥ ـ د. سعيد عبد الفتاح عاشور.
المدينة الاسلامية واثرها على اوربا.
٤٦ ـ د. عبد العزيز الاهواني.
الزجل في الاندس.
٤٧ ـ د. عبد الرحمن الدقوقي:
حضارة العرب في الاندلس والمغرب.
٤٨ ـ د. احسان عباس.
تأريخ الادب الاندلسي ـ عصر سيادة قرطبة.
٤٩ ـ د. الرفاعي.
عصر المأمون.
٥٠ ـ د. فليب حتي:
تأريخ العرب المطول .
٥١ ـ ارنولد توماس:
الدعوة الى الاسلام.
٥٢ ـ كارل بروكلمان:
تأريخ الشعوب الاسلامية.

٥٣ ـ ليفي بروفنسال:
الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية.
الاسلام في المغرب والاندلس.
٥٤ ـ د. ناجي معروف:
اصالة الحضارة العربية.
المدخل في تأريخ الحضارة.
٥٥ ـ د. عبد الرحمن علي الحجي:
التأريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي في سقوط غرناطة
تأريخ الموسيقى الاندلسية. اندلسيات المجموعة الثالثة
٥٦ ـ د. فاروق عمر فوزي.
طبيعة الدعوة العباسية
٥٧ ـ د. محمد مجيد السعيد:
الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس.
٥٨ ـ د. خاشع المعاضيدي واخرون:
دراسات في تأريخ الحضارة العربية.
٥٩ ـ د. حازم :
النثر الاندلسي في عصر الطوائف.
٦٠ ـ احمد مختار العبادي:
دراسات في تأريخ المغرب والاندلس.
٦١ ـ حسن حسني عبد الوهاب:
وريقات عن حضارة الاندلس.
٦٢ ـ الزركشي ابو عبد الله محمد.
تأريخ الدولة الموحدية والحفصية .
٦٣ ـ علي الجارم :
العرب في اسبانيا.
٦٤ ـ الامير شكيب ارسلان:
تأريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط.
٦٥ ـ ابن حيان :
المقتبس في اخبار بلد الاندلس. تحقيق عبد الرحمن الحجي.

٦٦ ـ د. خالد الصوفي :
تأريخ العرب في اسبانيا
٦٧ ـ دوزى :
ملوك الطوائف. ترجمة كامل كيلاني.
٦٨ ـ عبد الملك بن صاحب الصلاة.
تأريخ المن بالامامة على المستضعفين تحقيق عبد الهادي التازي
٦٩ ـ عبد السلام الطود : بنو عباد باشبيلية.
٧٠ ـ اشباخ :
تأريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين» ترجمة عبد الله عنان.
٧١ ـ دائرة المعارف الاسلامية المجلد الخامس» خاص بالاندلس سلسلة كتاب الشعب ـ٣٣ـ



رقم الايداع ٤٧٣ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٨

مطبعة التعليم العالي - بغداد